المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

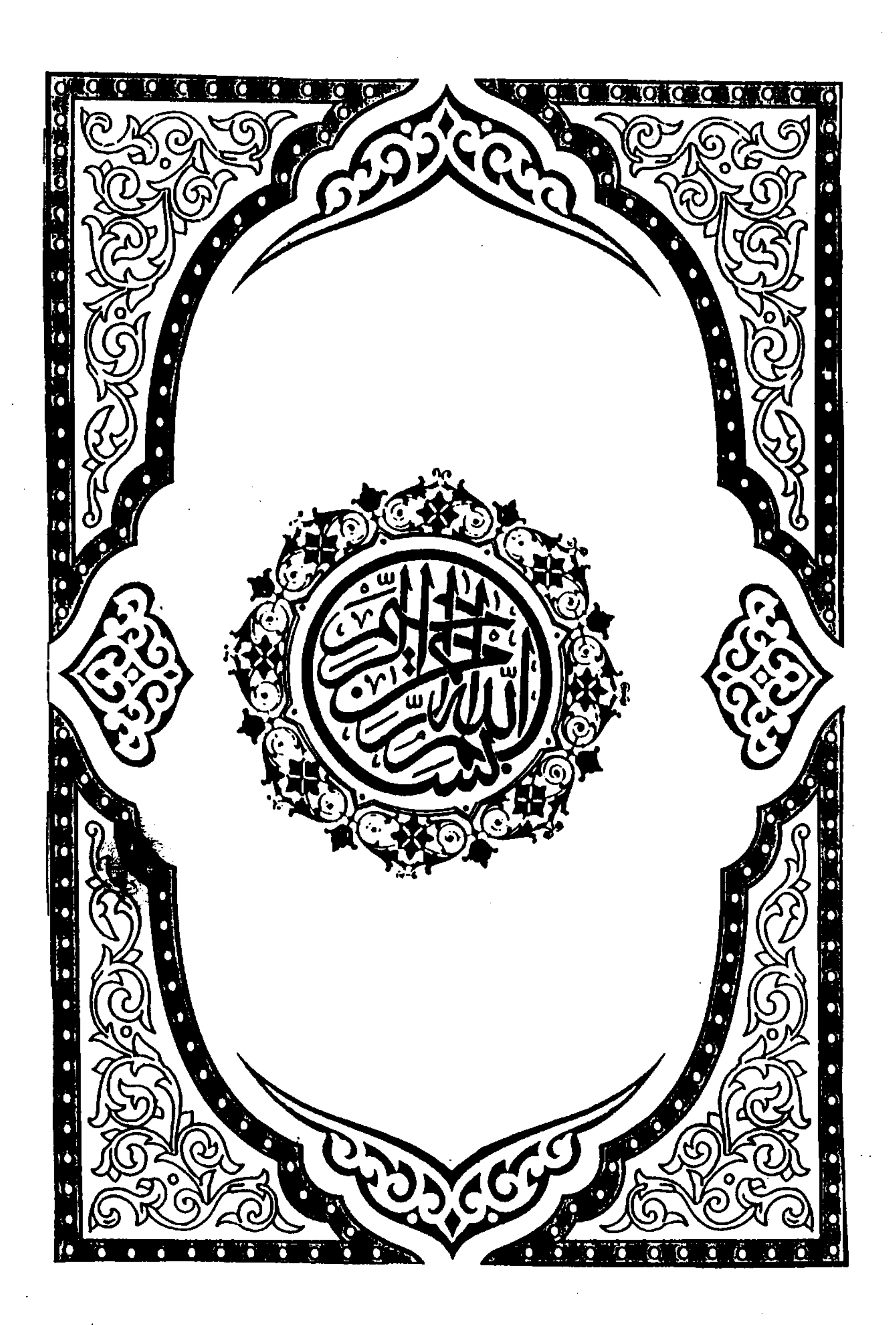
علم الغيب في العقيدة الإسلامية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

اعداد :
الطالب أحمد بن عبد الله الغنيمان

أشرف عليها:
الدكتور : أحمد بن سعد بن حمدان .

١٤١٢هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه

وبعد فقد تصفحت الرسالة وقد عمل الباحث

بما نبه عليه من ملاحظات في الرسالة

والله يرعاه

عضو المناقشة

علي الحذيفي

٨/٦/١٤١٢

عضو المناقشة

عابس بن عياش بن نخيت الكبيشي

/ /١٤١٢هـ

المقدمــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون . ﴾ (١).

﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾(٢)

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً . ﴾ (٣).

أما بعد فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أرسل رسوله بالإسلام ودين الحق والهدى والنور ؛ ليله كنهاره لايزيغ عنه إلا هالك ، من تمسك به رشد ، ومن أعرض عنه غوى وهلك ؛ كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ في قوله : (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك . . .) (٤).

والبيضاء هي الملة والحجة الواضحة التي لاتقبل الشبه أصلا ، وهي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقد كان أول ما دعا إليه النبي ﷺ إخلاص العبادة لله وحده لاشريك له، وتنزيهه عن كل عيب ونقص . بل إن دعوته ﷺ قد تركزت على التوحيد حتى إنه في آخر حياته وفي سكرات موته يدعوا إلى التوحيد ويأمر الناس

---

١ ـ آل عمران ١٠٢ .

٢ـ النساء (١) .

٣ـ الأحزاب ٧٠ ، ٧١ .

٤ـ أخرجه ابن ماجه (ح ٤٣ ، ٤٤) وأحمد في المسند ١٢٦/٤ ، والحاكم ٩٦/١ وابن أبي عاصم في السنة من طرق عدة وغيرهم . وقال الألباني حديث صحيح له طرق أخرى ، انظر تخريج السنة لابن أبي عاصم ص ١٩ ، ٢٧ .

بالتمسك به ، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : ((لما نُزِل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة على وجهة ، فإذا اغتم كشفها ، فقال ـ وهو كذلك ـ لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يُحَذِّر ماصنعوا ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً .)) متفق عليه .

فما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أكمل الدين وبينه أكمل بيان ، فترك الناس على الحنيفية السمحة ملة أبينا إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ كما بين ذلك جل وعلا بقوله : ﴿ **قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ، ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين .** ﴾ (١).

فمن انحاز عن ملة ابراهيم فقد هلك وضل ضلالا مبينا كما قال تعالى : ﴿ **ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه . . .** ﴾ (٢).

ولقد بقي الصحابة والتابعون وتابعوهم على هذه الملة السمحة المبنية على إخلاص العبادة لله وحده لاشريك له ، فأظهرهم الله على غيرهم من الأمم على مقتضى سنتة التي كتبها في الأزل أن الأرض يرثها الصالحون من عباده ، كما قال تعالى : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون . إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين .** ﴾ (٣).

فثارت أحقاد أعداء الملة والدين وأخذوا يدسون في الإسلام ماليس منه، ووجدوا من يأخذ بأفكارهم ومذاهبهم الهدامة وركزوا في ذلك على إخراج الناس من هذه الملة السمحة والتوحيد الخالص إلى الشرك بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وكان من هذه الدعوات الهدامة الدعوة إلى الغلو في الأشخاص من الأنبياء والأولياء والصالحين وغيرهم ورفعهم فوق منزلتهم ، حتى بلغ الحد بهم أن وصفوهم بصفات الربوبية التي لايجوز وصف أحد بها غير الله ـ سبحانه

١- الأنعام ١٦١ .

٢- البقرة ١٣٠ .

٣- الأنبياء ١٠٥ ، ١٠٦ .

وتعالى ـ كادعائهم أنهم يعلمون الغيب أو يتصرفون في الكون . ومنهم من غلا في ذلك فادعى أنهم يعلمون كل شيء ، ومنهم من كان دون ذلك في الادعاء فنسب إليهم علم بعض الغيوب دون بعض .

ومن هذه الطوائف والفرق طوائف الرافضة الذين غلوا في أئمتهم حتى وصفوهم بصفات الباري ـ سبحانه وتعالى ـ وبعض طوائف الصوفية الذين غلوا في مشايخهم وأوليائهم فادعوا أنهم يعلمون الغيب على تفاوت فيما بينهم . وسبب هذا كله هو الغلو في الصالحين ؛ الذي حذر الله ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين منه في قوله : ﴿ ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾(١).

فالخطاب في هذه الآية عام يتناول جميع الأمة تحذيراً لهم أن يفعلوا بنبيهم ﷺ فعل النصارى في عيسى واليهود في عزير . كما هي القاعدة : العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب .

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى هذه الآية : (ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء ، وهذا كثير في النصارى ، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه . بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه ، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه ، سواء كان حقاً أو باطلا ، أوضلالا أو رشاداً ، أوصحيحاً أو كذباً ، ولهذا قال تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله . ﴾ (٢).

كما أن النبي ﷺ حذر أمته من ذلك كما جاء في عدة أحاديث منها مايلى : قوله ﷺ : (لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا

١- النساء ١٧١ .

٢- تفسير القرآن العظيم ٤٣٠/٢ .

عبده فقولوا عبدالله ورسوله .) (١).

وقوله ﷺ : (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين .) (٢).

وخاف على قبره أن يتخذ وثناً يعبد فدعا الله أن يحفظه فاستجاب الله دعاءه وحفظه من ذلك .

ومنهم أهل الزندقة من المنجمين والكهان ومن سار على نهجهم ممن انتشرت آراؤهم ومذاهبهم وشاع ذكرهم في هذا العصر خاصة ، والعصور الماضية عامة .

ومعلوم من الدين بالضرورة أن علم الغيب من خصائص الله وحده ؛ كما قال تعالى : ﴿ قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله . ﴾(٣).

ولكن الذين أشْرِبَت قلوبهم الضلال والهوى أبوا إلا أن ينسبوا إلى أوليائهم وأقطابهم وأئمتهم علم الغيب ، ومن يضلل الله فلن تجد له ولياً مرشداً .

ولقد هيأ الله علماء الإسلام وحراس الملة والدين فوقفوا سداً منيعاً في الذود عن حمى الإسلام ، فقاموا بذلك حق قيام وجاهدوا أعداء الدين بكل وسيلة شرعية توصل إلى المطلوب ، فألفوا الكتب والرسائل ، وأقاموا المناظرات والمواعظ والدروس وغير ذلك للذود عن حمى الملة والدين ، فحفظ الله بهم دينه ونصر جنده وأعز حزبه . . .

ولقد مَنَّ الله علي باختيار هذا الموضوع الذي هو علم الغيب في العقيدةُ الإسلامية بتوجيه من والدي الكريم حفظه الله ورعاه وجعل الجنة

١ـ البخاري (ح ٣٤٤٥) وأحمد ٢٣/١ ، ٢٤ ، ٥٥.

٢ـ أخرجه النسائي في كتاب المناسك باب التقاط الحصى ٢٦٨/٥ واللفظ له ، وابن ماجه (ح٣٠٢٩) ، وأحمد ٢١٥/١ ، ٢٤٧ ، وقال أحمد شاكر اسناده صحيح انظر تحقيقه للمسند (١٨٥١) وصححه الألباني انظر الصحيحة (ح ١٢٨٣) والسنة لابن أبي عاصم (٨٣) .

٣ـ النمل ٦٥ .

مثوانا ومثواه ، ورأيت أن أساهم بما فتح الله عليّ ويسر لي في هذا الموضوع فقمت بجمع أقوال أولئك الجهابذه من العلماء وحصره في هذه الرسالة ورسمت لذلك خطة سرت فيها على النحو التالي :

قسمت الموضوع إلى مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة فهي هذه .

وأما التمهيد فقد قسمته إلى مبحثين :

المبحث الأول : جعلته في تعريف الغيب في اللغة .

المبحث الثاني : جعلته في تعريف الغيب في الشرع .

وأما الباب الأول : فقسمته إلى تمهيد وفصلين :

فالتمهيد ذكرت فيه أقسام الغيب .

وأما الفصل الأول : فجلعته في الغيب المطلق ، وذكرت تحته ستة مباحث :

المبحث الأول : بيان الغيب المطلق .

المبحث الثاني : العلم بالساعة .

المبحث الثالث : العلم بالغيث .

المبحث الرابع : العلم بالأجنة في الأرحام .

المبحث الخامس : العلم بما تكسبه الأنفس في المستقبل .

المبحث السادس : العلم بالموت زمانه ومكانه .

وأما الفصل الثاني : فجعلته في الغيب النسبي ، وذكرت تحته أربعة مباحث .

المبحث الأول : في بيان الغيب النسبي .

المبحث الثاني : في الفراسة وعلم الغيب .

المبحث الثالث : في الإلهام والتحديث .

المبحث الرابع : في الرؤى المنامية .

وأما الباب الثاني : فجعلته في بيان أن علم الغيب من خصائص الله ـ سبحانه وتعالى ـ وذكرت فيه فصلين :

الفصل الأول : في بيان الأدلة من الكتاب على اختصاص الله بعلم الغيب .

الفصل الثاني : في بيان الأدلة من السنة على اختصاص الله بعلم الغيب.

وأما الباب الثالث : فتحدثت فيه عن الرسل ـ عليهم السلام ـ وعلم الغيب .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في بيان مكانة الرسل ومنزلتهم وصفاتهم البشرية .

الفصل الثاني : في تبرؤ الرسل ـ عليهم السلام ـ من معرفة الغيب .

الفصل الثالث : في تأييد الله ـ عز وجل ـ للرسل ـ عليهم السلام ـ بإطلاعهم على أمور من الغيب .

وأما الباب الرابع : فجعلته في مدعي الغيب وحكم الإسلام فيهم وذكرت تحته خمسة فصول :

الفصل الأول : في الكهان والمنجمين وحكمهم .

الفصل الثاني : في علم الغيب عند الصوفية .

الفصل الثالث : الكشف عند الصوفية .

الفصل الرابع : علم الغيب عند الرافضة .

الفصل الخامس : بعض الآثار المترتبة على ادعاء الغيب .

أما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليه في هذا البحث

المتواضع .

وقد رسمت لنفسي منهجاً سرت عليه في هذا البحث وهو على النحو التالي:

بعد عزو الآيات والأحاديث إلى مواضعها ، حاولت أن أذكر حكم العلماء على كل حديث .

ركزت في تفسير الآيات على ثلاثة تفاسير هي تفسير الطبري والقرطبي وابن كثير لأمور منها :

أن الطبري - رحمه الله تعالى - يهتم بالروايات وأقوال السلف الصالح ، وغالباً مايرجح مايراه صحيحاً . هذا فضلا عن كونه يعتبر من التفاسير المتقدمة .

وأما القرطبي - رحمه الله تعالى - فلكونه يهتم بالأحكام غالباً .

وأما ابن كثير - رحمه الله تعالى - فلتأخره ولتميزه عمَّن سبقه بربط الآيات بعضها ببعض . فضلا عن دفاعه وبيانه واهتمامه بمنهج السلف الصالح - رضوان الله عليهم - وخاصة في أمور الاعتقاد .

التزمت في الإحالة على الأحاديث بكتابة رقمها فقط دون الإشارة إلى الكتاب واسم الباب وخلافه . إلا أن يكون الكتاب المحال إليه غير مرقم الأحاديث فإني أحيل على الكتاب والباب وأحياناً الجزء والصفحة ، كما هي العادة في ذلك .

التزمت بالاستدلال بالأحاديث الصحيحة إلا إذا كان الحديث في محل الاستئناس والاستشهاد لا الاستدلال فإني أورده مع بيان ضعفه .

قمت بالترجمة لبعض الأعلام الذين رأيت أنه ينبغي أن أترجم لهم وأعرف بهم .

حاولت توثيق كل قول بعزوه إلى مصدره إلا في حالة عدم وجود المرجع وتوفره لدي فإني أحيل إليه بالواسطة مع ذكر الإحالة إلى المرجع

الأصلي .

ركزت على ذكرالمنهج الصحيح لأهل السنة والجماعة ، وبذلت جهدي في تعضيده وبيان أدلته من الكتاب والسنة . وصرفت النظر عن إثارة الشبه اقتداءً بنهج السلف الصالح الذين كانوا يكرهون بل وينهون عن مناظرة أهل البدع أو الجلوس معهم أو نقل شبههم ، كما بين ذلك اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة والبغوي وابن بطة وغيرهم .

فمنهجهم هو تقرير عقيدة السلف الصالح مدعمة بالأدلة النقلية والعقلية دون عرض الشبه أو الخوض في أدلتها إلا عند الحاجة (١) واتبعت ذلك إلا عندما اضطُر إليها فإني أحاول أن أعالجها دون تتبع الشبه ومحاولة إثارتها ، خلافاً لمنهج الخلف الذين كانوا يثيرون الشبه ويحاولون الرد عليها .

جعلت أول صحيفة في الباب ذكر اسم الباب وما يندرج تحته من فصول أو مباحث وسرت على ذلك في كل فصل أو مبحث .

قمت بعمل فهارس للأحاديث والآثار وآخرى للمراجع والموضوعات .

هذا وفي الختام أشكر الله ـ العلي القدير ـ على ما منَّ به علي ووفقني من إتمام هذا البحث الذي جاء على قدر الجهد ، كما أشكر القائمين على هذا الصرح الشامخ ـ الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ـ على تمكيني من المضي في هذا الطريق .

كما أسأل الله عز وجل لوالدي السداد والفوز بالجنة والنجاة من النار فإنه لم يبخل عليَّ بوقته ونصحه وتوجيهه .

كما أشكر شيخي وأستاذي الدكتور : أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي على ما قام به من تشجيعي في الكتابة في هذا الموضوع وعلى ما أرشدني إليه من توجيهات وتوصيات بناءة ساهمت في إنجاز هذا البحث ،

١ـ انظر شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥٣/١ ، ١١٤ .

فأسأل الله - العلي القدير - أن يرفع درجته ، وأن يُجزل له المثوبة في الدنيا والآخرة . كما أشكر كل من أعانني أو دلني على مرجع أو قول أو موضوع في هذا البحث ، وأسأل الله أن يجزيهم كل خير .

هذا وما كان فيه من صواب فمن الله وحده وما كان فيه من خطأ فمن نفسي وتقصيري فإن سنة الله اقتضت أن لايكمل عمل لمخلوق .

هذا وصلى الله على نبينا محمد و على آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أحمد بن عبدالله الغنيمان

١٤١١/١١/٢هـ

تمهيد

في تعريف الغيب وفيه مبحثان :

الأول : تعريف الغيب في اللغة .

الثاني : تعريف الغيب في الشرع .

تعريـف الغــيـب :

قال ابن فارس : (الغين والباء أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون ثم يقاس .) (١) على كل شيء يدل على التستر .

(والغيب ما غاب عنك مما لايعلمه إلا الله .

وكذلك يطلق فيراد به كل ما غاب عن الشخص كما يقال غابت الشمس تغيب غيبة وغيوباً وغيباً) (٢) وغيبوبة (٣) .

(ويقال أيضاً رجل غائب وقوم غَيَبٌ بفتحتين ، وقوله وإن كان أصحاب الوصية غيباً وهو مثل خادم وخَدَمَاً ، وأما غُيَّب فقياس) (٤).

ويقال أيضاً غاب عني الأمر غيباً وغياباً ومغاباً ومغيباً ، وتغيب أي بطن . وتقول غيَّبه هو وغيَّبه عنه ، وفي الحديث لما هجا حسان قريشاً قالت : (إن هذا لشتم ماغاب عنه ابن أبي قحافة .) (٥) أرادوا بذلك أن أبا بكر كان عالم بالأنساب والأخبار فهو الذي علّم حسان أنساب قريش ومعايبها) (٦).

(وجمع الغائب غُيَّب وغُيَّاب وغَيَب أيضاً ، وصحت الياء فيها تنبيهاً على أصل غاب ، وإنما تثبت فيه الياء مع التحريك لأنه شبه بصَيَـد وإن كان جمعاً وصيد مصدر قولك : بعير أصيـد ؛ لأنـه لايجوز أن ينوي به المصدر .)(٧).

(وغيابة الوادي قعره ، وكذلك غيابة البئر ، قال تعالى : ﴿ وألقوه في

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة ٤٠٣/٤ .

٢ـ انظر المصدر السابق .

٣ـ لسان العرب ٦٥٤/١ مادة غيب .

٤ـ المعرب في ترتيب المعرب ١١٩/٢ . مادة غيب .

٥ـ روي مسلم عن عائشة أن النبي ﷺ قال لحسان : حين أراد أن يهجوا قريشاً : (لاتعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها ، وإن لي منهم نسباً حتى يُلخِّص لك نسبي فأتاه حسان . ثم رجع فقال : يارسول الله قد لخص لي نسبك والذي بعثك بالحق لأسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين .) (ح ٢٤٩٠) ورواه الطبراني (ح٣٥٨٢) .

٦ـ لسان العرب ٦٥٤/١ مادة غيب ، وانظر تاج العروس ٤٩٧/٣ـ٥٠٢ .

٧ـ الصحاح ١٩٦/١ مادة غيب .

غيابة الجب . ﴾ (١) .

وتقول وقعنا في غَيْبَة وغَيَابة أي هبطة من الأرض) (٢) يغاب فيها .

(وغاب الرجل عن بلده ، وأغابت المرأه فهي مَغِيْبَةٌ ؛ إذا غاب عنها زوجها) (٣) .

(وقولهم غيَّبه غَيَابة أي دفنه في قبره) (٤) (قال شمَّر كل مكان لايدرى ما فيه فهو غيب وكذلك الموضع الذي لايدرى ماوراءه وجمعه غُيُوب ، قال أبو ذؤيب :

ترمي الغُيُوب بعينه ومظرفه مغطى كما كشف المُسْتأخِذُ الرَّمِدُ (٥)

(وغاب الرجل غيباً ومغيباً وتغيب إذا سافر أو بان ، وأنشد ابن الأعرابي فقال :

ولا أجعل المعروف جل إليه ولا عدة في الناظر المُتَغيِّب .) (٦) .

وأغابت المرأة فهي مَغِيْبٌ ؛ غابوا عنها ، وفي الحديث (أمهلوا حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة .) (٧) وهي التي غاب عنها زوجها .

وفي حديث ابن عباس : (أن امرأة مغيبة أتت رجلا تشتري منه شيئاً فتعرض لها فقالت : ويحك إني مُغِيْبٌ فتركها .) (٨)،(٩) .

(والغيب الشحم أي شحم ثَرِب الشاة ، وشاة ذات غَيْب أي شحم لتغيبه عن العين .) (١٠) .

١- يوسف ١٠ .

٢- الصحاح ١٩٦/١ مادة غيب . وانظر تاج العروس مادة غيب ومجمل اللغة مادة غيب .

٣- مقاييس اللغة ٤٠٣/٤ مادة غيب .

٤- الصحاح مادة غيب .

٥- تهذيب اللغة ٣١٤/٨ ، مادة غيب . وتاج العروس .

٦- لسان العرب مادة غيب .

٧- رواه البخاري (ح ٥٢٤٧) ،ومسلم (ح٧١٥) كتاب الرضاعة (٥٧) .

٨- رواه أحمد في المسند ١٦٩/١ ، ١٧٠ ،وصححه أحمد شاكر انظر المسند بتحقيق أحمد شاكر (ح٢٢٠٦و٢٤٣٠).

٩- لسان العرب مادة غيب .

١٠- تاج العروس مادة غيب ، وانظر التكملة والصلة لكتاب تاج اللغة ٣٢/١ مادة غيب .

فالغيب كل ماغاب عن العيون وإن كان محصلا في القلوب ، والغيب المطمئن من الأرض وجمعه غيوب ، ويقال سمعت صوتاً من وراء الغيب أي من موضع لاأراه) (١).

قال بعضهم بدا غَيَبَان الشجرة وهي عروقها التي تغيب في الأرض فحفرت عنها حتى ظهرت .) (٢) (والغابة الأجمة والجمع غابات وغاب وسميت بذلك ؛ لأنه يغاب فيها .

والغِيْبَة الوقيعة في الناس ؛ لأنها لاتقال إلا في غيبتهم .) (٣).

ونخلص من هذا أن الغيب يطلق ويراد به كل ماغاب عن العيون ، ومنه الغيب الذي لايعلمه إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ والذي أنا بصدد الكلام عليه ، ويطلق أيضاً على كل ماغاب عن الشخص المعين . والله تعالى أعلم .

١ـ لسان العرب مادة غيب .
٢ـ التكملة والصلة مادة غيب .
٣ـ مقاييس اللغة مادة غيب .

المبحث الثاني : تعريف الغيب في الشرع :

الـغـيــب فـي الشــرع .

الغيب في اللغة يدل على معنى عام واسع شامل . أما المعنى الشرعي فدائماً يدل على معنى خاص محدد بإطار معين ، فالغيب في اللغة يطلق على كل ما غاب واستتر عن العيون سواءً كان حسياً أو معنوياً ، وسواء كان مما يجب الإيمان به أو مما لايجب الإيمان به .

وقد ورد عن السلف عدة أقوال في تعريف الغيب وتفسيره أذكر بعضاً منها :

١ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال (ما آمن مؤمن بمثل إيمان بغيب ثم قرأ ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ (١) إلى قوله : ﴿ ينفقون ﴾(٢).

٢ ـ مارواه ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب . ﴾ قال : (بما جاء منه يعني الله جل ثناؤه) (٣).

٣ ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن ناس من أصحاب النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ يؤمنون بالغيب . ﴾ أما الغيب ما غاب عن أعين العباد من أمر الجنة والنار وماذكر الله تبارك وتعالى في القرآن لم يكن تصديقهم بذلك يعني المؤمنين من العرب ـ من قبل أصل كتاب أو علم كان عندهم) (٤).

٤ ـ عن الربيع بن أنس : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ آمنوا بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه ، وآمنوا بالحياة بعد الموت فهذا كله غيب)(٥).

١ـ البقرة ٣ .

٢ ـ رواه الحاكم ٢٦٠/٢ وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وانظر غريب الحديث لابن اسحٰق الحربي ٦٠٩/٢ ٦١٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣٤ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٦٣/١ .

٣ـ جامع البيان ٢٣٦/١ ، رقم الأثر(٢٧٢) .

٤ـ المصدر السابق رقم الأثر (٢٧٣) ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي باختلاف في اللفظ ٣٥/١

٥ـ جامع البيان ٢٣٦/١ رقمه (٢٧٦) ، وابن أبي حاتم عن أنس عن أبي العالية ٣٥/١ .

٥ ـ وعن قتادة في قوله ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ قال : آمنوا بالجنة والنار والبعث بعد الموت وبيوم القيامة وكل هذا غيب) (١).

٦ ـ وعن مجاهد في قوله ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ قال : يؤمنون بالله.)(٢).

٧ ـ وعن زيد بن أسلم : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب . ﴾ قال : بالقدر (٣).

وقد اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ على خمسة أقوال :

١ ـ أنه كل ما غاب عن الحواس ممالا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر كوجوب البعث ووجود الجنة ونعيمها والنار وعذابها والحساب .

٢ ـ أنه القدر .

٣ ـ أنه الله تعالى .

٤ ـ أنه القرآن .

٥ ـ أن المراد به أنهم يؤمنون بقلوبهم الغائبة عن الخلق لابألسنتهم التي يشاهدها الناس . أي : ليسوا منافقين يقولون ما ليس في قلوبهم بل آمنوا إيماناً صادقاً لايشوبه نفاق ونحوه .

وحَسَّنَ القرطبي هذا القول واستشهد بقول الشاعر :

وبالغيب آمنا وقد كان قومنا يصلون للأوثان قبل محمد (٤).

قال الراغب : (من قال إن الغيب هو القرآن أوالقدر فإنه إشارة منهم إلى ما يقتضيه لفظه .) (٥).

قال ابن العربي كلها قوية إلا الثاني والثالث فإنه يدرك بصحيح النظر فلا يكون غيباً حقيقة ، والأقوى هو الأول القائل بأنه الغيب الذي أخبر به

١ـ جامع البيان رقم الأثر (٢٧٥) .

٢ـ غريب الحديث لابن اسحٰق الحربي ٦٠٩/٢ ـ ٦١٢ ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٥/١ .

٣ـ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣٦/١ ، رقم الأثر (٧٢) .

٤ـ انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦٣/١ .

٥ـ المفردات ٣٦٦ ، وانظر أنوار التنزيل ٦١/١ ، وتفسير أبي السعود ٣٠/١ .

النبي ﷺ مما لاتهتدي إليه العقول ، وكذلك الأخير الذي هو الإيمان بالقلوب الغائبة عن الخلق .)(١).

ويحتمل أن يكون مراده القدر الذي قضاه الله وعلمته ملائكته أو غيرهم قبل وقوعه ، ولعله مراده ، ويحتمل أن يكون مراده أن القدر ليس غيباً مطلقاً وهذا بعيد ، أما بالنسبة لله فلعله أراد أن الله ليس غيباً لكون الخلق يعرفونه بالفطرة والجبلة كما يعرفونه بمخلوقات وغير ذلك من الأشياء التي تدل عليه مما يدرك بصحيح النظر . ولعل هذا هو مراده ، أما ذات الله وصفاته على التفصيل فهي غيب لاتدرك إلا بطريق الوحي كما قال تعالى : ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ والله تعالى أعلم .

قال ابن عطية : (هذه الأقوال لاتتعارض بل يقع الغيب على جميعها .)(٢).

وقال القرطبي : (إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ غائب عن الأبصار غير مرئي في هذه الدار غير غائب بالنظر والاستدلال ، فهم يؤمنون أن لهم رباً قادراً يجازي على الأعمال ، فهم يخشونه في سرائرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس لعلمهم باطلاعه عليهم ، وعلى هذا تتفق الآراء ولا تتعارض والحمد لله (٣).

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في تعريف الغيب : (إن اسم الغيب من الأمور الإضافية يراد به ما غاب عنا فلم ندركه ، ويراد به ما غاب عنا فلم يدركنا ، وذلك لأن الواحد منا إذا غاب عن الآخر مغيباً مطلقاً لم يدرك هذا وهذا ، والله سبحانه شهيد على العباد رقيب عليهم مهيمن عليهم ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض ، فليس هو غائب عنا وإنما لما لم يره العباد كان غيباً ، ولهذا يدخل في الغيب المؤمن به وليس هو بغائب ، فإن الغائب اسم فاعل من قولك غاب يغيب فهوه غائب والله شهيد غير غائب .

١ـ أحكام القرآن ١/ ٨ ، ٩ وانظر أنوار التنزيل ١٦/١ ، وتفسير أبي السعود ٣٠/١ .
٢ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٠/١ .
٣ـ الجامع لاحكام القرآن ١٦٣/١ .

وأما الغيب فهو مصدر غاب يغيب غيباً وكثيراً ما يوضع المصدر موضع الفاعل كالعدل والصوم والزور ، ويوضع المفعول كالخلق والرزق ، ودرهم ضرب الأمير . . .)(١).

وقد قسم الرازي - رحمه الله تعالى - ومن سار على نهجه الغيب إلى قسمين هما :

الأول : قسم لادليل عليه وهو المعني بقوله تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو . ﴾ (٢).

فهذا القسم لايمكن أن يطلع عليه أحد من خلق الله ؛ إلا من ارتضى من بعض أنبيائه ورسله فإنه قد يطلعهم على شيء من أمر الغيب كما أخبر بذلك في قوله : ﴿ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً .﴾(٣).

والقسم الثاني : قسم نصب عليه دليل كالخالق وصفاته واليوم الآخر وأحواله وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب . ﴾ (٤).

وبالنظر إلى هذه الأقوال التي سُقْتُهَا في تعريف الغيب نجد أن أقوال السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجم لاتتعارض في تعريف الغيب ؛ لأن كل ما ذكروه يكمل بعضه بعضاً ومن ثم يؤدي إلى تعريف كامل شامل فهذا يذكر جزءً والآخر يذكر جزءً آخر ، وإذا ضممناها إلى بعضها نجد أن الغيب يطلق على كل منها ، وكذلك نلاحظ أن كل من جاء بعد القرون الأولى ممن تقدم ذكرهم فإن تعريفه لايكاد يخرج عن تعريف من سبقه .

والخلاصة أن كل هذه التعريفات تطلق على الغيب ويكمل بعضها بعضاً في تعريفه . والله تعالى أعلم .

١- مجموع الفتاوى ٥١/١٤ .

٢- الأنعام ٥٩ .

٣- الجن ٢٧ .

٤- انظر التفسير الكبير للرازي ٣١/٢ ، وانظر أنوار التنزيل ١٦/١ .

الباب الأول : أقسام الغيب

وفيه تمهيد وفصلان .

التمهيد في : أقسام الغيب .

الفصل الأول : الغيب المطلق .

الفصل الثاني : الغيب النسبي .

تمهيـــد في : أقسـام الغـيـب .

ينقسم الغيب الى قسمين :

١ ـ غيب مطلق .

٢ ـ غيب إضافى [نسبي] .

والغيب المطلق هو : المتعلق بالله سبحانه وتعالي دون من سواه .

والغيب النسبي هو : الذي يمكن للمخلوق معرفته ، ويكون ذلك بمعرفة أسبابه ، وقد يعرفه البعض ويجهله البعض الآخر .

وقد دل علي هذا التقسيم آيات من كتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ إليك بعضاً منها :

قال الله تعالي : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلايعلمها ولاحبة في ظلمات الأرض ولارطب ولايابس الا في كتاب مبين . ﴾ (١).

فمفاتح الغيب لايعلمها أحد سواه ، وكذلك مافى البر والبحر لا يعلمه جميعه على جهة التفصيل إلا هو . ولكن قد يحصل العلم ببعضه لبعض خلقه ممن توفرت له أسباب معرفته ؛ لأن هذا من علم الشهادة الذي يمكن معرفته وذلك بعد توفر الأسباب.

فالعلم بالأول : من الغيب المطلق الذي لايعلمه إلا الله ـ سبحانه وتعالى.

والعلم بالثاني : من الغيب النسبي الذي يمكن للمخلوق معرفته لا على جهة التفصيل ، فيكون علم شهادة بالنسبة لمن علمه ، وغيب لمن لم يتمكن من معرفته .

ومن الآيات التي يمكن أن يستشف منها هذا التقسيم : قوله تعالى :

---

١ ـ الانعام ٥٩ . وسيأتي ذكر أقوال المفسرين فيها انظر ص ٥١ . والباب الثاني .

﴿ قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله . ﴾ (١).

فهذه الآية تدل علي الغيب المطلق الذي لايمكن لأحد سوى الله معرفته.

وأيضا قوله تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾(٢).

هذه بعض الآيات التى تدل على الغيب المطلق الذى اختص الله بعلمه وإلا فهي كثيرة وسيأتي ذكر الكثير منها في ثنايا البحث .

أما الآيات التي تدل على الغيب النسبي فمنها مايلي : قوله تعالى : ﴿ ذلك من أنباءالغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون . ﴾ (٣).

وقوله تعالى : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا . . . ﴾ (٤).

وقوله تعالى : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون . ﴾ (٥).

وغير هذه الآيات مما يدل على القسم الثاني كثير .

فهذه الأنباء التى قَصَّهَا الله ـ سبحانه وتعالى ـ على رسوله ﷺ وذكرها فى كتابه هي غيب عن الرسول الله ﷺ وغيب بالنسبة لنا قبل أن يخبرنا بها الله جل جلاله ، وشهادة بالنسبة لمن وقعت له . فهي غيب لمن لم يحضرها ، شهادة لمن حضرها .

هذه هي أقسام الغيب وسيأتي زيادة بيان لهذين النوعين إن شاءالله تعالى في موضعه .

١- النمل ٦٥.

٢- لقمان ٥٤ .

٣- ال عمران ٤٤ .

٤- هود ٤٩ .

٥- يوسف ١٠٢.

الفصل الأول : الغيب المطلق : وتحته مباحث :

المبحث الأول : في بيان الغيب المطلق .

المبحث الثاني : علم الساعة

المبحث الثالث : العلم بالغيث

المبحث الرابع : علم الأجنة في الأرحام

المبحث الخامس : علم ماتكسبه الأنفس في المستقبل

المبحث السادس : علم الموت ، زمانه ومكانه

المبحث الأول : الغيب المطلق

الغيـــب المطلـــق

هوالغيب الذي اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعلمه دون من سواه ، فلايمكن لغيره أن يعلمه .

قد ورد إثبات علمه له ونفيه عمن سواه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها ماتقدم آنفا :

قال تعالى : ﴿ قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله . ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة في ظلمات البر والبحر ولارطب ولا يابس إلا في كتاب مبين . ﴾ (٢) .

ويمكن أن نجعل هذا القسم علي نوعين :

النوع الأول : ماورد النص الصريح بأن الله تعالي قد كتمه عن خلقه فلم يَطَّلِع عليه أحد سواه ، ولايمكن أن يعرفه أحد من الخلق لاملك مقرب ولا نبي مرسل . وهذا مثل علم الله بوقت مجيء الساعة ومفاتح الغيب الخمسة التي اختص الله بعلمها .

وقد أكثر الناس من سؤال الرسول ﷺ عن الساعة ؛ فكان الجواب أن علمها عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

قال الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ۞ فيم أنت من ذكراها ۞ إلى ربك منتهاها ۞ إنما أنت منذر من يخشاها . ﴾ (٣) .

وقال تعالي : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لايُجَلّيْها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لاتأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون . ﴾ (٤) .

---

١ ـ النمل ٦٥ .
٢ـ الانعام ٥٩.
٣ـ النازعات ٤٢ ، ٤٣ .
٤ـ الاعراف ١٨٧.

وقال تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث . . . ﴾ (١) .

وهذا النوع لايمكن لأحد من الخلق أن يطلع عليه .

والنوع الآخر : مالم يرد فيه نص صريح على أن الله ـ سبحانه تعالى ـ قد كتمه عن خلقه .

فهذا النوع قد يطلع الله بعض خلقه على شيء منه كملائكته ورسله . وقد أشار الله إلي ذلك في قوله : ﴿ عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً . ﴾ (٢) .

ومعنى الآية كما قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (إن الله تعالى لايظهر علي غيبه إلا من ارتضى ، أي إصطفي للنبوة فإنه يطلعه على ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم ليكون ذلك دلالة على نبوته .) (٣) .

وقوله تعالي : ﴿ وما كان الله ليطلعكم علي الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء . ﴾ (٤) ففي هاتين الآيتين دليل على أن الرسل لايعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه لأنهم مؤيدون بالمعجزات (٥) (٦) .

وقد أطلع الله ـ سبحانه وتعالى ـ كثيراً من رسله على بعض المغيبات . وسيأتي بإذن الله تعالى بيان ذلك مفصلا في الباب الثالث .

١ـ لقمان ٣٤ .

٢ـ الجن ٢٦، ٢٧، ٢٨ .

٣ـ الجامع لاحكام القرآن ٢٨/١٩ . وانظر جامع البيان ٢٩ /١٢ . وتفسير القرآن العظيم ٢٧٣/٨ .

٤ـ آل عمران ١٧٩ .

٥ـ انظر الجامع لاحكام القرآن ١٩ ٢٧ .

٦ـ راجع في هذا المبحث : أحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٦/٣ . وتفسير ابن كثير ٣١٤/٢ ، ١٤٦/٥ . وتفسير المنار ٣٥٣/٧، . وأضواء البيان ١٩٥/٢ ، درء تعارض العقل والنقل ٧٣/٥ ، وفتح البارى ١٢٤/١، ٣٦٤/١٣ وما بعدها ، وبهجة النفوس ٢٧٢/٤.

المبحث الثاني : علم الساعة :

علم الساعة :

أولا : الساعة في اللغة : (الساعة جزء من أجزاء الليل والنهار ، والجمع ساعات وتصغيره سويعة ، والليل والنهار معاً أربع وعشرون ساعة . وإذا اعتدلا فكل واحدٍ منهما ثنتا عشرة ساعة .) (١).

وتطلق أيضا ويراد بها وقت معين وذلك كقوله تعالى : ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة . . . ﴾ (٢).

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (أي في وقت العسرة) (٣).

وكقوله تعالي ﴿ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون . ﴾ أي في الوقت الذي تقوم فيه القيامة .

وكذلك تطلق ويراد بها الوقت القليل من الزمان وذلك كقوله تعالى : ﴿ ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم . ﴾ (٤).

(فالساعة في الأصل تطلق ويراد بها معنيان :

أحدهما : أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءً هي مجموع اليوم والليلة .

والثاني : أن تكون عبارة عن جزء قليل من الليل أو النهار ، كما يقال جلست عندك ساعة ، أي : وقتاً قليلا ، ثم استعير لاسم يوم القيامة .) (٥).

ثانياً : الساعة في الشرع : إذا أطلقت الساعة في الشرع فإنما يراد بها الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، واليوم الذي يبعث الله فيه الناس للجزاء والحساب .

قال الزجاج : (معني الساعة في كل القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، يريد أنها ساعة حقيقية يحدث فيها أمر عظيم فلعله الذي تقوم فيه

---

١ ـ لسان العرب ١٦٩/٨، مادة سوع .

٢ـ التوبة ١١٧.

٣ـ الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٨.

٤ـ يونس ٤٥ .

٥ـ لسان العرب ٨/ ١٦٩ . مادة سوع .

سماها ساعة) (١).

وقال الراغب : الساعة جزء من أجزاء الزمان ، ويعبر به عن القيامة .

قال تعالي : ﴿ اقترب الساعة . . ﴾ وقال ﴿ ويسألونك عن الساعة . .. ﴾ تشبيهاً بذلك لسرعة حسابه كما قال تعالي : ﴿ وهو أسرع الحاسبين ﴾ (٢).

وقال القرطبي : (سميت القيامة بالساعة لسرعة الحساب فيها .)(٣).

وقسم الراغب القيامة إلى ثلاث ساعات فقال :

١ ـ الكبرى وهي بعث الناس للمحاسبة .

٢ ـ والوسطى وهي موت أهل القرن الواحد .

٣ ـ الصغرى وهي موت الإنسان .) (٤). وذلك نحو ماورد في الأثر عن أنس مرفوعا بسند ضعيف : (من مات فقد قامت قيامته) (٥) .

وعلم الساعة الذي سأتطرق إليه في هذا المبحث هو : علم الوقت الذي تقوم فيه القيامة حين يتغير هذا الكون وتبدل السموات غير السموات والأرض غير الأرض ، ويتغير كل شيء في هذه الدنيا ، وتبدأ حياة أخرى للبشر لم يعرفوها من قبل ، وذلك حين يبعثهم الله للجزاء والحساب على الأعمال التي قدموها في هذه الدنيا .

وقد تتبعت الآيات التي وردت في القرآن الكريم عن يوم القيامة بلفظ الساعة فوجدتها تناهز الثلاثين آية .

وقد أكثر الله من ذكرها في كتابه ولعل ذلك لكثرة المنكرين لها من المشركين المكذبين للنبي ﷺ ؛ ولكثرة السائلين عنها سواء كانوا من المشركين استهزاءً أو من المؤمنين طلباً لمعرفة وقت مجيئها ، وقد جاء في

١- لسان العرب ١٦٩/٨ مادة سوع . مختار الصحاح مادة سوع .

٢- المفردات للأصفهاني ٢٤٨.

٣- الجامع لاحكام القرآن ٤١٢/٦.

٤- المفردات للأصفهاني ٢٤٨.

٥- قال الحافظ العراقي في تخريج الاحياء : رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث أنس بسند ضعيف ٦٤/٤. وفي المقاصد الحسنة رواه الديلمي مرفوعاً عن أنس رضي الله عنه ٤٢٨ .

الكتاب والسنة من الأدلة الشرعية مايقرر وجوب الإيمان بحقيقة الساعة ، وتفويض علمها إلى ـ الله سبحانه وتعالى ـ وذلك بأساليب متنوعة منها مايلي :

أولا : إثبات مجيئها وتأكيد وقوعها

دل القران الكريم على ذلك في آيات عديدة منها مايلي :

قوله تعالي ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . ﴾ (١).

وقوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم ﴾(٢).

وقوله تعالى ﴿ وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴾(٣).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل هذه الآية : (أي ولتوقنوا بذلك أن الساعة التي وعدكم الله أن يبعث فيها الموتى من قبورهم جائية لامحالة ﴿ لاريب ﴾ يقول : ولاشك في مجيئها وحدوثها ﴿ وأن الله يبعث من في القبور ﴾ بعد فنائهم .) (٤).

وقال القرطبي وابن كثير والخازن بنحو ماقال (٥).

وقوله تعالى : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض ومابينهماإلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل . ﴾ (٦).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ وإن الساعة التي تقوم فيها القيامة لجائيه فارض بها لمشركي قومك الذين كذبوك وردوا عليك ماجئتهم به من الحق .) (٧).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿ وإن الساعة لآتية ﴾ أي : لكائنه

١ـ طه ١٥.

٢ـ سبأ ٣ .

٣ـ الحج ٧ .

٤ـ جامع البيان في تأويل القرآن ١٧/ ١٢٠.

٥ـ الجامع لاحكام القرآن ١٢/١٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣٩٣/٥ ولباب التأويل في معاني التنزيل ٢٨٢/٣ .

٦ـ الحجر ٨٥ .

٧ـ جامع البيان في تأويل القرآن ١٤/٥١.

فيجزي كلا بعمله (١).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (أخبر الله نبيه ﷺ بقيام الساعة وأنها كائنة لامحالة (٢).

ودلت السنة على ذلك أيضاً فمنها مايلي :

١ ـ مارواه الإمام أحمد عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ علمه دعاءً وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم . وفيه (أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير . وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك . وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والساعة آتية لاريب فيها وأنت تبعث من في القبور . . .) الحديث (٣).

٢ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال : (كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال : (اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ملك السماوات والأرض ومن فيهن . . . ولك الحمد أنت الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق والنار حق ، والنبيون حق ومحمد ﷺ حق ، والساعة حق . . .) الحديث (٤).

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ : (والساعة) أي يوم القيامة . وأصل الساعة القطعة من الزمان ، وإطلاق الحق على ماذكر من الأمور معناه أنه لابد من كونها وأنها مما يجب أن يصدق بها ، وتكرار لفظ الحق للمبالغة في التأكيد .) (٥).

١- الجامع لأحكام القرآن ٥٤/١٠.
٢- تفسير القرآن العظيم ٤٦٣/٤.
٣- مسند الإمام أحمد ١٩١/٥.
٤- البخاري (ح١١٢٠) .
٥- الفتح ٤/٣ .

ثانياً : قرب مجيئها :

دل القرآن الكريم على ذلك في آيات كثيرة منها مايلي :

قوله تعالى : ﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب .. الآية ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ (٢).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - في معنى هذه الآية : (يعني تعالى ذكره بقوله ﴿ اقتربت الساعة ﴾ دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة . وقوله ﴿ اقتربت ﴾ افتعلت من القرب ، وهذا من الله تعالى ذكره انذار لعباده بدنو القيامة وقرب فناء الدنيا ، وأمرلهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم وهم عنها في غفلة ساهون .) (٣).

ودلت السنه أيضاً على ذلك فمنها مايلي :

١ - مارواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : (بُعِثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصابعه السبابة والوسطى . . .) الحديث (٤).

٢ - عن عبد الله بن حوالة قال : بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم على أقدامنا فرجعنا فلم نغنم شيئاً ، وعرف الجهد في وجوهنا فقام فينا فقال : (اللهم لاتكلهم إلي فأضعف عنهم ، ولاتكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثرون عليهم . ثم قال : يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت أرض المقدس فقد دنت الزلازل والأمور العظام ، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه إلى رأسك .) (٥).

١- الشورى ١٧.

٢- القمر ١.

٣- جامع البيان في تأويل القرآن ٨٤/٢٧ .

٤- رواه البخاري (ح٤٩٣٦) ، ومسلم (ح٨٦٧) ، والترمذي بنحوه (ح٢٢١٣) ، وأحمد ٣٤٨/٥ .

٥- أبو داود (ح٢٥٣٥) وسكت عنه . وأحمد ٢٨٨/٥ .

٣ ـ مارواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : صلى بنا الرسول ﷺ يوماً صلاة العصر بنهار ثم قام خطيباً . . إلى أن قال وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقي منها شيء ؟ فقال رسول الله ﷺ : (ألا إنه لم يبق من الدنيا في ما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه .) (١).

ثالثاً : إتيانها بغتة :

من الأمور التي تحصل عند قيام الساعة أنها تفجأ الناس بقيامها وحلولها . مما يدل على أن الخلق لم ولن يعلموا بوقت قيامها ، ولذلك تبرأ أفضل الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام من العلم بوقت قيامها . وقد دل الكتاب العزيز على إتيانها بغتة في آيات كثيرة منها مايلي :

قوله تعالى : ﴿ **أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لايشعرون .** ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ **هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لايشعرون .** ﴾ (٣).

وقوله تعالى : ﴿ **فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم .** ﴾ (٤).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل هذه الآية : (يقول تعالى ذكره فهل ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله من أهل الكفر والنفاق ؛ إلا الساعة التي وعد الله خلقه بعثهم من قبورهم أحياء أن تجيئهم فجأة وهم لايشعرون بمجيئها)(٥).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿ **فهل ينظرون إلا أن تأتيهم الساعة بغتة .** ﴾ أي فجأة ، وهذا وعيد للكفار ﴿ **فقد جاء أشراطها .** ﴾ أي أماراتها

١ـ الترمذي (ح٢١٩١) ج٤ وقال حديث حسن صحيح .
٢ـ يوسف ١٠٧ .
٣ـ الزخرف ٦٦.
٤ـ محمد ١٨.
٥ـ جامع البيان في تأويل القرآن ٥٢/٢٦.

وعلامتها .) (١) .

وقال ابن كثير بنحو ما قالا (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ﴾ (٣) .

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : (حتى إذا جائتهم الساعة التي يبعث الله فيها العباد من قبورهم فجأة من غير علم تفجأه بوقت مفاجئتها إياه .) (٤) .

وقال البرسوي (٥) : (بغتة حال من فاعل جاءتهم ، أي باغتة مفاجئة ، والبغت مفاجئة الشيء بسرعةٍ من غير أن يشعر به الإنسان ، حتى لو كان له شعور بمجيئته ثم جاءه بسرعة لايقال فيه بغته ، والوقت الذي تقوم فيه القيامة يفجأ الناس في ساعة لايعلمها إلا الله تعالى . والمعنى أنهم كذبوا إلى أن ظهرت الساعة بغتة .) (٦) .

وقوله تعالى : ﴿ ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم . ﴾ (٧) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : ﴿ حتى تأيهم الساعة بغتة ﴾ : قال مجاهد : فجأة .

وقال قتادة : بغت القوم أمرالله ، وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله فإنه لايغتر بالله إلا القوم الفاسقون .) (٨) .

١- الجامع لاحكام القرآن ١٦/٢٤٠ .
٢- تفسير القرآن العظيم ٧/٢٩٧.
٣- الأنعام ١٣.
٤- جامع البيان في تأويل القرآن ١١/٣٢٤.
٥- اسمه : اسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخلوتي ، متصوف مفسر تركي مستعرب . ولد في أيدروس وسكن القسطنطينية ، كان من أتباع الطريقة الخلوتية فنفي إلى تكفور ؛ ثم عاد إلى بروسة فمات فيها سنة ١١٢٧ هـ . انظر الأعلام للزركلي ١/٣١٣ .
٦- تفسير روح البيان ٣/٢١ .
٧- الحج ٥٥.
٨- تفسير القرآن العظيم ٥/٤٤٢.

ودلت السنة على ذلك أيضاً فمن ذلك مايلي :

١ ـ ماوراه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في حديثٍ طويلٍ وفيه أن رسول الله ﷺ قال : (ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف بلبن لقحته (١) فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط (٢) حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها .) (٣).

٢ ـ حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال : (خسفت الشمس في زمن النبي ﷺ فقام فزعاً يخشى أن تكون الساعة ، حتى أتى المسجد فقام يصلي بأطول قيام وركوع وسجود . .) الحديث (٤).

٣ ـ حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في ليلة الإسراء عندما تذاكر الأنبياء يأجوج ومأجوج وفيه فقال عيسى عليه السلام: (. . فأدعوا الله فيرسل السماء بالماء فيحملهم فيلقيهم في البحر ، ثم تنسف الجبال وتمتد الأرض مد الأديم فعهد إليَّ متى كان ذلك ، كانت الساعة من الناس كالحامل التي لايدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها .) (٥).

وإتيانها بغتة يدل على أن علمها موكول للواحد الأحد الذي لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض . كمايدل أيضاً على عدم علم الخلق بها وإلا لما فاجأتهم وهم على تلك الحالة التي مرت صفتها .

١ـ اللقحة بالفتح والكسر الناقة القريبة العهد بالنتاج . . يقال ناقة لقوح إذا كانت غزيرة اللبن ، النهاية في غريب الحديث ٢٦٢/٤ .

٢ـ أي يطينه ويصلحه ، وأصله من اللصوق . النهاية في غريب الحديث ٢٧٧/٤ .

٣ـ البخاري (ح٧١٢١) . وأحمد عن أبي هريره ٣٦٩/٢ .

٤ـ رواه البخاري (ح ١٠٥٩) ، ومسلم (ح٩١٢) ، والنسائي (ح١٥٠٣) .

٥ـ رواه ابن ماجه (ح٤٠٨١) ، وأحمد ٣٧٥/١ ، وقال أحمد شاكر اسناده صحيح انظر تحقيقه للمسند ١٩٠/٥ (ح٣٥٥٦) .

رابعــاً : موقف المومنين والكافرين من الساعة .

يتميـز موقـف المؤمـنين بتصديقهم وإيمانهم بالساعة وماتشتمل عليه من أحداث وأهوال ، كما أنهم يؤمنون بوقوعها وأنها آتية لامحالة ، كما يؤمنون بأن علم وقت مجيئها موكول إلى الله عز وجل لايعلمه إلا هو ﴿ قل إنما علمها عند الله﴾ فهو المختص بدلك وحده لاشريك له في ذلك .

وقـد دل القـرآن الكـريـم فـي غـيـر مـا آ يـة علـى مـوقـف المـؤمـنين :

قال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون . ﴾ (١).

قال تعالى : ﴿ وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ❁ يستعجل بها الذين لايؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق . ﴾ (٢).

فالمؤمنون مشفقون خائفون من قيامها ؛ لأنهم لايعلمون متى تفجأهم .

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿ والذين آمنوا مشفقون منها ﴾ يقول : والذين صدقوا بمجيئها ووعد الله إياهم الحشر فيها ﴿ مشفقون منها ﴾ يقول وجلون من مجيئها خائفون من قيامها لأنهم لايدرون ما الله فاعل بهم فيها .)(٣).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿ والذين آمنوا مشفقون منها ﴾ أي خائفون وجلون لاستقصارهم أنفسهم مع الجهد والطاعة كما قال : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون . ﴾ وقوله : ﴿ ويعلمون أنها الحق ﴾ أي التي لاشك فيها .) (٤).

هذا هو موقف المؤمنين وحالهم وإيمانهم بالساعة .

أما الكافرون بها فهم على خلاف ذلك مكذبين معاندين مستهزئين بها .

قال عز وجل مبيناً حالهم وموقفهم من الساعة :

قال : ﴿ وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب

١ـ الأنبياء ٤٩ .

٢ـ الشورى ١٧ـ ١٨ .

٣ـ جامع البيان ٢٥/٢٠ .

٤ـ الجامع لاحكام القرآن ١٦/١٥ .

لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولافي الأرض . ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لايؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد . ﴾ (٢).

وقال تعالى على لسان بعض المكذبين بلقاء الله : ﴿ . . وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى . ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً . ﴾ (٤).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل هذه الآية : (يقول تعالى ذكره : ما كذب هؤلاء المشركون بالله وأنكروا ما جئتهم به يا محمد من الحق . . إلا من أجل أنهم لايوقنون بالمعاد ، ولايصدقون بالثواب والعقاب تكذيباً منهم بالقيامة ، وبعث الأموات أحياء لحشر القيامة .

وقوله : ﴿ وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ﴾ يقول واعتدنا لمن كذب ببعث الأموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة ناراً .)(٥).

وقال ابن كثير نحوه (٦).

وقد دلت السنة على كلا الموقفين :

فمما جاء من السنة في بيان موقف المؤمنين مايلي :

حديث أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ قال : (خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فزعاً يخشى أن تكون الساعة ، فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله .) الحديث (٧).

فدل هذا الحديث على عدم علم النبي ﷺ بوقت قيامها وإلا لما كان

١- سبأ ٣ .

٢- الشورى ١٧ ، ١٨ .

٣- فصلت ٥٠ .

٤- الفرقان ١١ .

٥- جامع البيان ١٨/١٨٦ .

٦- تفسير القرآن العظيم ٦/١٠٤ .

٧- رواه البخاري (ح ١٠٥٩) . وقد تقدم تخريجه انظر ص ٣٤ .

فزعه شديداً خوفاً من قيامها . وموقف النبي ﷺ هو الموقف الأسمى للمؤمنين.

وعن النواس بن سمعان - رضي الله عنه - قال : ذكر الرسول ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل ، فلما رجعنا إليه عرف ذلك فينا فقال : ما شأنكم ؟ قلنا يارسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل . . .) الحديث (١).

فالدجال من علامات الساعة وأشراطها ، فإذا كان الإنسان لايعلم متى يخرج فمن باب أولى عدمة علمه بوقت مجيئ الساعة .

وكثير ما كان النبي ﷺ يوجه من يسأله عن الساعة إلى الإعداد لها ، والاستعداد للقاء الله عز وجل بالعمل الصالح .

عن أنس - رضي الله عنه - أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال : متى الساعة ؟ قال وما أعددت لها ؟ قال لاشيء غير أني أحب الله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : (أنت مع من أحببت .) (٢).

أما مايدل من السنة على موقف الكافرين فمنه مايلي :

حديث ابن عباس - رضي الله عنه - قال : جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففتته بيده فقال : يامحمد : أيحيي الله هذا بعدما أرم ؟ قال : (نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم .) (٣).

١- رواه مسلم (ح٢١٣٧) .

٢- رواه البخاري (ح ٣٦٨٨) .

٣- رواه الحاكم ٤٢٩/٢ وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي / وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٣١/٢٣ . وابن أبي حاتم ، انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٨٠/٦. وصححه ابن مردويه انظر تفسير الشوكاني ٣٨٤/٤ .

خامساً : اختصاص الله بعلمها دون من سواه :

دل الكتاب العزيز في غير ماموضع منه على تفرد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعلمها ، كما دل على أنه لم يطلع عليها ملكاً مقرباً ولانبياً مرسلا .

قال تعالى : ﴿ إليه يرد علم الساعة . ﴾ (١).

وقال أيضاً : ﴿ وعنده علم الساعة وإليه ترجعون . ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً . ﴾ (٣).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل هذه الآية : (يسألك الناس يامحمد عن الساعة متى هي قائمة ؟ قل لهم : إنما علم الساعة عند الله لايعلم وقت مجيئها غيره .) (٤).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿ قل إنما علمها عند الله ﴾ أي أجبهم عن سؤالهم وقل علمها عند الله ، وليس في إخفاء الله وقتها عني مايبطل نبوتي، وليس من شرط النبي أن يعلم الغيب بغير تعليم من الله عز وجل .) (٥)

.

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ يقول تعالى مخبراً لرسوله ﷺ : (إنه لاعلم له بالساعة ، وإن سأله الناس عن ذلك . وأرشده إلى أن يرد علمها إلى الله عز وجل كما قال له في سورة الأعراف : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي . ﴾ فاستمر الحال في رد علمها إلى الذي يقيمها .) (٦).

وقوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لايجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة . ﴾ (٧).

١ـ فصلت ٤٧ .
٢ـ الزخرف ٨٥ .
٣ـ الأحزاب (٦٣) .
٤ـ جامع البيان في تأويل القرآن ٤٩/٢٢ .
٥ـ الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/١٤ .
٦ـ تفسير القرآن العظيم ٤٧٢/٦ بتصرف .
٧ـ الأعراف ١٨٧ .

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (أمر تعالى نبيه ﷺ إذا سئل عن وقت الساعة أن يرد علمها إلى الله تعالـى . فإنه هو الذي يجليها لوقتها ، أي : يعلم جلية أمرها ومتى يكون على التحديد . لايعلم ذلك إلا هو تعالى ، ولهذا قال : ﴿ ثقلت في السموات والأرض ﴾ أي : ثقل علم وقتها على أهل السموات والأرض .) (١).

وقوله تعالى : ﴿ يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها . ﴾ (٢).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿ إلى ربك منتهاها ﴾ يقول إلى ربك منتهى علمها أي إليه ينتهي علم الساعة ، ولايعلم وقت قيامها غيره . . .) (٣).

وكذلك الآيات والأحاديث المتقدمة في كونها تأتي بغتة كلها تدل دلالة واضحة على أن الناس لايعلمون وقت مجيئها وإلا لما كان إتيانها بالنسبة لهم بغتة إذا كانوا يعلمون وقتها ، ولذلك كان اتيانها من غير علم سابق .

فالآيات صريحة بأن علمها موكول إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فلا يعلمها أحد سواه لاملك مقرب ولانبي مرسل والآيات واضحة أشد الوضوح فلا تحتاج إلى بيان .

وقد دلت السنة على ذلك أيضاً في عدة أحاديث منها مايلي :

جاء في حديث جبريل ـ عليه السلام ـ المشهور من رواية أبي هريرة وعمر وابنه ـ رضي الله عنهم ـ وفيه : (قال يارسول الله متى الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل . . .) الحديث (٤).

وفي رواية لأحمد عن عامر بن أبي عامر الأشعري : (. . قال متى الساعة يارسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ : (سبحان الله ! خمس من الغيب

١ـ تفسير القرآن العظيم ٥٢٠/٢ .
٢ـ النازعات ٤٢ ـ ٤٤ .
٣ـ جامع البيان ٤٨/٣٠ .
٤ـ رواه البخاري (ح ٤٧٧٧)، ومسلم عن ابن عمر (ح ٨) وعن أبي هريرة (ح ١٠) .

لايعلمهن إلا الله ، إن الله عنده علم الساعة . . .) (١).

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ (أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال : متى الساعة ؟ قال : وماذا أعددت لها ؟ قال : لاشيء إلا أني أحب الله ورسوله. فقال ﷺ أنت مع من أحببت . . .) (٢).

ومنها أيضاً ما تقدم في الغيب المطلق مما يدل على اختصاص الله وحده دون من سواه بعلمها .

وبهذا يتبين لنا مما تقدم عدة حقائق :

أولا : أن الله عز وجل أكد مجيء الساعة وأنها واقعة لا محاله .

فهذا إخبار من الله ـ عز وجل ـ كشف لنا به عن طرف من الغيب الذي لا نعلمه إلا بإخباره لنا ـ سبحانه وتعالى ـ فلو لم يخبرنا بذلك ولا أخبرنا به رسول الله ﷺ لماعلمناه من تلقاء أنفسنا .

فمجيء الساعة لا يعد العلم به غيباً وإنما الغيب هو : وقت المجيء .

ثانياً : أن الساعة قريبة بحيث يتوقع الناس مجيئها في كل لحظه .

وبذلك يعلم أن الساعة ليست بعيدة الأجل ، بل قريبة ، فتوقع قيامها في أي لحظه لايعني علماً بالغيب ؛ بل ذلك مما جاءت به النصوص الشرعية .

ثالثاً : أن قيامها سيكون مفاجئاً بدون علم أحد بوقته .

فتحديد زمن قيامها مما لايعلمه أحد لاملك مقرب ولا نبي مرسل .

رابعاً : أن المؤمنين مصدقون بوقوعها فهي من الغيب الذي يصدق به المؤمنون لأنه مما أخبرهم به ربهم عز وجل .

خامساً : أن زمن وقوعها وما تشتمل عليه من أحداث مما أخفاه عز وجل عن خلقه .

وبهذ ا يتبين لنا الجوانب التي تعتبر غيباً والجوانب التي لاتعتبر غيباً في أمر الساعة .

١- المسند ١٢٩/٤، ١٦٤ . وكذلك رواه عن عبد الله بن عباس ٣١٩/١ .

٢- رواه البخاري (ح٣٦٨٨) . ورواه بلفظ آخر (ح٥٩) .

سادساً : أشـراط الساعـة :

قد تبين مما سبق أن علم الساعة من اختصاص الله - جل وعلا - ، وأنه لايمكن لأحد من الخلق كائناً من كان أن يطلع على وقت مجيئها ووقت قيامها لاملك مقرب ولانبي مرسل .

ولكن الله - جل وعلا - جعل لها أمارات وعلامات وأشراط تدل عليها وعلى قربها .

وقد وردت آثار تبين علاماتها وأمارتها .

وهذه الآثار التي أخبر بها النبي ﷺ وبين فيها علاماتها وأماراتها هي من الأمور الغيبية التي قد خصه الله - سبحانه وتعالى - بالاطلاع عليها ، فكانت هذه العلامات التي أخبر بها من الغيب الذي أطلعه الله عليه وخصه به ، وسأرجئ الحديث عنها إلى موضعها في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى .

المبحث الثالث : العلم بالغيث

العلم بالغيث

تعريفه :

(الغيث هو المطر والكلأ ، وقيل الأصل المطر ثم سمي ماينبت به غيثاً . . ويقال غاثهم الله ، وأصابهم غيث ، وغاث الله البلاد يغيثها غيثاً إذا نزل بها الغيث وغِيْثَت الأرض تُغَاثُ غَيْثَاً فهي مَغِيثَة ومَغْيُوثَة ، وغِيْثَ القوم أصابهم الغيث وسمي الغيث غيثاً لأنه يغيث الخلق . ويطلق الغيث ويراد به الكلأ الذي ينبت من ماء السماء .) (١).

قال قتادة : ذكر أن رجلا قال لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يا أمير المؤمنين قحط المطر وقل الغيث وقنط الناس . فقال : مطرتم إن شاء الله ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا .﴾ (٢).

ويطلق الغيث على المطر ؛ ولكن المطر أشمل وأعم من الغيث ؛ لأن المطر يطلق على النافع والضار ، أما الغيث فلا يطلق إلا على المطر النافع فقط .

قال تعالى : ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين . ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منظود . ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ فأمطر علينا حجارة من السماء . ﴾ (٥).

وقال تعالى : ﴿ ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر . . . ﴾ (٦).

وقال تعالى في ذكر الغيث : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته . ﴾ (٧).

فالمطر غالباً مايطلق في القرآن على العذاب بخلاف الغيث فإنه لم يرد

---

١ ـ انظر لسان العرب ١٧٤/٢ مادة غيث
٢ـ أخرجة بن جرير في تفسيره ٣٦/٢٥ .
٣ـ الشعراء ١٧٣ ، والنمل ٥٨ .
٤ـ هود ٨٢ .
٥ـ الأنفال ٣٢ .
٦ـ النساء ١٠٢ .
٧ـ الشورى ٢٨ .

إلا في نزول رحمة الله من الماء .

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (الغيث ماكان نافعاً في وقته والمطر قد يكون نافعاً وضاراً في وقته وغير وقته .) (١).

وقد ورد ذكر الغيث وإنزال الماء من السماء في الكتاب والسنة بأساليب متنوعة منها مايلي :

أولا : إنـزال المـطـر مـن فعـل اللـه عـز وجـل :

ورد ذلك في عدة آيات من القرآن الكريم منها :

قوله تعالى : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً . ﴾(٢).

وقوله تعالى : ﴿ أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً﴾الآيه(٣)وقوله تعالى : ﴿ أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون . ﴾ (٤).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل هذه الآية : (يقول تعالى ذكره أفرأيتم أيها الناس الماء الذي تشربون ، أأنتم أنزلتموه من السحاب فوقكم إلى قرار الأرض أم نحن منزلوه لكم ، لو نشاء جعلنا ذلك الماء الذي أنزلناه لكم من المزن ملحاً أجاجاً - والأجاج ما اشتدت ملوحته - فلم تنتفعوا به في شرب ولا غرس ولازرع .) (٥).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون ﴾ لتحيوا به أنفسكم وتسكنوا به عطشكم ؛ ﴿ أأنتم أنزلتموه ﴾ من السحاب ﴿ أم نحن المنزلون ﴾ فإذا عرفتم أني أنزلته فلم لا تشكروني بإخلاص العبادة لي . ﴾ (٦).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : قوله : ﴿ أأنتم أنزلتموه من المزن ﴾

١- الجامع لأحكام القرآن ٢٩/١٦ .
٢- الحجر ٢٢ .
٣- النمل ٦٠ .
٤- الواقعة ٦٨ .
٥- جامع البيان في تأويل القرآن ٢٠٠/٢٧ .
٦- الجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/١٧ .

يعني السحاب قاله : مجاهد وغير واحد .) (١).

وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته . ﴾ (٢)

قال ابن جرير في تأويل هذه الآية : (يقول تعالى ذكره والله الذي ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس ﴿ من بعد ماقنطوا ﴾ يقول من بعد ما يئسوا من نزوله ومجيئه .) (٣).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ أي من بعد إياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه كقوله تعالى : ﴿ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ (٤).

وقوله تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث . . ﴾ الآية (٥).

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل هذه الآية : (هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها فعلم وقت الساعة لايعلمه لانبي مرسل ولاملك مقرب . ﴿ لايجليها لوقتها إلا هو ﴾ وكذلك إنزال الغيث لايعلمه إلا الله ؛ ولكن إذا أمر به علمه ملائكته الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه .) (٦).

ورود في السنه مايدل على ذلك أيضاً :

عن زيد بن خالد الجهني قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : (أتدرون ماذا قال ربكم .) ؟. قالوا : الله ورسوله أعلم قال : (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر

١- تفسير القرآن العظيم ١٨/٨ .
٢- الشورى ٢٨ .
٣- جامع البيان ٣١/٢٥ .
٤- تفسير القرآن الكريم ٧/ ١٩٤ .
٥- لقمان ٣٤ .
٦- تفسير القرآن العظيم ٣٥٤/٧ .

بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ؛ فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب .) (١).

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول لله ﷺ فقال : يارسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : (اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا .).

قال أنس : فلا والله مانرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيء ، ولابيننا وبين سلع من بيت ولا دار . قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت . . الحديث (٢).

وفي حديث أبي هريرة في مجيء جبريل - عليه السلام - ليعلم الناس أمور دينهم وفيه « في خمس من الغيب لايعلمهن إلا الله ثم قرأ : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وماتدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت . . . ﴾ (٣).

قال ابن العربي - رحمه الله تعالى - : (من انتظر المطر من الأنواء على أنها فاعلة له دون الله فهو كافر ، ومن اعتقد أنها فاعلة بما جعل الله فيها فهو أيضاً كافر ؛ لأنه لايصح أن يكون الخلق والأمر إلا لله ، كما قال تعالى : ﴿ألا له الخلق والأمر﴾(٤).

ومن انتظرها وتوقع المطر منها على أنها عادة أجراها الله فلا شيء عليه فإن الله قد أجرى العوائد في السحاب والرياح والأمطار بمعان ترتبت في الخلقة وجاءت على نسق العبادة) (٥).

فتبين من هذا أن الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بإنزال المطر وهو

١- رواه البخاري (ح ٨٤٦)، ومسلم (ح٧١) . والنسائي نحوه ح١٥٢٤ باب ١٦ ، ٣/ ١٦٤ . وأحمد نحوه ١١٦/٣ ، ١٣٣ .

٢- رواه البخاري (ح ١٠١٣) . ومسلم نحوه (ح ٨٩٧) .

٣- مسلم الإيمان (ح ١٠). وأحمد ٣١٩/١ ، ١٣٩/٤ ، ١٢٩/٤ ، ١٦٤ . والبخاري بنحوه ح ٤٧٧٧ ، ٤٧٧٨ .

٤- الأعراف ٥٤ .

٥- القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ٤٥/١ - مخطوط .

القادر عليه وحده دون من سواه ، مما يوجب على الإنسان أن يطلب المطر منه وحده ، وأن ينسبه إليه وحده ، ويحمده ويشكره عليه وحده فهو الذي اختص بإنزال الغيث كما قال : ﴿ . . وينزل الغيث . ﴾ فلا أحد يستطيع أن ينزل الغيث غيره .

أما مايذكر من أن البشر قد توصلوا بفضل الله ثم بفضل ما سخره لهم من الحديد ونحوه إلى إنزال الغيث فليس ذلك على إطلاقه . فإن مايسمونه بالمطر الصناعي ماهو إلا : (إحداث حالات من فوق السحب العابرة لتجود بالمطر باستخدام طرق صناعية للتكاثف ، مثل نثر بلورات الثلج ، أو الثلج الجاف « ثاني أكسيد الكربون الصلب » عن طريق طائرة تحلق فوق السحاب مما يعجل بسقوط المطر)(١).

واستخدموا في إنزال المطر عدة طرق منها مايلي :

الأولى : هي الطريقة الآنفة الذكر ، وهي بث ثاني اكسيد الكربون الصلب في ظروف درجات حرارية واطئة جداً ؛ والذي يعمل بدوره على تجميد عدد كبير من القطرات المائية الموجودة في السحب مما يؤدي إلى بداية عملية التساقط .

الثانية : تتلخص في إلقاء غاز يوريد الفضة « AGF » في السحب مما يؤدي إلى انخفاض حرارتها ، وهذا يعمل على تكوين البلورات المجهرية الدقيقة جداً في الهواء مما يؤدي إلى خفض درجات الحرارة إلى أربع درجات مئوية ، فينتج عن ذلك تكون البلورات الثلجية في السحب وبالتالي يؤدي إلى سقوط المطر .

الثالثة : تتلخص بتجميد عناصر السحب (٢).

ومن المعلوم أنه كلما ازدادت احتمالات تجمد السحب فإنه ينشأ التساقط إذ أن زيادة رطوبة السحب يزيد من احتمال سقوط المطر ، غير أنه قد يطرأ تطورات شديدة على السحب تؤدي إلى زيادة أو نقصان الرطوبة ، فعند

١- الموسوعة الثقافية لفظة مطر .
٢- الطقس والمناخ والارصاد الجوية ٣٤٤ .

وقوع التجمد على ارتفاعات شاهقة فإنه يؤدي إلى انعدام جميع أشكال التساقط ، ومن ثم تتشتت السحب ولا يسقط المطر ولذلك حاول الإنسان تحويل هذه السحب المتبعثرة إلى سحب ممطرة باستخدام الطرق الآنفة الذكر .

ولكن نتائج تلك الطرق والأبحاث لازالت غير دقيقة وصعبة ، فقد لاتتضح دائماً إمكانية التساقط الاصطناعي من السحب ولذا فإن استخدام هذه الطرق الكميائية في عملية التساقط الاصطناعي متواجدة على نطاق ضيق تقريباً (١).

وفي الحقيقة أن إنزال المطر في عرف بعض الناس ينحصر في سقوطه على الأرض ، وهذه نظرة ساذجة من هؤلاء الناس ؛ وإلا فإن إنزال المطر يمر بمراحل دقيقة وعظيمة لايقدر عليها إلا الله عز وجل :

أولها : تبخر هذه السحب من البحار وارتفاعه إلى السماء ـ كما يذكر ذلك

الطبائعيون . (٢) فمن يستطيع ذلك ؟ .

ثانيها : تجمع هذه الأبخرة في منظومة واحدة تشكل سحاباً في السماء فمن يستطيع أن يفعل ذلك ؟.

فهذه البحار موجودة والشمس موجودة والرياح موجودة وهي أطراف في هذه العملية فلماذا لانرى السحاب ينعقد في كل لحظة مع أن أسبابه

١- انظر الطقس والمناخ والارصاد الجوية ٣٤٤، ٣٤٥ .

٢- وقد كان العرب يزعمون أن بعض المطر أصله من البحر إلا أنهم يسندون فعل ذلك للفاعل المختار ـ جل وعلا ـ ومن أشعارهم في ذلك قول طرفة بن العبد :

لاتلمني إنها من نسوةٍ رُقَّدَ الصَّيْفِ مَقَالِيتَ نـُزُرْ
كبنات البحر يمأن إذا أنبتَ الصيفُ عساليجَ الخَضِر

قوله بنات البحر يعني المزن التي أصل مائها من البحر .

وقول أبو ذؤيب الهذلي :

سقى أم عمرو كل آخر ليلةٍ حناتم سود ماؤهن ثجيجُ
تروت بماء البحر ثم تنصبتْ متى لجج خضر لهن نئيجُ

يعني السحاب شربن من ماء البحر ، و(متى) بمعنى (من) في لغة هذيل ، ومتى لجج يعني من لجج ==
= أخرجت الماء من البحر . انظر أضواء البيان ٧٨٧/٥ . وكتاب شرح أشعار الهذليين ١٢٩/١ . وديوان طرفة بن العبد ٧٣ ، ٧٤ .

الظاهرة موجودة .

ثالثها : تهيؤ السحاب للنزول ، وهي عملية تجري في السماء بتقدير الله - عزوجل - ومشيئته . فكم نرى السحاب في السماء ثم لاينزل المطر ؟ . ذلك لأن الله عز وجل لم يرد إنزاله لعدم تهيُّئِه للنزول .

رابعها : سقوط المطر ونزوله ، فهذه المرحلة تعتبر مرحلة نهائيه في نزول المطر .

فإذا عمد الإنسان إلى بعض التجارب التى ينزل بها شيئاً من هذا السحاب بدعوى أنه يستطيع أن ينزل المطر فإن ذلك يكون تفكيراً ساذجاً .

وهذا لايسمى مطراً وإنما يسمى استمطاراً ؛ إذ السحاب قد رفع وجمع وهيِّئ فإذا جيء ببعض المواد الكميائية وألقيت على السحب فتساقط منه بعض القطرات فهل يسمى هذا مطراً ؟ ! .

ما أحرى الإنسان أن يعيد النظر في نفسه وقدرته ليعرف الفرق بين قدرة خالقه وقدرته الضعيفة العاجزة .

فلو تأمل الأنسان المطر الإلهي وهو ينزل بكميات وهيأة عجيبة ثم قارن بها مايعمله الإنسان لإنزال المطر لأدرك معنى قوله تعالى : ﴿ وينزل الغيث﴾.

هذا فضلا عن (أن المطر الصناعي ماهو إلا عملية أقرب إلى النظرية منها إلى العملية ، فهي طريقة غير ناجحة ، بل كثيراً ما تكون فاشلة .) (١).

ولوصحت ونجحت لانتشرت بشكل كبير في العالم . وكل مافي الأمرأن دورالإنسان ينحصر في محاولته لجمع شتات السحب ومن ثم تجميدها لتكون مهيئة للسقوط .

فتبقى الآية دالة على تفرد الله - سبحانه وتعالى - بإنزال المطر دون غيره .

١- انظر الأرصاد الجوية ١٥٥ ومابعدها

ثانياً : لايعلم وقت نزول المطر إلا الله سبحانه وتعالى :

ورد ذلك في عدة آيات من القرآ ن الكريم منها مايلي :

قوله تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث . . ﴾ الآية (١).

قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل هذه الآية : ﴿ وينزل الغيث ﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أونهاراً . .) (٢) .

وقال ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ : (لايعلم أحد متى ينزل الغيث إلا الله)(٣).

وقال الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿ وينزّل الغيث ﴾ قال : في الأوقات التي جعلها معينة لإنزاله ولا يعلم ذلك غيره .) (٤).

وقوله تعالى : ﴿ وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته . ﴾(٥)

وقوله تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وماتسقط من ورقة إلا يعلمها . . ﴾ (٦).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل هذه الآية : (إن الله عنده علم ماغاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه ولم يعلموه ولن يدركوه ...، وعنده أيضاً علم مالم يغب عنكم ؛ لأن مافي البر والبحر مماهو ظاهر للعين يعلمه العباد فعنده علم ماخفي عنكم وما لم يخف ، فأخبر أن عنده علم كل شيء كان ويكون وماهو كائن ممالم يكن بعد إذا كان كيف يكون .) (٧).

وورد من السنة مايدل على ذلك منه مايلي :

عن ابن عمر ـ رضي الله عنة ـ قال: قال: رسول لله ﷺ (مفتاح الغيب

١- لقمان ٣٤ .

٢- انظر جامع البيان في تأويل القرآن ٨٨/٢١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣٥٧/٦ ، ٣٥٨ .

٣- انظر جامع البيان في تأويل القرآن ٨٨/٢١ .

٤- فتح القدير ٢٤٧/٤ .

٥- الشورى ٢٨ .

٦- الأنعام ٥٩ .

٧- انظر جامع البيان ٤٠٢/١١ .

خمس لايعلمها إلاالله : لايعلم أحد مايكون في غد ولايعلم أحد مايكون في الأرحام ، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً وماتدري نفس بأي أرض تموت ومايدري أحد متى يجيء المطر .) (١).

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : (مفاتيح الغيب خمس لايعلمها إلا لله ، لا يعلم ماتغيض الأرحام إلا الله ، ولايعلم مافي غد إلا لله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله .) (٢).

حكم من ادعى العلم بنزول المطر :

دلت هذه النصوص على أن علم وقت نزول المطر مختص بالله وحده دون من سواه ، فلا يستطيع أحد أن يعرف وقت نزول المطر ويجزم به ؛ لأنه بذلك يكون مدعياً لعلم الغيب الذي اختص الله به ؛ فمن ادعى ذلك وجزم به فهو كافر .

أما إذا لم يجزم بذلك وجعل الحكم بحسب العادة والتجربة فلايُكَفَّر ولا يُفَسَّق ؛ لأن ذلك جائز .

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (قال علماؤنا : أضاف الله سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ماآية من كتابه إلا من اصطفى من عباده ، فمن قال : إنه ينزل الغيث غداً وجزم به فهو كافر ، أخبر عنه بأمارة إدعاها أم لا .).

قال : (أماإن لم يجزم وقال : إن النوء ينزل الله به الماء عادة ؛ وأنه سبب الماء عادة ، وأنه سبب الماء على ماقدره الله وسبق في علمه لم يُكَفَّر ؛ إلا أنه يستحب أن لا يتكلم به فإن فيه تشبيهاً بكلمة الكفر ، وجهلا بلطف حكمته، لأنه ينزل متى شاء مرة بنوء كذا ومرة دون النوء . . .) (٣).

وعلى هذا فالاستدلال بالعلامات التي وضعها الله ـ سبحانه وتعالى ـ

١ـ البخاري (ح ١٠٣٩) .
٢ـ البخاري (٧٣٧٩) ، (٤٦٩٧) .
٣ـ الجامع لأحكام القرآن ٢/٧ .

وأجرى بها العادة لتدل على نزول المطر أوغيره ، لا شيء في الاستدلال بها على ماتدل عليه من نزول المطر أو غيره ؛ فإن الله قد جعل السحب مبشرات بالخير .

قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ﴾ (١).

وقال : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت . ﴾(٢).

وقال : ﴿ أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون . ﴾ (٣).

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (أي الرياح تبشر بالمطر . . ﴾ (٤).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يذكر تعالى نعمه على خلقه بإرسال الرياح مبشرات بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقبها . .) (٥).

وتبين من هذه الآيات أن توقع نزول المطر بالاستدلال بالرياح أمر جائز ؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل هذه الرياح علامات لذلك ، وأرشدنا إليها في الآيات السابقة .

كما أن العرب تستدل على الأمطار بعلامات يعرفونها بحسب ماعتادوه وجربوه من أنواع الرياح وأنواع السحب ، كما في قصة الأعمى مع ابنته التي أخرجها الخطيب البغدادي بسنده حيث قال :

خرج أعرابي ضرير في لقاء إبل له (٦) ضلت ومعه بنت له تقوده فمر بواد معشب فقالت : ياأبت ما رأيت مرتع إبل كهذا . فقال إن رد الله علينا إبلنا سرحنا فيه ، فلم يلبثا أن وجداها ، فأرسلا فيه فجعلت تخضم (٧) أطوله

١- الروم ٤٦

٢- الأعراف ٥٧ .

٣- النمل ٦٣.

٤- الجامع لاحكام القرآن ٢٢٩/٧ .

٥- تفسير القرآن العظيم ٤٣٦/٣ .

٦- أي في طلب إبل له ضاعت

٧- تخضم تقطع وتأكل ، والخضم بجميع الفم

وأقصره فبينما هما كذلك قالت ابنته : ياأبت إني أخاف المطر قال : وما الذي ترين ؟ قالت : أرى سحاباً دواني وسحاباً بواني (١) فقال: ارعي لابأس عليك ، فرعت ساعة ، ثم قالت يا أبت إني أخاف المطر . قال وما الذي ترين ؟ . قالت : أراها كبطون الأتُن القُمْر (٢) في المرابض الغبر (٣) قال : ارعي لابأس عليك فرعت ساعة ثم قالت : يا أبت إني أخاف المطر قال : وماالذي ترين قالت أرى سحاباً دون سحاب كأنه نعام يعلق بأرجله . قال : ارعي لابأس عليك . فرعت ساعة ؛ ثم قالت : ياأبت إني أخاف المطر . قال : وما الذي ترين؟. قالت : سحاباً أكاد أرفعه بيدي . قال : ارعي لابأس عليك . فرعت ساعة ثم قالت : إني والله أخاف المطر . قال وماالذي ترين ؟ قالت : أراها قد اسلنطحت (٤) وانتصبت وابيضت ، قال : ويحك ! فانجي بنا ولا أظنك ناجية . فلم يبلغا آخر الوادي حتى سال أوله . .) (٥) .

وبصرف النظر عن صحة هذه القصة من عدم صحتها ، إلا أنها ممايدل على ما كان لدى العرب من الاستدلال بأنواع السحب على وقت نزول المطر .

فالاستدلال بمثل هذه العلامات أمر جائز لاغبار عليه ، وهو قد يصيب تارة ويخطئ أخرى .

ومثل هذا أيضاً التوقعات والأرصاد الجوية الموجودة في العصر الحاضر ، ماهي إلا توقعات مبنية على مقدمات مستفادة من الأحوال الجوية القائمه على دراسة الكتل الهوائية لمنطقة كبيرة ، فتدرس الجهات الهوائية وترتيب الرياح ، وتحديد نسبة وكثافة السحب المنتشرة ، وتوزيع درجات الحرارة ومناطق الانخفاظات والارتفاعات الجوية ، وبقية المعلومات الأخرى

١- سحاباً دواني أي قريبة ، وسحاباً بواني أي بائنة من الاولى بعيدة عنها ، وقد يراد بها السحب المليئة بالمطر . لسان العرب مادة بون ٦١/١٣ .

٢- أتن جمع أتانة وهي الحمارة . القمر أي شديدة البياض والعرب تصف السحاب الممطر الشديد البياض بذلك لكثرة ماءه . لسان العرب مادة قمر ، ١١٣/٥ .

٣- المرابض الغبر أي : كثير الغبار من قلة المطر . لسان العرب مادة غبر ، ٤/٥ .

٤- اسلنطحت أي اتسعت وانتشرت . لسان العرب مادة سلطح ٨٨/٢ .

٥- حكم الإشتغال بالنجوم ق ٥ ب - ٦ - أ .

الجوية المتعلقة بظروف الدورة الهوائيه . .) (١) .

وكثيراً مايكون الأمر على خلاف ماقالوه وتوقعوه . والقول بمثل هذه الأشياء لابأس به ؛ غير أنه لايجوز أن يجزم المرء بما سيحدث في المستقبل من أمطار أواعصار أوانخفاظ في الحرارة أو زيادة فيها ؛ لأن هذا من علم الغيب الذي استأثر الله - سبحانه وتعالى - بعلمه دون من سواه . والجزم بمثل هذا لايجوز كما تقدم ذكره .

فتبين من هذا اختصاص الله سبحانه وتعالى بعلم وقت نزول المطر وحده دون من سواه ، وذلك قبل نزول الأمر به ، فإذا ماأمر به علمته ملائكته . . (٢).

ثالثاً : لايعلم مقداره إلا اللــه :

ومما يدل على ذلك من القرآ ن الكريم مايلي :

قوله تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها . . ﴾ الآية (٣).

قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض . ﴾ (٤).

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - في تأويل قوله تعالى ﴿ بقدر ﴾ قال : أي مقدار يصلح ؛ لأنه لو كثر أهلك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . ﴾ (٥).

وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى : ﴿ بقدر ﴾ (أي : بحسب الحاجة لا كثيراً فيفسد الأرض والعمران ، ولا قليلا فلا يكفي الزرع والثمار بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به .) (٦).

وقوله تعالى : ﴿ والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً . ﴾(٧).

١- انظر كتاب الطقس والمناخ والأرصاد الجوية ١٩٦ . وكتاب الطقس ٩٦.
٢- انظر تفسير القرآن العظيم ٣٥٤/٦ .
٣- الرعد ١٧ .
٤- المؤمنون ١٨ .
٥- الجامع لاحكام القرآن ١١٢/١٢ .
٦- تفسير القرآن العظيم ٤٦٤/٥ .
٧- الزخرف ١١

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - في تأويل هذه الآية (أي نزل سبحانه من الأمطار بمقدار حاجتكم إليه فلم يجعله كالطوفان فيكون عذاباً كالذي أنزل على قوم نوح ؛ ولا جعله قليلا لاينبت به النبات والزرع من قلته ؛ ولكنه جعله غيثاً مغيثاً ، وحياً للأرض الميتة محيياً .) (١).

وقال تعالى : ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . ﴾(٢).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : (يقول تعالى ذكره وما من شيء من الأمطار إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر ، لكل أرض معلوم عندنا حده ومبلغه .) وذكر نحو ذلك بسنده عن ابن مسعود - رضي الله عنه - (٣).

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - : ﴿ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ أي : ولكن لاننزله إلا على حسب مشيئتنا وعلى حسب حاجة الخلق إليه كما قال تعالى ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر مايشاء﴾(٤).(٥)

ومن هنا يتبين لنا من هو الذي يعلم مقدار المطر المنزل ، ويعلم حاجة العباد له فينزل المقدار الذي ينفعهم ويسد حاجتهم بدون زيادة أونقصان . فهو المختص بعلم مقدار المطر ، بل إنه يعلم مقدار القطرات التي تنزل من السحاب فكل شيء عنده بمقدار .

أما البشر فلا يمكن أن يعرفوا مقدار المطر الذي أنزله الله على وجه التحديد وإن بلغوا من العلم مابلغوا ؛ وإن تطورت آلاتهم ووسائلهم فلا يمكن أن يعرفوا مقدار المطر على وجه الدقة والتحديد ، ولكن قد يعرفون مقداره بالجملة وذلك باستخدام أجهزة قياس المطر التي من أبسطها وأكثرها انتشاراً الجهاز القياسي « *RAIN AUGE* » وهو عبارة عن اسطوانة معدنية قطرها حوالي

١- جامع البيان ٢٥/٥٢ .
٢- الحجر ٢١ .
٣- جامع البيان ٢٤/١٨ بتصرف .
٤- الشورى ٢٧
٥- الجامع لاحكام القرآن ١٠/ ١٤.

٢ سم وبداخلها قمع لجمع الماء ، ومقياس يقاس به تجمع الجهاز الماء الساقط من المطر ، ويوضع هذا الجهاز دائماً في العراء ، فيدل ارتفاع الماءالمتجمع على كمية المطر الذي سقط .

وهناك مقاييس أخرى غير هذه يمكن بواسطتها تقدير كمية المطر الساقط على الأرض (١).

وكل هذه المقاييس تقديرية تقريبة ، وإلا فإنه لايمكن أن يعلم أحد بمقدار المطر سوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وبعض الملائكة الموكلين بالقطر . فيبقى تقيدر كمية المطر من علم الغيب الذى استأثر الله بعلمه ، فمن زعم أنه يعلم مقدارالمطر اطلاقاً فإنه كاذب مفتري على الله الكذب بادعائه علم الغيب .

رابعاً: لايعلم أحـد من الخلـق المكـان الذي سينـزل فيـه المطـر :

قد وردت النصوص الشرعية تقرر هذه القضية ومن تلك النصوص مايأتي :

قال الله تعالى : ﴿ **وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت . .** ﴾ (٢).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل هذه الآية : (والله الذي يرسل الرياح ليناً هبوباً طيباً نسيمها فينشئ بها سحاباً ثقالا ، حتى إذا أقلتها ساقه الله لإحياء بلد ميت قد تَعَّفت مزارعه (٣) ودرست مشاربه وأجدب أهله فأنزل الله به المطر وأخرج به من كل الثمرات .) (٤).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في معناها : (حتى إذا حملت سحاباً ثقالا بالماء ﴿ سقناه ﴾ أي السحاب لبلد ميت ليس فيه نبات .) (٥).

١ـ انظر الجغرافيا المناخية والنباتية ٢٣٢

٢ـ الأعراف ٥٧.

٣ـ أي اندرست وانمحت بسبب انعدام الماء . انظر اللسان ٧٢/١٥ مادة عفا ، وانظر أيضاً الصحاح ٢٤٣٤/٦ مادة عفا .

٤ـ جامع البيان ١٢ /٤٩٢ .

٥ـ الجامع لاحكام القرآن ٢٢٩/٧ - ٢٣٠ بتصرف .

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿ سقناه لبلد ميت ﴾ : أي إلى أرض ميتة مجدبة لانبات فيها ، كما قال تعالى : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ﴾(١)
وقال تعالى : ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز . . . ﴾ (٢).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل هذه الآية : (يقول تعالى ذكره أولم ير هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت أنا بقدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لانبات فيها . .) (٣).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (أو لم يعلموا كمال قدرتنا بسوقنا الماء إلى الأرض اليابسة التي لانبات فيها لنحييها .) (٤).

وبنحو ذلك قال ابن كثير (٥).

فتبين من هذه الأدلة أن علم المكان الذي سينزل فيه المطر موكول إلى علام الغيوب ؛ الذي لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، فهو الذي خلقه وهو أعلم به ، بل إنه لاينزل إلا في المكان الذي يأمره أن ينزل فيه فلا يمكن لأحد أن يدعي أن المطر سينزل في المكان الفلاني أوفي غيره ويجزم به . أما إذا رأى علامات يستدل بها على ذلك فلا شيء في ذلك بشطرط عدم الجزم بنزول المطر كما تقدم (٦) لأن هذا من الغيب الذي لايعلمه إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ ثم ملائكته بعد إعلامهم به .

١ـ تفسير القرآن العظيم ٣/٤٣٦ .
٢ـ السجدة ٢٧ .
٣ـ جامع البيان ٢١/ ١١٤ .
٤ـ الجامع لأحكام القرآن ١٤/١١٠ .
٥ـ تفسير القرآن العظيم ٦/٣٧٣ .
٦ـ انظر ص ٥٢ وما بعدها .

المبحث الرابع : علم الأجنة في الأرحام :

علـــم الأجنـــة فـي الأرحـــام :

هذا هو المفتاح الثالث من مفاتح الغيب التي اختص الله بها ، فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ هو المختص وحده بعلم مافي الأرحام علماً يقينياً محيطاً شاملا لكل لحظة ولكل طور من أطوار الجنين ، بخلاف غيره . فإنه إن علم شيئاً من أحوال الأجنة فإن علمه ظني قاصر غير محيط ولا شامل .

وعلم الأجنة علم عجيب دقيق يدلنا على عظمة الخالق الذي لايعجزه شيء ، كما يدلنا على حكمته البالغة حيث جعل الإنسان يمر بتلك المراحل والأطوار إلى أن يخرج من ظلمات الأرحام إلى نور الدنيا ؛ ومنها إلى ظلمات القبر حيث يعود إلى أصل خلقته ، ثم يبعثه الله من الأرض للجزاء والحساب .

وقد أخبر الله ـ جل وعلا ـ في كتابه عن بعض علم مافي الأرحام من تلك المراحل والأطوار التي يمر فيها قبل خروجه ، وحجب عنا علم الكثير منها فلم يطلعنا إلا على النزر اليسير ؛ وذلك في آيات كثيره من كتابه .

وكل تلك الآيات تدل على أن الله خلق الإنسان من ذلك الطين الأسود المنتن ثم كرمه ونفخ فيه من روحه .

قال تعالى : ﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ❁ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ❁ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ❁ ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون . ﴾(١) .

وجعل سبب تناسله يكمن في ذلك الماء المهين الذي إذا استقر في الرحم تحول بعضه بعد حين إلى العلقة التي تعلق في جدار الرحم ـ وهي قطعة دم حمراء ـ ثم تتحول بقدرة الله وبأمره إلى المضغة التي تتشكل وتتصور ، ثم إلى العظام التي تُكسى بعد ذلك باللحم والعصب ، ثم يكون خلقاً آخر يختلف اختلافاً كلياً عن مبدئه فتبارك الله أحسن الخالقين .

وهذه المراحل والأطوار التي يمر بها الإنسان في تكوين خلقه هي التي أخبر الله بها إجمالا لتكون آية من آياته الدالة على عظمته وحكمته التي

---

١ ـ السجدة ٦ ـ ٩ .

توجب على الإنسان صرف العباده لله وحده لاشريك له . وهناك تفصيلات لأحوال الجنين استأثر الله بعلمها مما لاحاجة للإنسان في معرفتها .

وقد أطلع الله بعض الخلق على شيء من ذلك فعلمه من علمه وجهله من جهله ؛ فتكون لمن علمها علم شهادة ؛ لإنه عرفها وشاهدها ، ولغيره من علم الغيب النسبي .

ومبدأ خلق الجنين يكون غيباً مطلقاً لجميع الخلق ، ثم يكون نسبياً لبعظهم بعد أن يطلعهم الله على ما شاء منه ، وذلك حسب المراحل والأحوال كما ورد في السنة .

فعلم الأجنة من الذكورية والأنوثة وتمام الخلقة وعدمها ، وطول العمر وقصره وشقاوته أو سعادته ، وأجله وحياته وموته وسلامة حواسة وطوله وقصره ، وبياضه وسواده . . . إلخ تكون في بداية الخلق غيباً مطلقاً لجميع الخلق؛ ثم تكون غيباً نسبياً لبعظهم دون الآخر ، فالملائكة تعلم ذلك حين يأمر الله الملك بأن يكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد فيكون معلوماً للملك مجهولا لغيره من الخلق . وكذلك الذكورة أو الأنوثة يعرفها الأطباء معرفة ظنية وبواسطة وذلك بعد تمام الخلق لاقبله كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

فالله - جل وعلا - قد اختص بعلم الأجل والرزق والشقاوة والسعادة . . إلخ وقد يعلمها غيره بعد اطلاع الله ذلك لهم .

وفي هذا المبحث سيكون الحديث عن الأمور التي اختص الله بعلمها فأقول وبالله التوفيق :

الجنين في اللغة :

(يقال جن الشيء يجنه جناً أي : ستره ، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك، وجنَّه الليل يجنه جناً وجنوناً وأجنه) (١) ومنه قوله تعالى : ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً ﴾ (٢).

(وسمي الجِنُّ به لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار ومنه سمي الجنين جنيناً لاستتاره في بطن أمه) (٣).

ويطلق الجنين على المقبور لأن القبر يواريه ويستره ، ويسمى القبر جَنَناً لأنه يغطي ويستر صاحبه عن الأنظار (٤).

والرحم في اللغة :

(بالكسر ككَتِف ، منبت بيت الولد ووعاؤه والقرابة وأصلها وأسبابها)(٥).

والرحم مؤنثة . قال ابن بري : شاهد تأنيث الرحم قولهم رحم معقومة.)(٦).

وأولى منه وأحرى قوله ﷺ في حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ : ((الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله.))(٧)

وقوله ﷺ : ((إن الله خلق الخلق ، حتى إذا فرغ قالت الرحم...))(٨).

قال ابن الأثير ذوا الرحم هم الأقارب ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب ، ويطلق في الفرائض على الأقارب من جهة النساء .)(٩)

١- لسان العرب مادة جنن ١٣/ ٩٢ .
٢- الأنعام ٧٦ .
٣- لسان العرب مادة جنن ١٣/ ٩٢ .
٤- انظر لسان العرب مادة جَنَنَ ٩٢/١٣، وجوهرة اللغة ٥٦/١ مادة جَنَنَ .
٥- القاموس المحيط مادة (رحم) ١٨٨/٤.
٦- لسان العرب مادة رحم ٣٣٦/١٣
٧- رواه مسلم (ح ٢٥٥٥) .
٨- رواه مسلم (ح ٢٥٥٤) .
٩- النهاية لابن الأثير ٢١٠/٢ مادة رحم .

وقد وردفي النصوص الشرعية الحديث عن الجنين ورعاية الله ـ عز وجل له في مواضع عدة من القرآن الكريم يمكن تقسيمها إلى قسمين : ـ

أولاً : بيان خلق الله عزوجـل وعنايتـه ورعايته للجنسين في رحـم أمـه :

ورد في القرآن الكريم آيات متعددة منها مايلي :

قوله تعالى : ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾(١).

وقوله تعالى : ﴿ أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا﴾(٢).

وقوله تعالى : ﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى ﴾(٣).

وقوله تعالى : ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه . . .﴾ (٤).

وقوله تعالى : ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء . ﴾ (٥).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى - في تأويل هذه الآية : (يعني جل ثناؤه : الله الذي يصوركم فيجعلكم صوراً أشباحاً في أرحام أمهاتكم كيف يشاء وأحب ، فيجعل هذا ذكراً وهذا أنثى ، وهذا أسود وهذا أحمر يعرف عباده بذلك أن جميع من اشتملت عليه أرحام النساء ممن صوره وخلقه كيف شاء .) (٦).

وقال القرطبي : قوله تعالى : ﴿ كيف يشاء ﴾ يعني من حسن وقُبْح وسواد وبياض وطول وقصر وسلامة وعاهة إلى غير ذلك من الشقاء والسعادة)(٧).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ بنحوه (٨).

١- يس ٧٧ .
٢- الكهف ٩٧ .
٣- النجم ٤٦ .
٤- الإنسان ٢ .
٥- ال عمران ٦ .
٦- جامع البيان في تأويل القرآن ٦/١٦٦ .
٧- الجامع لاحكام القرآن ٨/٤
٨- تفسير القرآن العظيم ٦/٢ .

وقوله تعالى : ﴿ يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً . . ﴾ الآية(١).

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : (والمعنى يأيها الناس إن كنتم في شك من الإعادة ، ﴿ فإنا خلقناكم ﴾ أي : خلقنا أباكم الذي هو أصل البشر . . ﴿ من تراب ﴾ ثم خلقنا ذريته من نطفة ؛ وهو المني ، سمي نطفة لقلته وقد يقع على الكثير منه . ﴿ ثم من علقة ﴾ وهو الدم الجامد . والعلق الدم العبيط ، أي الطري وقيل الشديد الحمرة . ﴿ ثم من مضغة ﴾ وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ.)(٢).

وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : ﴿ فإنا خلقناكم من تراب ﴾ أي أصل برئه لكم من تراب وهو الذي خلق منه آدم ـ عليه السلام ـ ﴿ ثم من نطفة ﴾ أي ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴿ ثم من علقة ثم من مضغة ﴾ وذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة مكثت أربعين يوماً . . ثم تتقلب علقة حمراء بإذن الله فتمكث كذلك أربعين يوماً ، ثم تستحيل فتتقلب مضغة قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط ، ثم يشرع في التشكيل والتخطيط فيصور منها رأس ويدان وصدر وبطن وفخذان ورجلان وسائر الأعضاء فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ﴾ أي كما تشاهدونها ، ﴿ لنبين لكم ونقر في الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ﴾ : أي وتارة تستقر في الرحم لاتلقيها المرأة ولاتسقطها . . فإذا مضى عليها أربعون يوماً وهي مضغة أرسل الله تعالى إليها ملكاً فنفخ فيها الروح وسواها كما يشاء الله - عز وجل

١- الحج ٥.

٢- الجامع لاحكام القرآن ٦/١٢

- من حسن وقبيح وذكر وأنثى ، وكتب رزقها وأجلها وشقي أوسعيد .) (١) .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ۞ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ۞ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ۞ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ۞ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون .** ﴾ (٢) .

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - في تأويل هذه الآية : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين** ﴾ أي : أسللناه منه والسلالة المستلة من كل التربة . ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض . ثم جعلنا الإنسان الذي جعلناه من سلالة من طين ؛ نطفة في قرار مكين ، وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة ، ووصفه بأنه مكين لأنه مكن لذلك وهيئ له ليستقر فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قراراً . . .) (٣) .

وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : يخبر تعالى عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين وهو آدم ـ عليه السلام ـ خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون ﴿ **ثم جعلناه نطفة .** ﴾ هذا الضمير عائد على جنس الإنسان كما قال في الآية الأخرى : ﴿ **وبدأ خلق الإنسان من طين ۞ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين** ﴾ أي ضعيف كما قال : ﴿ **ألم نخلقكم من ماء مهين ۞ فجعلناه في قرار مكين** ﴾ يعني الرحم معد لذلك مهيأ له . ﴿ **إلى قدر معلوم** ﴾ أي : مدة معلومة وأجل معين حين استحكم وتنقل من حال إلى حال وصفة إلى صفة ولهذا قال هنا : ﴿ **ثم خلقنا النطفة علقة** ﴾ أي صيرنا النطفة علقة حمراء مستطيلة . . .) (٤) .

ففي هذه الآيات يتبين لنا دقة خلق الله للإنسان ، وحفظه له في بطن أمه ورعايته له وتكوينه ونقله من مرحله إلى مرحله مما يبين حكمة الخالق ـ سبحانه

١- تفسير القرآن الكريم ٣٩٠/٥
٢- المؤمنون ١٢/١٦
٣- جامع البيان ٧/١٨-١١ .
٤- تفسير القرآن العظيم ٤٦٠/٥ بتصرف .

وتعالى - ودقة خلقه وإحكامه ، فلو اجتمع الثقلان على أن ينقلوا النطفة ويحولوها إلى علقة لما استطاعوا. ومن هنا تظهر عناية الله وإحكامه لخلق الإنسان حيث جعله في ذلك القرار المكين ، وحفظه من كل سوء حتى صار خلقاً آخر ، ويسر له رزقه وجبل الوالدين على العطف عليه والإحسان إليه فتبارك الله أحسن الخالقين .

فهذا هو خلق الله الدقيق المحكم قال الله تعالى . ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ (١).

والآيات في هذا الموضوع كثيرة جداً ولعل ماذكرت فيه الكفاية .

وقد ورد في السنة أحاديث متعددة منها مايلي :

أخرج الشيخان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : ((إن الله عز وجل و كل بالرحم ملكا يقول : يارب نطفه يارب علقه يارب مضغه ، فإذا أراد الله أن يقضي خلقه قال: أذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ فماالرزق فما الأجل فيكتب في بطن أمه)) (٢).

روى مسلم عن حذيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها فخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال : يارب أذكر أم أنثى ؟ . فيقضي ربك ماشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب أجله ؟ . فيقول ربك ماشاء . ويكتب الملك ، ثم يقول يارب رزقه ؟ . فيقضي ربك ماشاء ويكتب الملك ، ثم يخرج بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص) (٣).

وحديث حذيفة هذا يعارض في الظاهر الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال : (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر

١- لقمان ١١ .

٢- البخاري ح ٣١٨ ، ومسلم ح٢٦٤٦ ، وأحمد نحوه ١٧٧/١.

٣- مسلم ح ٢٦٤٥.

بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد . . .) الحديث (١).

فكيف التوفيق بين الحديثين لاسيما أن حديث ابن مسعود صريح في أن النطفة تكون أربعين يوماً نطفة ، ثم أربعين علقه ، ثم أربعين مضغة ، ومعلوم أن العلقة والمضغة لاصورة فيهما ولاجلد ولالحم ولا عظم ، وظاهر حديث حذيفة يدل على أن تصوير الجنين وخلقة وشق سمعه وبصره وجلده وعظمه يقع في الأربعين الثانية بل في أولها .

وقد جمع العلماء بين هذين الحديثين فذكر ابن رجب - رحمه الله تعالى - عدة أوجه في ذلك منها مايلي :

١ - تأول بعضهم أن الملك يقسم النطفة إذا صارت علقة إلى أجزاء فيجعل بعضها للجلد وبعضها للحم وبعضها للعظم ، فيقدر كل ذلك قبل وجوده . ورده بقوله : وهذا خلاف ظاهر الحديث .

٢ - وقد يكون التقسيم والخلق قبل وجود اللحم والعظام وهذا ما يوافق كلام الأطباء .

٣ - وقد يكون هذا في بعض الأجنة دون بعض .

٤ - أن حديث ابن مسعود يغلب عليه في الأربعين الأولى وصف المني وفي الثانية وصف العلقة ، وفي الأربعين الثالثة وصف المضغة ، وإن كانت خلقته قد تمت وتم تصويره ، وليس في حديث ابن مسعود ذكر تصوير الجنين .

وقد روي عن ابن مسعود نفسه ما يدل على أن تصويره قد يقع قبل الأربعين الثالثة (٢).

وتكلم ابن القيم ـ رحمه الله تعالى - في الجمع بينهما فقال : (إن التصوير في الحدثين تصويران :

أحدهما تصوير خفي لايظهر ، وهو تصوير تقديري كما تصور حين

١ـ البخاري ح ٣٢٠٨ . ومسلم (ح٢٦٤٣) . والترمذي (ح٢١٣٧) . وأبو داود (ح٤٧٠٨)

٢ـ جامع العلوم والحكم ٤٣ .

تفصل الثوب أو تنجر الباب مواضع القطع والتفصيل ؛ فيعلم عليها ويوضع مواضع الفصل والوصل .

والثاني : تصوير جلي يظهر للعيان وذلك في الأربعين الثالثة .

فههنا أربع مراتب :

أحدها : تصوير وتخليق علمي لم يخرج للخارج .

الثاني : تصوير خفي يعجز الحس عن ادراكه .

الثالث : تصوير يناله الحس لكنه لم يتم بعد .

الرابع : تمام التصوير الذي ليس بعده إلا نفخ الروح .

فالمرتبة الأولى : علمية والثلاث الأخرى خارجية عينية .

ونظير هذا تقدير الله - جل وعلا - قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة .

والثاني : تقديره عند القبضتين حين قبض أهل السعادة بيمينه وأهل الشقاوة بيساره وهو أخص من الذي قبله .

والثالث : تقدير بعد دخول النطفة في الرحم .

الرابع : تقدير بعد هذا وهو عندما يتم خلقه وينفخ فيه الروح .) (١).

ثانياً : اختصاص الله جل وعلا بعلم مافي الأرحام :

دلت نصوص الكتاب والسنة على ذلك ومن تلك النصوص مايأتي .

من الكتاب مايلي :

قوله تعالى ﴿ إليه يرد علم الساعة وماتخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه . ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام

١- التبيان في أقسام القرآن ٢١٨ ، وانظر طريق الهجرتين ١٣٨ .

٢- فصلت ٤٧ .

وماتدري نفس ماذا تكسب غداً . ﴾ الآية (١).

ذكر ابن جرير - رحمه الله تعالى - في تفسيره لهذه الآية : (أن الله يعلم مافي أرحام النساء فلا يعلم ذلك أحد سواه لأنه ذو علم بكل شيء لايخفى عليه شيء خبير بما هو كائن) .

وروى نحو هذا المعنى عن كثير من أئمة الأمة الأعلام كقتادة ومجاهد وغيرهما (٢).

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - : (قال ابن عباس : هذه الخمسة لايعلمها إلا الله تعالى . لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فمن ادعى أنه يعلم شيئاً منها فقد كفر بالقرآن لأنه خالفه .) (٣).

وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : ﴿ ويعلم مافي الأرحام ﴾ فلا يعلم أحد من الناس مافي الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه ، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقياً أو سعيداً علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه)(٤).

وقوله تعالى : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . ﴾ (٥).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لايخفى عليه وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات كما قال تعالى : ﴿ ويعلم مافي الأرحام ﴾ (٦) أي ما حملت من ذكر أو أنثى أوحسن أوقبيح أوشقي أوسعيد ، أو طويل أو قصير كما قال تعالى : ﴿ هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم

١- لقمان ٣٤ .
٢- جامع البيان ٨٧/٢١.
٣- الجامع لأحكام القرآن ٨٢/١٤ .
٤- تفسير القرآن العظيم ٣٥٥/٦ ، ٣٥٨ .
٥- الرعد ٨ .
٦- لقمان ٣٤ .

بمن اتقى﴾(١).

وقال تعالى : ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث . ﴾ (٢) أي خلقكم طوراً بعد طور كما قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ أهـ(٣)·(٤).

وقوله تعالى : ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من جعلكم أزواجاً وماتحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه . ﴾(٥).

قال ابن جرير - رحه الله تعالى - : (يقول تعالى ذكره : وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة إلا وهو عالم بحملها إياه ووضعها وماهو ؟ . أذكر أو أنثى ؟ لايخفى عليه شيء من ذلك .) (٦).

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - : (أي جعلكم أزواجاً فيتزوج الذكر بالأنثى فيتناسلان بعلم الله فلا يكون حمل ولا وضع إلا والله علم به ، فلا يخرج شيء عن تدبيره .)(٧).

وقوله تعالى : ﴿ هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى . ﴾ (٨).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : (يقول تعالى ذكره : ربكم أعلم بالمؤمن من الكافر و المحسن من المسيء ، والمطيع من العاصي حين ابتدعكم من الأرض فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها . ﴿ وإذأنتم أجنة في

١- النجم ٣٢ .
٢- الزمر ٦ .
٣- المؤمنون ١٢، ١٤ .
٤- تفسير القرآن العظيم ٣٥٧/٣ .
٥- فاطر ١١.
٦- جامع البيان ٢٢/ ١٢٢ .
٧- الجامع لاحكام القرآن ١٤/ ٣٣٣ .
٨- النجم ٣٢ .

بطون أمهاتكم ﴾ يقول : وحين أنتم حمل لم تولدوا منكم وأنفسكم بعد ماصرتم رجالا ونساءً)(١)(٢).

وقد ورد في السنة أحاديث متعدد منها مايلي :

عن ابن عمر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : (مفاتيح الغيب خمس لايعلمها إلا الله : لايعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم مافي غد إلا الله ولايعلم متى يأتي المطر إلا الله ولاتدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله .) (٣).

وعن زيد بن وهب (٤) قال : قال عبدالله (٥) : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال : (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً يؤمر بأربع كلمات ويقال له : أكتب عمله ورزقه وشقي أوسعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبين الجنه إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى مايكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل الجنة .) (٦).

وبين هذا الحديث وحديث حذيفة المتقدم (٧) تعارض في الظاهر ففي حديث حذيفه ذكر أن التقدير يكون بعد الأربعين الأولى في بداية الثانيه ، وفي حديث ابن مسعود أن التقدير يكون بعد الأربعين الثالثه .

١- العبارة فيها بعض الغموض ولعلها تتضح إذا سقتها كما يلي : وحين أنتم حمل لم تولدوا هو أعلم بكم منكم ، وأعلم منكم بأنفسكم بعد ما صرتم رجالا . . .

٢- جامع البيان ٦٩/٢٧ .

٣- تقدم تخريجه انظر ص ٥٢ .

٤- هو الإمام الحجة زيد بن وهب أبو سليمان بن وهب الجهني الكوفي مخضرم قديم ، ارتحل إلى لقاء رسول الله ﷺ فتوفي رسول الله ﷺ وهو في الطريق ، شهد مع علي - رضي الله عنه - مشاهده ، وغزا في أيام عمر - رضي الله عنه - أذربيجان ، توفي بعد وقعة الجماجم وله من العمر ثلاث وثمانون سنة . انظر سير أعلام النبلاء ١٩٦/٤ .

٥- أي ابن مسعود .

٦- البخاري ح ٣٢٠٨ .

٧- تقدم في ص٦٧ .

علم الغيب

وقد جمع ابن القيم - رحمه لله تعالى - بينهما فقال : نتلقاهما بالقبول والتصديق وترك التحريف ، فكلاهما حق قاله الصادق المصدوق ، إذ غاية مافي حديث حذيقه أن التقدير وقع بعد الأربعين الأولى . وحديث ابن مسعود يدل على أنه وقع بعد الأربعين الثالثه . وكلاهما حق قاله الصادق ﷺ ، وهذا تقدير بعد تقدير .

فالأول تقدير عند انتقال النطفه إلى أول أطوار التخليق ، وهي أول مراتب الإنسان ، وأماقبل ذلك فلا يتعلق بها التخليق.

والتقدير الثاني : عند كمال خلقه ونفخ الروح فيه ، وذلك تقدير عند أول خلقه وتصويره ، وهذا تقدير عند تمام خلقه وتصويره .) (١).

وذكر ابن رجب - رحمه الله تعالى - عدة أقوال في الجمع بين هذين الحديثين منها مايلي :

١ - أن الكتابة مرتين كما ذكره ابن القيم .

٢ - أن أحدهما في السماء والآخرى في بطن أمه .

ثم اعترض على هذا فقال : (والأظهر أنها مرة واحدة ، ولعل ذلك يختلف باختلاف الأجنة .

٣ - أن لفظة ثم في حديث ابن مسعود إنما يراد بها ترتيب الأخبار لاترتيب المخبر عنه في نفسه والله أعلم .

٤ - الراجح أن الكتابة تكون في بداية الأربعين الثانية - أي على ماجاء في حديث حذيفة رضي الله عنه - وإنما أخر ذكرها في حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ لئلا ينقطع ذكر الأطوار الثلاثة فَذِكْرُهَا على نسق واحد أعجب وأحسن . واستشهد لذلك بقوله تعالى : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ۞ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ۞ ثم سواه

١- التبيان في أقسام القرآن ٢١٧.

ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار . . . ﴾ (١) .

والمراد بالإنسان آدم ومعلوم أن تسويته ونفخ الروح فيه كان قبل جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، لكن لما كان المقصود ذكر قدرة الله - عز وجل - في مبدأ خلق آدم وخلق نسله منه عطف أحدهما على الآخر ، وأخر ذكر تسوية آدم ونفخ الروح فيه ، وإن كان ذلك متوسطاً بين خلق آدم وبين نسله والله أعلم .) (٢) .

١- السجدة ٧ ـ ٩ .

٢- جامع العلوم والحكم ٤٧ .

معرفة الجنين : أذكر هو أم أنثى ؟ :

توصل العلم الحديث في مجال الطب إلى معرفة نوع الجنين هل هو ذكر أو أنثى ، وهذا يتم بعد فحص السائل الأمنيوسي «الرهل » المحيط بالجنين والمتناثرة فيه بعض خلاياه ، فتفحص هذه الخلايا ومن ثَمَّ يمكن تحديد الجنين أذكر هو أم أنثى ؟.

ولكن هذه الطريقة ليست باليسيرة إذ تتطلب سحب كمية من السائل المحيظ بالجنين والمتناثرة فيه بعض خلاياه ، ثم تفحص هذه الخلايا وبعد ذلك يمكن تحديد نوع الجنين .

ومن المقرر علمياً أن تحديد جنس المولود يكون من اللحظة الأولى التي يلتقي فيها الحيوان المنوي بالبويضة ، فإن كان الحيوان المنوي يحمل شارة الذكورة فسيكون ذكراً بإذن الله ، وإن كان يحمل شارة الأنوثة فيكون أنثى بإذن الله .

قال الله تعالى : ﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ۞ ألم يك نطفة من مني يمنى ۞ ثم كان علقة فخلق فسوى ۞ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . . ﴾ (٢).

فتجد جنس الجنين يتحدد بمعرفه الحيوان المنوي الذي لقح البويضة .

وقد أهمل الطب ذكر ماء المرأة ودوره في تحديد نوع الجنين ، ولاشك أن لمني المرأة دوراً هاماً في ذلك ، فقد جاء في السنة الصحيحة عن ثوبان أن النبي ﷺ قال : ((ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنثا بإذن الله .)) (٣).

وكلما ذكره في ذلك أن عنق الرحم يفرز إفرازات صفراء هي ماء المرأة ؛ تسهل للحيوان المنوي دخوله إلى المبيض لتلقيح البويضة ، ولكن

١- النجم ٤٥ . ٤٦ .
٢- القيامه ٣٥-٣٩.
٣- رواه مسلم (ح ٣١٥) .

دور هذه المادة في تحديد الذكورة أو الأنوثة لم يكتشفه الطب بعد . (١).

ومن المعلوم أن هذا التحديد لايمكن أن يتم إلا بعد مضي أربعة أشهر على الحمل حينما يكتمل خلق الجنين في رحم أمه (٢).

وبعد هذا فإن هناك سؤالا يطرح نفسه وهو : هل هذه المعرفه من علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه أم لا ؟ وهل هذه المعرفه داخلة في قوله تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام . ﴾ (٣) وفي قوله ﷺ : ((مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لايعلم ماتغيض الأرحام إلا الله ...))(٤).

وفي الجواب على هذا السؤال نقول : إنه غير داخل لعدة أمور :

الأول : أن معرفة نوع الجنين لا تتم إلا بعد مرور أربعة أشهر على الجنين في بطن أمه وبعد تمام خلقه وتسويته .

الثاني : أن هذه المعرفة ظنية لاقطعية ، فقد يظهر خلاف ماعليه الأطباء ؛ فقد يقولون إنه ذكر وبعد الولادة يتبين أنه أنثى أو العكس . هذا فضلا عن أن معرفتهم تكون بالوسائل التي إذا عدمت عدمت معرفة الجنين .

الثالث : أن هذه المعرفة ناقصة فهي لاتساوي شيئاً بالنسبة لمعرفة مافي الأرحام ، فليس كل مافي الرحم أنه ذكر أو أنثى فقط بخلاف علم الله تعالى لمافي الأرحام فإن علمه شامل محيط بكل شيء . قال تعالى : ﴿ لتعلموا أن الله على كل قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما . ﴾(٥).

وقال : ﴿ إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . ﴾(٦).

١- انظر خلق الإنسان بين الطب والقرآن ١٣٩ وما قبلها .
٢- انظر خلق الإنسان بين الطب والقرآن ٢٩٧ وما بعدها .
٣- لقمان ٣٤ .
٤- البخاري ح٤٦٢٧ ٢٩١/٨ وأحمد ٣٨٦/١ . ١٢٢/٢ ، ٨٦ .
٥- الطلاق ١٢ .
٦- لقمان ١٦

فعلم الله - سبحانه وتعالى - شامل محيط بكل شيء لايعزب عنه مثقال حبة في السموات ولا في الارض ، شامل لجميع مافي الرحم من ذكورة أو أنوثة أو طول أو قصر ومن سواد أو بياض ومن صحة أو سقم ، ومن تمام الخلقة أو نقصانها وهل هو سقط أو لا ؟ ومن طبائع موروثة في الجنين وأخرى مكتسبة ، وهل هو من أصحاب اليمين أو من أصحاب الشمال ، كما أنه يعلم رزقه وأجله ، وغير ذلك مما لايمكن للأطباء معرفته فضلا عن غيرهم . فتبقى الآية على ظاهرها . ﴿ ويعلم مافي الأرحام ﴾ فلا أحد سواه يعلم ما في الأرحام .

الرابع : أن معرفة الأطباء وغيرهم لنوع الجنين ليست من علم الغيب الذي اختص الله به - سبحانه - بل هو من علم الشهادة الذي عرفه بعض الخلق كالملائكة وجهله غيرهم ، فإذا عرفه من جهله لايقال إنه علم الغيب ، إلا أن يراد أنه علم الغيب النسبي الذي غاب عنه فلم يعلم به مع كونه موجود خارج علمه .

وقد تقدم في الحديث أن النبي ﷺ قال : (إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكاً يقول : يارب نطفة يارب علقة ، يارب مضغة ، فإذا أراد أن يقضي خلقه قال : أذكر أم أنثى ؟ . أشقي أم سعيد ، فما الرزق فما الأجل فيكتب في بطن أمه .)(١).

فالملك قد علم شيئاً كثيراً عن الجنين وهوفي بطن أمه لم يخرج بعد . والله - سبحانه وتعالى - حينما يخلق الجنين ويوجده يخرج من كونه في عالم الغيب إلى عالم الشهادة والواقع ، فمعرفة شيئ من أموره بعد ذلك لايكون من معرفة الغيب الذي اختص الله - سبحانه وتعالى - بعلمه لأنه يكون قد خرج من طور الغيب إلى طور الشهادة .

خامساً : أن معرفة الأطباء بذلك إنما هو بواسطة الآلات التي يتم بها تصوير الجنين . وهذا ليس علماً بالغيب ، بل إنه علم شهادة ، فمثله مثل من نظر في المرآة فرأى وجهه أو مالا يستطيع رؤيته من جسمه الموجود في عالم

١- تقدم تخريجه انظر ص ٦٧ .

الشهادة مما لايستطيع رؤيته إلا بواسطة المرآة أو نحوها ؛ كآلة التصوير ونحوها من الآلات الحديثة التي تكشف للإنسان مايحدث في الأماكن البعيدة، أو القريبة المستورة عن العين المجردة ، فهل يسمى هذا علماً بالغيب ؟ .

إن هذا علم يحدث للإنسان بواسطة تجعل المستور منكشفاً له فلم يعد إذاً من عالم الغيب إذ أنه من عالم الشهادة أصلا .

وبهذا يتبين أن علم الله ـ سبحانه وتعالى ـ شامل لما في الأرحام كامل محيط لايتسرب إليه الشك ولا الخطأ تعالى الله وتنزه عن ذلك ؛ بخلاف علم الإنسان فإنه على النقيض من ذلك يعتريه الخطأ والشك فهو يشبه التنبؤات الجوية تصدق أحياناً وتخطئ أحياناً أخرى . . وقد يغلب الصواب فيها بناءً على الخبرة واستخدام الوسائل التقنية البارعة ، ولكن ذلك كله لايخرجها إلى علم اليقين المطلق فتبقى قابلة للخطأ قابلة للنقص قابلة للشك . . .) (١) والله تعالى أعلم .

١ـ انظر خلق الإنسان بين الطب والقرآن ٣٠٨ .

المبحث الخامس
علم ما تكسبه الأنفس في المستقبل .

علم ما تكسبه الأنفس في المستقبل .

تمهيد

هذا هو المفتاح الرابع من مفاتح الغيب التي لايعلمها الا الله عز وجل : فالكسب فيما يستقبل من الزمن - من كسب معنوي أومادي أو خير أوشر من شقاء أو سعادة ، ومن كسب ودّ أو بغضٍ أو صداقة أوعداوة ، أو مرض أو صحة أو غير ذلك من أنواع الكسب - من الغيب الذي اختص الله - سبحانه وتعالى - به فلا يعلمه غيره ومهما حاول الإنسان أن يتعرف على شيء من ذلك فإنه لن يستطيع .

قال الراغب في تعريف الكسب : (مايتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ ككسب المال ، وقد يستعمل فيما يظن الإنسان أنه يجلب منفعة ثم استجلب به مضرة . والكسب يقال فيما أخذه لنفسه ولغيره .) (١).

وقد ورد في كتاب الله - جل وعلا - اطلاق الكسب على عدة معاني منها مايلي :

١ - اطلاق الكسب على الأعمال الصالحة :

قال تعالى : ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النارأولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾(٢).

يعني جل ثناؤه : أولئك الذين يقولون بعد قضاء مناسكهم ﴿ ربنا آتنا في الدنيا . . . ﴾ الآية رغبة منهم إلى الله جل ثناؤه فيما عنده ، علماً منهم بأن الخير كله من عنده ، وأن الفضل بيده يؤتيه من يشاء ، فأعلم جل ثناؤه أن لهم نصيباً وحضاً من حجهم ومناسكهم وثواباً جزيلا على عملهم الذي كسبوه ، وباشروا معاناته بأموالهم وأنفسهم خاصة ذلك لهم دون الفريق الآخر الذين عانو من نصب أعمالهم وتعبها ، وتكلفوا ماتكلفوا من أسفارهم بغير رغبة منهم فيما عند ربهم من الأجر والثواب ، ولكن رجاء خسيس من عرض الدنيا وابتغاء

---

١ - المفردات ٤٣٠ .

٢- البقرة ٢٠٢ .

عاجل حطامها .) (١).

قال ابن كثير قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف فيقولون : (اللهم اجعله عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن) . لايذكرون من أمر الآخرة شيئاً ، فأنزل الله فيهم : ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق . ﴾ . وكان يجيء بعدهم آخرون فيقولون : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ فأنزل الله : ﴿ أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ﴾ ولهذا مدح من يسأله للدنيا والآخرة . . فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر ، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة ، ورزق واسع ، وعلم نافع ، وعمل صالح ، ومركب هنيء ، وثناء جميل ، إلى غير ذلك مما شملت عليه عبارات المفسرين ، ولامنافات بينهما فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا ، وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعة من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب ، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة ، وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابها في الدنيا ، من أجتناب المحارم والآثام بترك الشبهات والحرام .) (٢).

وقال تعالى : ﴿ يوم يأتي بعض أيات ربك لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون ﴾ (٣).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (قوله : ﴿ أو كسبت في إيمانها خيراً .﴾ فإنه يعني عملت في تصديقها بالله خيراً من عمل صالح تصدق قبله وتحققه من قبل طلوع الشمس من مغربها ، لاينفع كافراً لم يكن آمن بالله قبل طلوعها ، كذلك إيمانه بالله إن آمن وصدق بالله ورسوله . . ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقاً ولفرائض الله مضيعاً غير مكتسب بجوارحه لله طاعة إذا

١ـ جامع البيان ٣٠١/٢ .
٢ـ تفسير القرآن العظيم ٣٥٥/١ ـ ٣٥٦ .
٣ـ الأنعام ١٥٨ .

هي طلعت من مغربها ، أعماله إن عمل وكسبه إن كسب لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك .) (١).

فدلت هاتين الآيتين على أن الكسب يطلق على كل عمل صالح عمل الإنسان سواءً كان عملا دنيوياً أو دينياً أخروياً .

٢ - اطلاق الكسب على الأعمال السيئة :

جاء اطلاق الكسب على العمل السيء في القرآن الكريم في مواضع كثيرة أذكر منها مايلى :

قوله تعالى : ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا . ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ إنما استزلهم الشيطان ببعض ماكسبوا ﴾(٣).

قوله تعالى : ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا ﴾ (٤).

قوله تعالى : ﴿إن الذين يكسبون الإثم سيجزون ماكانوا يقترفون .﴾ (٥).

يقول ابن جرير - رحمه الله تعالى - في تأويل هذه الآية : (يقول تعالى ذكره : إن الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون معاصي الله ويأتون ماحرم الله ﴿ سيجزون ﴾ يقول : سيثيبهم الله يوم القيامة بما كانوا في الدنيا يعملون من معاصي .) (٦).

فنرى في هذه الآيات أن الله أطلق في فيها على المعاصي .

وقوله تعالى : ﴿ فأعرض عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا

١- جامع البيان ١٠٣/٨ .
٢- الروم ٤١ .
٣- آل عمران ١٥٥ .
٤- النساء ٨٨ .
٥- الأنعام ١٢٠ .
٦- جامع البيان ١٥/٨ .

يكسبون ﴾(١).

قوله تعالى : ﴿ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً ۞ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً .﴾ (٢).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يعني بذلك ـ جل ثناؤه ـ ومن يأتي ذنباً على عمد منه له ومعرفة به فإنما يجترح وبال ذلك الذنب وضره وخزيه على نفسه دون غيره من سائر الخلق .

وقوله : ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً . ﴾ الآية يعني جل ثناؤه : ومن يعمل خطيئة وهي الذنب ، أو إثماً وهو مالايحل من المعصية ثم يصف ما أتى من خطئة أو إثمه الذي تعمده بريئاً مما أضافه إليه ﴿ فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً . ﴾ يقول : فقد تحمل بفعله ذلك فرية وكذباً وإثماً عظيماً . لما أتى من معصيته وذنبه .) (٣).

والآيات الدالة على اطلاق الكسب على الأعمال السيئة كثيرة جداً وفيما ذكر كفاية .

٣ ـ اطلاق الكسب على الرزق :

دل القرآن الكريم في غير ما آية على أن الكسب يطلق ويراد به ما يكسبه الإنسان من أمور مادية من مال وطعام ونحوه .

قال الله تعالى : ﴿ ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً . ﴾ (٤).

اختلف المفسرون في معنى الكسب هنا على قولين :

١ـ التوبة ٩٥ .
٢ـ النساء ١١٢ .
٣ـ جامع البيان ٥/٢٧٣ .
٤ـ النساء ٣٢ .

الأول : أن المراد به كسب الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية . وبه قال قتادة . (١).

الثاني : أن المراد به الكسب من الميراث ، والإكتساب على هذا القول بمعنى الإصابه وبه قال ابن عباس - رضي الله عنه - (٢).

وقوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض . . . ﴾ (٣).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - ﴿ من طيبات ماكسبتم ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه زكوا من طيبات ما كسبتم بتصرفكم إما بتجارة وإما بصناعة من الذهب والفضة، ويعني بالطيبات الجياد . يقول زكوا أموالكم التي اكتسبتموها حلالا .) (٤).

وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : (يأمر تعالى بالإنفاق - والمراد به الصدقة ههنا قاله ابن عباس - من طيبات مارزقهم من الأموال التي اكتسبوها . قال مجاهد يعني التجارة . . .) (٥).

فدل هذا على أن الكسب يطلق ويراد به مااكتسبه الإنسان من مال على شتى أشكاله وألوانه .

والرزق كما هو معلوم داخل تحت الكسب ، فكل رزق فهو كسب . وقد تكفل الله برزق كل حي يدب على الأرض ، فيعلم رزقه في مستقبله وما ستكسبه في غدها ويعلم مستقرها ومستودعها لايخفى عليه شيء من ذلك . قال تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كلّ في كتاب مبين . ﴾(٦).

١- انظر جامع البيان ٤٨/٥ . والجامع لاحكام القرآن ١٦٤/٥ . وتفسير القرآن العظيم ٢٥١/٢ - ٢٥٢ .
٢- المصدر السابق .
٣- البقرة ٢٦٧ .
٤- جامع البيان ٨٠/٣ ، وانظر الجامع لاحكام القرآن ٣٢٠/٣ ، وتفسير الشوكاني ٢٨٩/١ .
٥- تفسير القرآن العظيم ٤٧٣/١ .
٦- هود ٦ .

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يعني وما تدب دابة في الأرض ـ والدابة الفاعلة من دب يدب ـ ﴿ إلا على الله رزقها ﴾ إلا ومن الله رزقها الذي يصل إليها هو به متكفِّل ، وذلك قوتها وغذائها وما به عيشها .) (١).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض ، صغيرها وكبيرها ، بَحريِّها وبَرِيِّها ، وأنه يعلم مستقرها ومستودعها .) (٢).

وقوله تعالى : ﴿ وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها وإيكم . ﴾ (٣).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى في تأويلها : (يقول تعالى ذكره وكأين من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب ﴿ لاتحمل رزقها ﴾ يعني : غذاءها لاتحمله فترعه في يومها إلى غدها لعجزها عن ذلك . ﴿ الله يرزقها وإياكم ﴾ يوماً بيوم ﴿ وهو السميع العليم ﴾ لآقوالكم نخشى بفراقنا أوطاننا العيلة .) (٤).

ومن كل ماتقدم يتبين أن الكسب عام يطلق على كل عمل يعمله الإنسان سواء كان معنوياً كالأعمال الصالحة أو السيئة ، أو حسياً كالرزق من مال أو طعام أو شراب ونحو ذلك . فلا يختص بشيء دو شيء بل يشملها جميعاً .

١- جامع البيان ١/١٢ .
٢- تفسير القرآن العظيم ٣٣٩/٤ .
٣- العنكبوت ٦٠ .
٤- جامع البيان ٢١ /١١ .

اختصاص الله جل وعلا بعلم ما تكسب كل نفس في المستقبل دون من سواه :

لقد ورد في الكتاب والسنة ما يدل علي أن الله جل وعلا اختص بعلم كل شيء فله العلم المطلق الذي لايحجبه شيء ، ومن هذا العلم ؛ علم مافي المستقبل ؛ لأنه ـ سبحانه ـ خلق الخلق وقدر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ عنده .

فعلم كل شيء ﴿ عند ربي في كتاب لايضل ربي ولا ينسى ﴾ (١) وجاءت الأدلة تبين أن علم المستقبل من كسب ونحوه من علم الغيب المطلق الذي لايعلمه أحد سوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فلايعلم ذلك نبي مرسل ولاملك مقرب ، إلا ما أكرم الله به بعض أنبياءه وأطلعهم عليه (٢) . فهذا فيه خصوصية لذلك الشخص الموحي اليه به ، أما غير ذلك فلا . وقد أثبت الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه أن الرزق له وحده ونفاه عمن سواه وضرب الأمثال على ذلك . فدل ذلك دلالة واضحة على علم الرب ـ سبحانه وتعالي ـ بما ستكسب كل نفس في غدٍ ، وكل هذا يدل على اختصاصه ـ سبحانه ـ بعلم ما ستكسب كل نفس .

ومما يدل علي ذلك أيضا دلالة صريحة من الآيات مايلى :

قوله تعالي : ﴿ يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾(٣) .

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالي ـ في ذلك : (يعلم ربك يا محمد ما يعمل هؤلاء المشركون من قومك ، وما يسعون فيه من المكر بك ، ويعلم جميع أعمال الخلق كلهم لايخفى عليه شيء منها . .) (٤) .

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالي ـ : ﴿ يعلم ماتكسب كل نفس ﴾ من خير

١ـ طه ٥٢ .

٢ـ وسيأتي مزيد بيان لهذا في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

٣ـ الرعد ٤٢ .

٤ـ جامع البيان ١٦/٤٩٩ .

وشر فيجازي عليه (١).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالي ـ : ﴿ يعلم ما تكسب كل نفس ﴾ أي أنه تعالي عالم بجميع السرائر والضمائر وسيجزي كل عامل بعمله .) (٢).

وقوله تعالي : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً . . . ﴾ (٣).

ففي قوله : ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غداً . ﴾ يدل على كمال علمه ـ سبحانه وتعالى ـ وأنه المختص بهذا الشيء الذي هو علم ما في الغد من كسب خير أوشر ومن نفع أوضر . . .

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يقول تعالي ذكره وما تعلم نفس حي ماذا تعمل في غد . . ﴿ إن الله عليم خبير ﴾ . يقول : إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون أحد سواه ، إنه ذو علم بكل شيء لايخفي عليه شيء خبير بما هو كائن ، وما قد كان .) (٤).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (أي لاتدري نفس ماذا تكسب غدا في دنياهم وأخراهم .) (٥).

وقال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ عبر بالدرايه دون العلم للمبالغة والتعميم ، إذ أن الدراية إكتساب علم الشيء بحيله ، فاذا إنتفي ذلك عن كل نفس مع كونه من مختصاتها ولم تقع منه علي علم ؛ كان عدم إطلاعها علي علم غير ذلك من باب أولى) (٦).

وقال الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿ وما تدري نفس ﴾ من النفوس كائنة من كانت من غير فرق بين الملآئكة والأنبياء والجن والإنس ، ﴿ ماذا

١ـ الجامع للأحكام القرآن ٣٣٥/٩.
٢ـ تفسير القرآن العظيم ٣٩٣/٤.
٣ـ لقمان ٣٤.
٤ـ جامع البيان ٨٧/٢١.
٥ـ تفسير القرآن العظيم ٣٥٥/٦ .
٦ـ فتح الباري ١٢٤/١ .

تكسب غداً ﴾ من كسب دين أو كسب دنيا .) (١).

قوله تعالي: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون . ﴾ (٢).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - وأما قوله ﴿ ويعلم ما تكسبون ﴾ يقول : ويعلم ما تعلمون وتخرجون فيحصي ذلك عليكم ليجازيكم به عند معادكم إليه.)(٣).

فقد دلت هذه الآيات وغيرها على أن الله - سبحانه وتعالى - قد اختص بعلم ما سيكسبه الإنسان في غده من خير أو شر من طعام أو شراب . . . إلخ. كما دلت على أنه لايمكن لأحد أن يعلم ذلك إلا مايكون للأنبياء عن طريق الوحي الإلهي لهم كما سيأتي بيانه في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

وقد دلت السنة أيضاً على ذلك فمنها مايلي :

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : ((مفاتيح الغيب خمس لايعلمها إلا الله . لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم متي يأتي المطر إلا الله ، ولاتدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ، ولايعلم متي تقوم الساعة إلا الله.))(٤).

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : (مفاتح الغيب خمس : إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وماتدري نفس ماذا تكسب غداً ، وماتدري نفس بأي أرض تموت ، إن الله عليم خبير.)(٥).

وعن ابن عمر - رضي الله عنه - أيضاً قال : قال رسول ﷺ : (مفتاح الغيب خمس لايعلمها إلا الله : لايعلم أحد مايكون في غد ، ولايعلم أحد

١- فتح القدير ٢٤٥/٤ .
٢- الأنعام ٣ .
٣- جامع البيان ٣٦١/١١ .
٤- تقدم تخريجه انظر(ص ٥٢) .
٥- تقدم تخريجه انظر ص ٧٥ .

مايكون في الأرحام ، ولاتعلم نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، وما يدري أحد متي يجييء المطر .) (١).

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ : اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان . وبأخي معاوية . قال فقال النبي ﷺ : ((قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل الله شيئا قبل حله . أو يؤخر شيئاً عن جله . . .)) الحديث (٢).

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول ﷺ : ((من كانت الأخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا الا ماقدِّر له .)) (٣).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله ـ عنه عن النبي ﷺ قال : ((إن الله تعالى يقول : يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلاتفعل ملأت يدك شغلا ولم أسد فقرك .)) (٤).

ففي هذا الحديث أرشد الله عباده إلى كمال التوكل عليه فيما يأتي في الغد من أنواع الكسب ، وأمرهم بأن لا يحملوا لذلك هماً لأن الله قد تكفل بما ستكسبه كل نفس في يومها وغدها .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : ((بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غناً مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مفنداً ، أوموتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر .)) (٥).

١ـ البخاري ح ١٠٣٩ .

٢ـ مسلم (ح ٣٦٦٣).

٣ـ مسلم (ح ٣٩٦١) والترمذي (ح٢٤٦٢) ، وابن ماجة (ح٣٩٩٧) .

٤ـ الترمذي (ح ٢٤٦٦) وقال حسن غريب ، وأحمد ٢/ ٣٥٨ . وقال أحمد شاكر ـ رحمه الله تعالى ـ في تحقيقه للمسند : اسناده صحيح .) انظر (ح ٨٦٨١) .

وعن أنس بن مالك قال : غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا : يارسول قد غلا السعر فسعر لنا . فقال : ((إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق . إنما أرجوا أن ألقى ربي وليس أحد يطلبني مظلمة في دم ولا مال .))(١).

فكون الله ـ عز وجل ـ هو المسعر القابض الباسط الرازق يدل دلالة واضحة علي علمه تبارك وتعالي بما يصلح عباده ، وعلى علمٍ بما سيحصل عليه كل عبد في يومه وغده من رزق وكسب .

وهذه النصوص قد دلّت على اختصاص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعلم ما في الغد من رزق الإنسان وكسبه الخير أو الشر . . فعلم المستقبل من الغيب المطلق الذي استأثر الله ـ سبحانه وتعالي ـ بعلمه فلم يطلع عليه إلا من ارتضي من رسول أما من عدا الرسل فلا يمكن أن يعلموا ذلك بحال من الأحوال .

وأما من ادعى أنه يعلم كم دخله وما سيقبضه من عمله كل شهر ويزعم أن هذا من علم الكسب فهو غير صحيح لعدة أمور منها مايلي :

١ ـ أن الكسب ليس مختصاً بما يحصل عليه الإنسان من مال فقط ، بل هو عام شامل لكل ما من شأنه أن يسمي كسباً سواء كان مادياً أو معنوياً ، خيراً كان أو شراً ، وليس مختص بذلك المال الذي يحصل عليه الموظف .

٢ ـ أن هذا الدخل الشهري للإنسان غير مضمون وصوله إليه ، فقد يحصل مانع أو عارض يعرض له فيحول دون وصوله إليه .

٣ ـ أن هذه مغالطة ومجادلة بالباطل ، وإلا فإنه في قرارة نفس كل إنسان أنه لايعلم ماذا سيكسب في غده ؛ ولايدرى ما سيصير عليه من حال ،

٥ـ الترمذي (ح٢٣٠٦) وقال حسن غريب .

١ـ الحديث رواه أبوداود (حديث ٣٤٥١) الترمذي (ح ١٣١٤) قال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (ح ٢٢٠٠) ، وأحمد ٣ ـ ١٥٦ ، ٢٨٦ ، والدارمي ٢/ ٢٤٩ . وقال الحافظ بن حجر اسناده على شرط مسلم ، وقد صححه ابن حبان انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (ح ٤٩١٤) . انظر التلخيص ١٤/٣ .

هل سيبقي على ماهو عليه أم سيعتريه عارض يذهب ماعنده ؟ أو العكس . ولذلك نجد كثيراً من ضعاف الإيمان يجمعون الأموال ويسعون في ادخارها وتنميتها ، ثم يبذلون قصارى جهدهم لنيل أعلي الشهادات ، زعماً منهم أن هذا تأمينا للمستقبل المعيشيى ، ويؤخرون أموراً حث عليها الشرع كالزواج مثلا زعماً منهم أنه لابد من تأمين المستقبل . ولو أنهم توكلوا علي الله حق التوكل لرزقهم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وترجع بطاناً .

فمن ادعى أن بمقدور الإنسان أن يعلم رزقه الذى فى ظهر الغيب فهو إما جاهل أو مكابر معاند جاحد . والله تعالى أعلم .

المبحث السادس : علم الموت زمانه ومكانه .

علــم المــوت زمـانــه ومكــانــه .

تمهيــدهذاهو المفتاح الخامس من مفاتح الغيب التي لايعلمها إلا الله عز وجل .

فالموت نهاية كل إنسان مهما طال عمره ومهما حاول الهرب منه ، فإنه ملاقيه لامحالة . لايعرفه الإنسان ولايدري متى يأتيه ولامتى يدخل عليه ؛ ولايمكن له أن يطلع على وقته ومكانه مهما بذل من الأسباب ، لأن علمه قداستأثر الله ـ سبحانه وتعالى ـ به ، فلا يعلمه إلا هو - سبحانه وتعالى - أو من أطلعه الله عليه كالملك الذي يؤمر بنفخ الروح وكَتْبِ الأجل والرزق . . وكملك الموت الموكل بقبض الأرواح وذلك حين يؤمر بقبض روح ذلك العبد . أما من عدا أولئك فلا يمكن أن يطلعوا عليه بحال من الأحوال ، بل إن الإنبياء المقربين لايعلمون وقت موتهم إلا إذا أعلمهم الله به أو جعل لهم علامات يستدلون بها على قربه .

قال تعالى : ﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم . . ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت . . . ﴾ (٢).

وقال : ﴿ أينما تكونوا يدركم الموت . ﴾ (٣).

تـعــريـفــه :

الموت والمَوَتَان ضد الحياة « يقال » مات يموت ، وقوم موتى وأموات ومَيِّتُون ومَيْتُون .

قال الزجاج : المَيْتُ والمَيِّتُ بالتشديد ، إلا أنه يخفف فيقال مَيْتٌ والمعنى واحد ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث . قال تعالى : ﴿ لنحيي به بلدة

---

١ ـ الجمعة ٦

٢ـ آل عمران ١٨٥ والأنبياء ٣٥ .

٣ـ آل عمران ٧٨ .

ميتاً . ﴾ ولم يقل ميتة .) (١).

والموت هو : زوال الروح من الجسد فمتى ما خرجت الروح من الجسد فقد وقع الموت على الجسد فبقي بلا روح ينتفع بها .

الأجـــــل :

الأجل هوالمدة المضروبة للشيء .

قال تعالى : ﴿ ولتبلغوا أجلا مسمى ﴾ (٢). وقال : ﴿ **أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي .** ﴾ (٣).

ويقال لحلول الدين ونحوه (٤) ويقال للمدة المضروبة لحياة الإنسان أجل فيقال : دنا أجله عبارة عن دنو الموت ، قال تعالى عن الكفار : ﴿ **وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا .** ﴾ (٥)·(٦).

والتأجيل تحديد الأجل وفي التنزيل : ﴿ كتاباً موجلا . ﴾ .

وأجل الشيء يأجل فهو آجل وأجيل : تأخر . وهو نقيض العاجل ، والأجيل المؤجل إلى وقت (٧).

ولقد وردت الإشارة إلى الموت والأجل في كتاب الله جل وعلا في مواضع كثيرة وبأساليب متنوعة أذكر بعضاً منها :

١- لسان العرب مادة موت ٩٠/٢ .

٢- غافر ٦٧

٣- القصص ٢٨

٤- لسان العرب مادة موت ١١/١١ .

٥- أي حد الموت .

٦- المفردات ١١ .

٧- لسان العرب مادة أجل ١١/١١ .

أولا : الإحيــاء والإمـاتــة مـن اخـتـصــاص اللــه جـل وعـلا .

قال تعالى : ﴿ والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير . ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ هو الـذي يحيي ويميـت فإذا قضـى أمراً فإنما يقول له كن فيكـون . ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ إنا نحن نحيي ونميت ونحن الوارثون . ﴾ (٣).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : يقول تعالى ذكره ﴿ إنا نحن نحيي﴾ من كان ميتاً إذا أردنا ونميت من كان حياً إذا شئنا ﴿ ونحن الوارثون ﴾ يقول ونحن نرث الأرض ومن عليها بأن نميـت جميعهم فلا يبقى حي سوانا إذا جاء ذلك الأجـل .) (٤).

وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : (قوله : ﴿ إنا نحن نحيي ونميت ﴾ إخبار عن قدرة الله تعالى على بدء الخلق وإعادته وأنه هو الذي أحيا الخلق من العدم ثم يميتهم ثم يبعثهم ليوم الجمع .)(٥).

وهذه قضية مسلمة لاتحتاج إلى إطالة في ذكر الأدلة عليها ، وإنما سقتها لتكون مقدمة للنتيجة التي هي : أنه إذا كان الله هو المختص بالإحياء والإماته زمانها ومكانها ، فإن آجال العباد وأوقاتها وأمكنتها من إختصاصه من باب أولى ، لأنه الخالق المحيي المميت ، ومن كانت هذه صفته فلا يخفى عليه لازم حياة المخلوق وهو الموت .

ثانياً : ضرب الأمثال لقدرة الله عز وجل على الإحياء والإماتة ووسهولتها عليه :

قال الله تعالى : ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ۞ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل

١- ال عمران ١٥٦ .

٢- غافر ٦٨ .

٣- الحجر ٢٣ .

٤- جامع البيان ٢٣/١٤ .

٥- تفسير القرآن العظيم ٤٤٩/٤ .

شيء قدير . ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ❁ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم ، قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يَتَسَنَّه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً ، فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير . ﴾ (٣).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : (معنى ذلك فيما ذكر لنا : أن قائله لما مر ببيت المقدس أو بالموضع الذي ذكره الله ، مر به خراباً بعدما عهده عامراً قال : أنى يحيي هذه الله بعد خرابها فيعمرها فأراه الله كيفية إحياء ذلك بما ضربه له في نفسه وفيما كان في أدواته وفي طعامه ثم عرفه قدرته على ذلك وعلى غيره بإظهاره على إحيائه ماكان عجباً عنده في قدرة إحياؤه رأي عينيه حتى أبصره ببصره ، فلما رأى ذلك قال : ﴿ أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم ربي أرني كيف تحيي الموتى قال : أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منها جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم . ﴾ (٥).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : (يقول تعالى ذكره : ﴿ وإذقال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى . . ﴾ الآية : أمر الله إبراهيم ﷺ أن يجعل

١- الحج ٥ ، ٦ .
٢- يس ٨١ ، ٨٢ .
٣- البقرة ٢٥٩ .
٤- جامع البيان ٤٤٦/٥ ومابعدها .
٥- البقرة ٢٦٠ .

الأطيار الأربعة أجزاء متفرقة على كل جبل ليري إبراهيم قدرته على جمع الأجزاء وهن متفرقات متبددات في أماكن مختلفة شتى ، ثم أمره أن يقول لأجزائهن بعد تفرقهن على كل جبل تعالين بإذن الله . فعدن كهيئتهن قبل تقطيعهن وتمزيقهن وتفريقهن على الجبال أطياراً أحياء يطرن ، فيطمئن قلب إبراهبم عليه السلام ؛ ويُعْلَم أنْ كذلك جمع الله أوصال الموتى لبعث القيامة وتأليفه أجزاءهم بعد البلى ورد كل عضو من أعضائهن إلى موضعه كالذي كان قبل الرد .(١) ﴿ واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ في بطشه إذا بطش بمن بطش من الجبابرة والمتكبرة .)(٢).

فتبين مما سبق أنه إذا كان إحياء الموتى وكذلك إعادة الخلق بعد فنائهم من اختصاص الله وحده دون من سواه فمن باب أولى أن يكون علم وقت موتهم ومكانه من اختصاصه وحده دون من سواه . هذا مادلت عليه الآيات السابقة .

ثالثاً : الإخبار بأن الموت نهاية كل مخلوق :

قال تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر . ﴾ (٣).

قال الله تعالى : ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ﴾(٤).

وقال الله تعالى : ﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون . ﴾(٥).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : (قال الله للذين أهبطهم من سمواته

١- وابراهيم عليه السلام حينما طلب من الله أن يريه كيفية إحياء الموتى لم يكن طلب ذلك ليؤمن ؛ ولكن ليزداد إيماناً مع إيمانه . فهو مؤمن بأن الله - سبحانه وتعالى - يحيي الموتى قبل طلبه من الله أن يريه ذلك ؛ بدليل قوله حينما سأله الله - سبحانه وتعالى - بقوله : ﴿ أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي . ﴾ . ومثله موسى - عليه السلام - حينما قال : ﴿ رب أرني انظر إليك قال لن تراني ﴾ فطلبه لم يكن طلب من يريد البرهان حتى يؤمن بل كان طلبه ليزداد إيماناً ويقيناً وتعظيماً لله - سبحانه وتعالى.

٢- جامع البيان ١١٠/٥ ومابعدها بتصرف .

٣- المؤمنون ٣٧.

٤- مريم ١٥ .

٥- الأعراف ٢٥ .

إلى أرضه : ﴿ فيها تحيون ﴾ يقول في الأرض تحيون فتكونون فيها أيام حياتكم وفيها تكون وفاتكم ، ومن الأرض يخرجكم ربكم ويحشركم إليه لبعث القيامه.)(١).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى . ﴾ (٢) .

يخبر تعالى أنه يجعل الأرض داراً لبني آدم مدة الحياة الدنيا فيها محياهم وفيها مماتهم وقبورهم ، ومنها نشورهم ليوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين ويجازي كلا بعمله .) (٣).

وقال تعالى : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون . ﴾ (٤).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : (وما خلّدنا أحداً من بني آدم يامحمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها ، ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا ، ﴿ أفإن مت فهم الخالدون . ﴾ يقول فهؤلاء المشركون بربهم هم الخالدون بعدك ؟ لا ، ما ذلك كذلك ، بل هم ميتون بكل حال عشت أومت .) (٥).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك ﴾ أي : يامحمد ﴿ الخلد ﴾ في الدنيا بل ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ . ﴿ أفإن مت ﴾ يامحمد ﴿ فهم الخالدون ﴾ ؟ ! أي يؤملون أن يعيشوا بعدك لايكون هذا بل كل إلى فناء ولهذا قال : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ (٦).

١ـ جامع البيان ٣٦٠/١٢ .
٢ـ طه ٥٥ .
٣ـ تفسير القرآن العظيم ٣٩٥/٣ .
٤ـ الأنبياء ٣٤/٣٥ .
٥ـ جامع البيان ٢٤/١٧
٦ـ تفسير القرآن العظيم ٣٣٥/٥ .

وقال تعالى : ﴿ أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة . ﴾(١)

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى الآية : (أي أنتم صائرون إلى الموت لامحالة ولا ينجو منه أحد منكم كما قال تعالى : ﴿ كل من عليها فان﴾. وقال : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ . وقال : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ والمقصود أن كل أحد صائر إلى الموت لامحالة ، ولا ينجيه من ذلك شيء ، وسواء عليه جاهد أم لم يجاهد فإن له أجلا محتوماً وأمداً مقسوماً . .
﴿ ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ أي حصينة منيعة عالية رفيعة .) (٢).

فكل نفس صائرة إلى الموت مهما طال بها العمر كما أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ بذلك في قوله : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾.

والآيات في هذا الموضوع كثيرة .

رابعاً : لايعلم زمان الموت ولامكانه إلا الله عز وجل :

وقد دل القرآن والسنة على ذلك .

فمن القرآن مايلي :

قال الله تعالى : ﴿ ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى . ﴾ (٣).

قال تعالى : ﴿ ماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً﴾(٥).

وقال تعالى : ﴿ لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم فلا يستئخرون ساعة ولا يستقدمون﴾(٦).

١ـ النساء ٧٨ .
٢ـ تفسير القرآن العظيم ٣٦٦/٢ .
٣ـ غافر ٦٧ .
٤ـ المؤمنون ٤٣ . الحجر ٥ .
٥ـ الإسراء ٩٩ .
٦ـ يونس ٤٩ .

فدلت هذه الآيات على أن لكل نفس أجلا معلوماً لا يمكن أن تتقدم عليه أو تتأخر وهذا الأجل لايعلمه سوى الله وحده ؛ لأنه هو الخالق لتلك الأنفس المحدد لأوقات فنائها فهو العالم بوقت موتها دون من سواه ولا يستثنى من ذلك إلا من أطلعه عليه كبعض الملائكة الموكلين بالأجنة والموكلين بالموت .

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : (يقول تعالى ذكره : لكل قوم ميقات لانقضاء مدتهم وأجلهم فإذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم لايستأخرون عنه ساعة فيمهلون ويؤخرون ، ولا يستقدمون قبل ذلك ؛ لأن الله قضى أن يتقدم ذلك قبل الحين الذي قدره وقضاه .) (١).

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - : ﴿ لكل أمة أجل ﴾ أي لإهلاكهم وعذابهم وقت معلوم في علمه سبحانه ﴿ فإذا جاء أجلهم ﴾ أي وقت انقضاء أجلهم ﴿ فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ أى لايمكنهم أن يستأخرو ساعة باقين في الدنيا ولا يتقدمون فيؤخرون .) (٢).

وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : ﴿ لكل أمة أجل ﴾ أى لكل قرن مدة من العمر مقدرة فإذا انقضى أجلهم ﴿ فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ . كما قال تعالى : ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها . ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله . . . ﴾(٤).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : (يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات استغفروا ربكم ثم توبوا إليه فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط الله عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها . وأنسأ لكم في آجالكم إلى

١- جامع البيان ١٣١/١١ .
٢- الجامع لأحكام القرآن ٣٥٠/٨ .
٣- تفسير القرآن العظيم ٢٠٩/٤ .
٤- هود ٣ .

الوقت الذى قضى فيه عليكم الموت .) (١).

وقال تعالى : ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون . ﴾(٢).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يقول تعالى ذكره : ويؤخر في آجالكم فلا يهلككم بالعذاب لابغرق ولا بغيره ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ يقول : إلى حين كتب أنه يبقيكم إليه إن أنتم أطعتموه وعبدتموه في أم الكتاب .) (٣).

وقال تعالى : ﴿ فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لوكانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين . ﴾ (٤).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يقول تعالى ذكره : فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات ﴿ ما دلهم على موته ﴾ يقول : لم يدل الجن على موت سليمان ﴿ إلا دابة الأرض ﴾ وهي الأرضه وقعت في عصاه التى كان متكئاً عليها فأكلتها . وقوله : ﴿ فلما خر تبينت الجن ﴾ يقول عز وجل فلما خر سليمان ساقطاً بانكسار منسأته تبينت الجن ﴿ أن لو كانوا يعلمون الغيب ﴾ الذي يدعون علمه ﴿ مالبثوا في العذاب المهين ﴾ المذل حولا كاملا بعد موت سليمان وهم يعلمون أن سليمان حي .) (٥).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (أي فلما حكمنا على سليمان ـ عليه السلام ـ بالموت حتى صار كالأمر المفروغ منه ووقع به الموت ﴿ مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ﴾ وذلك أنه كان متكئاً على المنسأة . . فمات كذلك وبقي خافي الحال إلى أن سقط ميتاً لإنكسار العصا لأكل

١ـ جامع البيان ٢٢٩/١٥ .
٢ـ نوح ٤ .
٣ـ جامع البيان ٢٢٩/١٥ .
٤ـ جامع البيان ٩٠/٢٩ .
٥ـ جامع البيان ٧٣/٢٢ .

الأرضة إياها فعلم موته بذلك . . .)(١).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة ، فإنه مكث متوكئاً على عصاه . . مدة طويلة نحو سنة ، فلما أكلتها الأرضة ضعفت وسقط إلى الأرض وعلم أنه مات قبل ذلك بمدة طويلة تبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لايعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك (٢).

وقال تعالى : ﴿ وماتدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير . ﴾ (٣).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يقول الله تعالى ذكره : وماتعلم نفس حي بأي أرض تكون ميتتها ﴿ إن الله عليم خبير ﴾ يقول : إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون أحد سواه إنه ذوعلم بكل شيء لايخفى عليه شيء ، خبير بما هو كائن وبما قد كان .)(٤).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿ وماتدري نفس بأي أرض تموت ﴾ في بلدها أوغيره من أي بلاد الله كان ، لاعلم لأحد بذلك .) (٥).

فهذه الآيات تدل دلاله ظاهره على أن الله جل وعلا يعلم وقت موت كل مخلوق وأنه لايمكن لأحد من المخلوقات أن يعرف وقت أجل المخلوقات وأن هذا من العلم الذي إختص الله جل وعلا به دون من سواه .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ (أما أجل الموت فهذا تعرفه الملائكه الذين يكتبون رزق العبد وماله وعمله وشقي أو سعيد كما قال في الصحيحين عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق

١ـ الجامع لاحكام القرآن ٢٧٨/١٤ .
٢ـ تفسير القرآن العظيم ٤٨٩/٦ .
٣ـ لقمان ٣٤ .
٤ـ جامع البيان ٨٧/١١ .
٥ـ تفسير القرآن العظيم ٣٥٥/٦ .

المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات . فيقال : أكتب رزقه ، وعمله ، وشقي أوسعيد ، ثم ينفخ فيه الروح.)(١).

فهذا الأجل الذي هو أجل الموت قد يعلمه الله لمن شاء من عباده . . والله سبحانه عالم بماكان ومايكون ومالم يكن لو كان كيف يكون فهو يعلم ماكتب للعبد من العمر . . والملائكه لاعلم لهم إلا ماعلمهم الله ، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها . . .) (٢).

فإذا كان هذا حال الملائكه ـ عليهم السلام ـ لايعلمون آجال العباد إلا بعد أن يعلمهم الله ويخبرهم بها ، فكيف حال غيرهم فإنهم من باب أولى أن لايعلموا أعمارهم وآجالهم ؛ لأن ذلك باق في علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه إلا بعض خلقه من الملائكة ، بل إن الملك الموكل بالجنين لايعلم عمره وأجله حتى يسأل الله عن ذلك كما في حديث أنس المتقدم أن النبي ﷺ قال : إن الله ـ عز وجل ـ وكل بالرحم ملكاً يقول : يارب نطفة ، يارب علقة ، يارب مضغة ، فإذا أراد الله أن يقضي خلقه قال : أذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق فما الأجل ؟ فيكتب في بطن أمه .) (٣).

ومما يدل على ذلك من السنة مايلي :

مارواه البخاري ومسلم عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : ((مفاتيح الغيب خمس لايعلمها إلا الله : لايعلم ماتغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم مافي غدٍ إلا الله ، ولايعلم متى يأتي المطر إلا الله ، ولا تدري نفس

١- تقدم تخريجه انظر ص ٦٧ .

٢- الفتاوي ١٤ /٤٨٩ - ٤٩١.

٣- تقدم تخريجه انظر ص ٦٧ .

بأي أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله .)) (١).

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: ((مفاتيح الغيب خمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وماتدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير .)) (٢).

وعن حذيفه ابن أسيد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : ((يدخل الملك على النطفه بعدما تستقرُّ في الرحم بأربعين أو بخمسة وأربعين ليله فيقول يارب أشقي أم سعيد فيكتبان فيقول أي رب ذكر أو أنثى ؟ فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص.))(٣).

وعن مطر بن عكامس (٤) قال رسول الله ﷺ : ((إذا قضى الله مية عبد بأرض جعل له إليها حاجة .)) (٥).

وفي رواية للترمذي عن ابن عزة (٦) قال : قال رسول الله ﷺ : ((إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة أو قال بها حاجته .)) (٧).

فتبين من هذه الأدلة أن علم وقت موت الإنسان ومكانه عندالله ـ سبحانه وتعالى ـ لايعلمه أحد إلا بعد وقوعه ، أما قبل ذلك فلا يعلمه إلا الله ؛ أو من أعلمه به من ملائكته الموكلين بقبض الأرواح أو النفخ فيها وكتابة رزقها وأجلها كما تقدم والله تعالى أعلم .

١ـ تقدم تخريجه انظر ٥٢ .

٢ـ رواه البخاري (ح ٦٧٢٧) .

٣ـ رواه مسلم (ح ٣٦٤٤) ، وقد تقد تخريجه انظر ص ٦٧ .

٤ـ اسمه : مطر بن عكامس السلمي ، يُعَدُّ في الكوفيين . قال ابن حبان له صحبة ، وقال الطبراني : اختلف في صحبته ، ولايعرف له غير هذا الحديث . الإصابة ١٣٩/٦ .

٥ـ رواه أحمد ٢٢٧/٥ ، والترمذي (ح٢١٤٦) وقال حديث حسن غريب ؛ ولا يعرف لمطر بن عكامس عن النبي ﷺ غير هذا الحديث .

٦ـ اسمه يسار بن عبد بن عامر بن نعيم بن ملاحق بن لحيان بن هذيل أبوا عزة الهذلي مشهور بكنيته ، سكن البصرة . الإصابة ٦٨٠/٦ .

٧ـ رواه الترمذي (ح ٢١٤٧) وقال : هذا حديث صحيح .

الفصل الثاني : الغيب النسبي وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : في بيان الغيب النسبي

المبحث الثاني : الفراسة وعلم الغيب .

المبحث الثالث : الإلهام والتحديث .

المبحث الرابع : الرؤى المنامية .

المبحث الأول : في بيان الغيب النسبي

علم الغيب

بيـــان الغـــيـــب النســبـــي

هذا هو القسم الثاني من أقسام الغيب ، وهو ماغاب عن بعض المخلوقين دون بعض ، أوغاب عنهم في حال دون حال ؛ بحيث يمكن التعرف عليه في الدنيا إما مطلقاً أو بعد توفر الأسباب المؤدية إلى معرفته .

وهذا الغيب لا يختص علمه بأحد معين ، أوطبقة خاصة ، بل قد يحصل للعالم والجاهل أو لأحدهما ، كما أنه قد يحصل للولي وغير الولي ، وللمسلم والكافر وغيرهم .

وعلم الخلق بهذا الغيب يكون نسبياً وجزئياً . أما علم الله ـ سبحانه وتعالى به فهو من كل وجه .

فالذي يعلمه الملائكة من أمر عالمهم وغيره لايعلمه البشر مثلا ، وأما يعلمه بعض البشر بتمكنهم من أسبابه ومعرفتهم لها ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب أوعجزهم عن استعمالها ، فهو من الغيب النسبي .

وأما الإحاطة بالمعلومات كلياتها وجزئياتها ما كان منها وما لم يكن ، فهذا لله وحده لاشريك له ، فلا يضاف إلى غيره من الخلق . فمن ادعى شيئاً من ذلك لغيرالله تعالى فقد أعظم على الله الفرية (١).

وهـــذا القســـم مـن الغـيـب عـلـى عـدة أضـــرب :

الأول : غيب يمكن التعرف عليه مطلقاً مثل : ما يغيب عن بعض الخلق ويعرفه غيرهم بالمشاهدة أو بالحس أو بالأخبار المتواترة ، كالعلم بالأقطار النائية والعلم بالأجهزة الداخلية للإنسان ونحو ذلك مما يمكن التعرف عليه .

فهذا الضرب يعتبر غيباً نسبياً لمن غاب عنه ، وعلم شهادة لمن لم يشاهده ورآه أو علمه . فهو قبل معرفته يعتبر غيباً نسبياً وبعد معرفته يعتبر من عالم الشهادة والحس لا من عالم الغيب ، لأنه في الأصل يغيب عن بعض الخلق

١- كما سيأتي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قولها : (من زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما في غدٍ فقد أعظم على الله الفرية والله يقول ﴿ لايعلم من في السموات والارض الغيب إلا الله ﴾ . فكيف بمن زعم أن النبي ﷺ يعلم بما في الكون وأنه لايخفى عليه شيء ، انظر ص ١٧٨ .

دون بعضهم الآخر .

الثاني : غيب لايمكن التعرف عليه إلا بعد توافر بعض الشروط . فمن توفرت له تلك الشروط والاستعدادات علمه ، ومن لم تتوافر له فلا يعلمه . وذلك مثل أماكن تجمع المياه في باطن الأرض ، ومناجم المعادن وأماكن وجودها في باطن الأرض فلايمكن التعرف عليها إلا عن طريق المعرفة الناتجة عن دراسة وتجربة ، أو بتوفر الأسباب الدالة على ذلك ؛ مثل الآلات الحديثة ونحوها مما يمكن بواسطتها التوصل إلى معرفة تلك الأمرور .

وكذلك معرفة الجنين بعد إكتمال خلقه في بطن أمه هل هو ذكر أم أنثى وذلك بواسطة الأشعة التلفزيونية ونحوها .

وكذلك معرفة ماسيقع في الأعوام المقبلة من الكسوف والخسوف وتحديده بناءً على دراسات الأجرام السماوية من الكواكب والنجوم التي جعلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ من الأسباب الكونية التي يُعْرفُ بها الحساب . قال تعالى : ﴿ ولتعلموا عدد السنين والحساب . ﴾ (١).

الثالث : غيب يتناوله العلم البديهي ؛ مثل معرفة عقل الرجل بمنطقه وحياة الجنين ووجوده بحركته ، وبالخلق على الخالق ، ونحوذلك .

الرابع : غيب لايمكن التعرف عليه في الدنيا إلا على وجه مجمل كالنعيم الذي أعده الله لعباده المتقين في الجنة ، فإنه ليس في الدنيا منه إلا الأسماء . (٢) أما الحقيقة فهي مختلفة تماماً ، والإخبار عن الأمر الغائب لايفهم إن لم يُعَبَّر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الأمور المشاهدة . فيعرف مافي الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد .

وقد أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عَمَّا أعده في الجنة لعباده المتقين

١ـ الإسراء ١٢ .

٢ـ ويشهد لذلك الأثر المروي عن ابن عباس ـ ضي الله عنه ـ : (ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء). الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للسيوطي ٦٢/٣ ، وصححه الالباني في صحيح الجامع (ح٥٤١٠) .

بقوله ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون . ﴾ (١).

فجعل ذلك غيباً عنهم مع أنه أخبرهم ببعض أوصافه ، فأخبر بأن فيها لبناً وعسلا وماءً ورماناً وعنباً وغيرها مما ينطبق اسمه على مافي الدنيا فقط . أما الحقيقة فهي تختلف تماماً لأنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء .

وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ((قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فاقرؤا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ (٢).

فمالا يخطر بالقلوب إذا عُرِّفَت به لم تعرفه ؛ إلا إذا كان له نظير وإلا لم يمكن التعريف به على وجهه .) (٣).

الخامس : غيب لا يمكن التعرف عليه بحال من الأحوال في الحياة الدنيا ؛ كالحياة البرزخيه فإنها تختلف عن طبيعة الحياة في الدنيا ، فالحياة البرزخية غيب عنا ولا نستطيع أن نتعرف عليه في الدنيا بحال من الأحوال ، ولكن نؤمن بوجوده لورود الخبر الصادق عن المصطفى ﷺ بذلك ، مع أن هناك من الخلق من يعرف ذلك ، فمن مات فإنه يمر بتلك المرحلة من الحياة ويعرفها فتكون له حقيقة مشاهدة. وكذلك من أطلعه الله عليها من الملائكة والرسل - عليهم السلام - أو من البهائم. أما نحن فحقيقتها غيب بالنسبة لنا (٤) والله تعالى أعلم .

السادس : الغيب الزماني : أي المتعلق بزمن معين وهوثلاثة أقسام :

١ - الغيب الماضي المتعلق بالأخبار والأحداث التي وقعت في زمن مضى وانتهى كأخبار الأمم السابقة التي قَصَّها الله - سبحانه وتعالى - علينا في

١- السجدة ١٧ .

٢- البخاري (٣٢٤٤) . ومسلم (٢٨٢٤) .

٣- انظر دره تعارض العقل والنقل ٧٣/٥ .

٤- راجع دره تعارض العقل والنقل ٧٣/٥ . وتفسير المنار ٣٥٣/٧ .

كتابه العزيز وغيرها .

وعلم الناس بالنسبة لغيب الماضي أمر نسبي فما يجهله بعض الناس يعرفه البعض الآخر ، فقصة يوسف وزكريا - عليهما السلام - وغيرها سماها الله غيباً بالنسبة للنبي ﷺ ولنا ، ولكنها ليست غيباً بالنسبة لمن حضرها .

وهذا النوع يمكن معرفته بالسماع والقراءة ونحو ذلك .

٢ - الغيب الحاضر كاالأحداث التي تَحْدُث في أقطار الدنيا . فإنها غيب عمن هو بعيد عنها وليست كذلك لمن وقعت عنده . ومثلها تسجيل الملائكة لأعمال العباد . فهذا كله من الغيب النسبي .

٣ - الغيب المستقبل : فمنه مالا يعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى - كوقت الساعة وبقية الأمور الخمسة ، ومنه ما أعلمه الله لرسله مما سيقع : وأما مايخبر به بعض البشر فهو مبنى على توقعات أو تحليلات فقد تقع وقد لا تقع . والله تعالى أعلم .

السابع : الغيب المكاني وهو قسمان :

١ - مايتعلق بالأمكنة كمعرفة الإنسان لمكان موته ومكان دفنه فهذا غيب لا يعلمه إلا الله كما تقدم بيانه .

٢ - مايتعلق بمعرفة مكان الضالة ونحوها . فهذا من الغيب النسبي يغيب عن بعض العباد ولا يغيب عن بعضهم الآخر .

ومثله مايتعلق بمعرفة ما في باطن الأرض من المعادن والماء ونحوها ، فهذا من الغيب النسبي الذي يعرفه المختصون بذلك دون غيرهم ، فيعرفه أهل الخبرة بواسطة آلاتهم ، وأهل التجربة بواسطة خبرتهم التي قامت على السبر والتحري ونحو ذلك .

المبحث الثاني : الفراسة :

الفـراسـة

تعـريفـهـا :

(الفراسة بكسر الفاء : النظر والتثبت والتأمل للشيء والبصر به يقال : إنه لفارس بهذا الأمر إذا كان عالماً به . وفي الحديث : (اتقوا فراسة المؤمن .) (١).

وقال الزبيدي : (الفراسة بالكسر من التفرس وهو التوسم يقال تفرس فيه الشيء إذا توسمه. وقال ابن القطاع : الفراسة بالعين إدراك الباطن وبه فُسِّر الحديث .) (٢)السابق .

قال تعالى : ﴿ إن في في ذلك لآيات للمتوسمين . ﴾ (٣).

فالمتوسمون هنا هم المتفرسون المعتبرون العارفون المتعظون بغيرهم ، فأخبر تعالى بأن في إهلاك قوم لوط موعظة وآية للمتفرسين المتعظين .

قال الراغب : (الوسم هو التأثير والسمة الأثر ، يقال : وسمت الشيء وسماً إذا أثرت فيه بسمة ؛ قال تعالى : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾(٤). وقال : ﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾ ، وقال : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ أي : المعتبرين العارفين المتعظين ، وهذا التوسم هو الذي سماه قوم الزَّكَانَةَ وقوم الفراسة وقوم الفطنة . . قال تعالى : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ (٥) أي نعلمه بعلامة يعرف بها كقوله تعالى : ﴿ تعرف في وجوههم نظرة النعيم ﴾ (٧).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ : (يقول تعالى ذكره : إن الذي فعلناه بقوم لوط من اهلاكهم وما أحللنا بهم من العذاب لعلامات ودلالات للمتفرسين المعتبرين

١- لسان العرب مادة (فرس) ١٦٠/٦ . وسيأتي تخريج الحديث انظر (ص ١١١) .
٢- تاج العروس مادة (فرس) ٣٢٨/١٦ .
٣- الحجر (٧٥) .
٤- الفتح (٢٩) .
٥- سورة القلم (١٦) .
٦- المطففين ٣٤ .
٧- المفردات ٥٢٤ .

بعلامات الله ، وعِبَرِهِ على عواقب أمور معاصيه والكفر به . . .) (١).

فالمتوسمون في هذه الآيات : هم المتفكرون المتفرسون الذين يبسطون نظرهم حتى يعرفوا الأشياء بعلامات واستدلالات يستدل بها المتفرس على الحقائق بالأمارات التي تسبق الحكم .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : (قال تعالى لما ذكر قصة قوم لوط : ﴿ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ۞ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ۞ وإنها لبسبيل مقيم . ﴾ (٢) والمتوسم : المستدل بالسمة والسيما وهي العلامة قال تعالى : ﴿ ولونشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم . ﴾ (٣) .

فمعرفة المنافقين في لحن القول ثابتة مقسم عليها ؛ لكن هذا يكون إذا تكلموا وأما معرفتهم بالسيما فموقوف على مشيئة الله ؛ فإن ذلك أخفى ، وفي الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين . ﴾ (٤) . . .) (٥).

وأوضح ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ كلام ابن تيمية هذا بقوله في معنى قوله تعالى : ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول . ﴾ : أقسم سبحانه على معرفتهم من لحن خطابهم فإن معرفة المتكلم وما في ضميره من كلامه أقرب من معرفته بسيماه وما في وجهه ، فإن دلالة الكلام على قصد قائله وضميره أظهر من السيما المرئية . والفراسة تتعلق بالنوعين ؛ بالنظر والسماع . . .) (٦).

١ـ جامع البيان ٤٥/١٤ .

٢ـ الحجر ٧٤ـ٧٦ .

٣ـ محمد ٣٠ .

٤ـ رواه الترمذي (ح ٣١٢٧) . وقال حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه . وقال الهيثمي رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح ، إن كان محمد بن كثير هو العبدي ، وإن كان هو الثقفي فقد وثق على ضعف كثير فيه . مجمع الزوائد ٢٧١/١٠ .

٥ـ مجموع الفتاوى ١١٨/١٧ .

٦ـ مدارج السالكين ٥٠٤/٣ .

ومما يدل على الفراسة من القرآن الكريم مايلي :

قوله تعالى عن العزيز : ﴿ وقال الذي اشتراه من مصر لأمرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً . . . ﴾ (١).

قال أبو السعود : ﴿ عسى أن ينفعنا ﴾ في ضياعنا وأموالنا ونستظهر به في مصالحنا ﴿ أو نتخذه ولداً ﴾ أي فنتبناه ، وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل النجابة والرشد . . .) (٢).

وقال الشوكاني : ﴿ عسى أن ينفعنا ﴾ أي يكفينا المهمات مما نحتاج إلى مثله فيه ﴿ أو نتخذه ولداً ﴾ نتبناه فنجعله ولداً لنا ، وقد كان تفرس فيه أن ينوب عنه فيما آل إليه من أمر المملكة .) (٣).

وقال تعالى على لسان ابنة شعيب : ﴿ قالت إحداهن ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ (٤).

فهذه المرأة تفرست في موسى ـ عليه السلام ـ وتوسمت فيه الخير والقوة والأمانة وعلى هذا طلبت من أبيها أن يستأجره لرعي الغنم .

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ قال عمر وابن عباس وشريح القاضي وقتادة ومحمد بن اسحاق وغير واحد : لما قالت : ﴿ إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ قال لها أبوها : وما علمك بذلك ؟ قالت : لإنه رفع الصخرة التي لايطيق حملها إلا عشرة رجال ، وإنه لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي كوني من ورائي فإذا اجتنبت الطريق فأحذفي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه.)(٥).

وقال تعالى على لسان امرأة فرعون ﴿ وقالت امرأة فرعون قرت عين لي ولك

١- يوسف ٢١ .
٢- تفسير أبو السعود ٢٦٢/٤ .
٣- فتح القدير ١٣/٣ .
٤- القصص ٢٦ .
٥- تفسير القرآن العظيم ٢٣٩/٦ .

لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً . . . ﴾ (١).

فكان قرة عين لها حيث هداها الله بسببه وأسكنها الجنة بفضل دعوته، وأهلك فرعون على يديه (٢).

وفي الأثر عن ابن مسعود : (قال أفرس الناس ثلاثة : أبوبكر حين تفرس في عمر ، وصاحب يوسف حين قال : ﴿ أكرمي مثواه ﴾ ، وصاحبة موسى حين قالت : ﴿ ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين . ﴾ (٣).

ومما يدل على الفراسة من السنة مايأتي :

ماروواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله .)) ثم قرأ ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾(٤).

وأيضاً ماروواه الطبراني في الأوسط عن أنس مرفوعاً قال : ((إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم .)) (٥).

١- القصص ٩.

٢- انظر تفسير القرآن العظيم ٦/٢٣٢- ٢٣٣ .

٣- رواه ابن جرير في تفسيره ٦١/١٦ . رقم الأثر (١٨٩٥) .

٤- رواه الترمذي وقد تقدم تخرجه انظر ص ١١١ .

٥- رواه الطبراني في الأوسط (ح ٣٠٨٦) وقال الألباني : اسناده حسن . السلسة الصحيحة ٢٦٧/٤ .

علم الغيب

أنـواع الفـراسـة :

الفـراسـة عـلـى نوعيـن :

النوع الأول : الفراسة الطبيعية المكتسبة التي تحصل من الدلالات والتجارب

النوع الثاني : الفراسة الناتجة عن بعض ما يوقعه الله في قلوب عباده وما يحصل بالكرامات وغيرها .

وإليك أخي القارئ الكريم بيانها بالتفصيل :

النوع الأول : هي الفراسة التي تحصل عن الدلالات والتجارب ومعرفة أخلاق الناس وصفاتهم الخُلُقِيَة فيستدل بها المتفرس على أحوال الناس ، كما أنها تحصل أيضاً بالإستدلال والتجربة وبالنظر لي الصفات الخَلقِيَة التي تنبئ عما يريد الرجل معرفته من الآخر عن طريق التفرس في كلامه ، وما يظهر من ملامحه الخَلقِيَة .

وقد اشتهر هذا النوع من الفراسة بين الناس ، على تفاوت بينهم ؛ على قدر ذكائهم وفطنتهم وخبراتهم وتجاربهم ، كما اشتهر عن كثير من القضاة معرفة الحق والقيام برده إلى صاحبه عن طريق الفراسة بالخبرة الناتجة عن طول التجربة .

والأمثلة على هذا النوع كثيرة جداً أذكر منها مايلي :

مارواه البخاري عن ابن عمر قال : (ما سمعت عمر قط يقول إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن . بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل فقال عمر : لقد أخطأ ظني ؛ أو إن هذا على دينه في الجاهلية ؛ أو لقد كان كاهنهم ، علي بالرجل فدعي له ، فقال له ذلك فقال : مارأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم ، قال : فإني أعزم عليك إلا أخبرتني ، قال كنت كاهنهم في

الجاهلية ...)(١).

وفي رواية البيهقي عن ابن عمر أن عمر - رضي الله عنه - قال : (. . لقد كنت ذا فراسة وليس لي الآن رأي إن لم يكن هذا الرجل ينظر في الكهانة .)(٢).

قال ابن حجر : (. . إن عمر ظن شيئاً متردد بين شيئين أحدهما : يتردد بين شيئين ، كأنه قال : هذا الظن إما خطأ وإما صواب . فإن كان صواباً فهذا الآن إما باق على كفره وإما كان كاهناً ، وقد أظهر الحال القسم الأخير ، وكأنه ظهرت له من صفة مشيه أو غير ذلك قرينة أثرت له ذلك الظن . فالله تعالى أعلم .) (٣).

ومن ذلك ماحكاه الله - سبحانه وتعالى - في قصة إمرأة العزيز مع يوسف حين راودته عن نفسه فأبى وولى هارباً فأدركته عند الباب وأمسكت بقميصه من الخلف فقدته ، فلما رأت زوجها قالت : ﴿ ماجزاء من أراد بأهلك سوءً إلا أن يسجن أو عذاب أليم ۞ قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ۞ وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ۞ فلمارأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم . ﴾ (٤).

فاستدل بقد القميص من الدبر على صدقه وكذبها .

ومما يدل على الفراسه مارواه البخاري وغيره عن أبي هريره - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : ((كانت إمرأتان معهما إبناهما ، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما ، فقالت لصاحبتها إنما ذهب بابنك . وقالت الأخرى : إنما ذهب بإبنك ، فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان

١- رواه البخاري (ح ٣٨٦٦) .

٢- ذكرها ابن حجر - رحمه الله تعالى في الفتح ١٧٩/٧ وعزاها للبيهقي ؛ ولم أجدها في السنن الكبرى ، ولا في الشعب ، وفي الدلائل بسياق آخر ٢٥٢/٢ .

٣- فتح الباري ١٧٩/٧ .

٤- يوسف ٢٥-٢٨.

بن داود فأخبرتاه فقال : آئتوني بالسكين أشُقُّهُ بينهما . فقالت الصغرى : لاتفعل يرحمك الله ، هو إبنها ، فقضى به للصغرى .)) قال أبو هريره : ((والله إن سمعت بالسكين إلا يومئذ ، وماكنا نقول إلا المُديَةَ .)) (١).

فاستطاع سليمان - عليه السلام - بذكائه وفراسته وفطنته أن يعرف أم الولد ثم حكم به لها .

واشتهر عن إياس بن معاويه (٢) كثرة فراسته ، فمن ذلك مارواه نعيم بن حماد (٣) عن إبراهيم بن مرزوق البصري (٤) : قال : كنا عند إياس بن معاويه قبل أن يُستَقضَى وكنا نكتب عنه الفراسه كما نكتب عن المحدث الحديث ؛ إذجاء رجل فجلس على دكان مرتفع بالمربد فجعل يترصد الطريق . فبينما هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجل ونظر في وجهه ثم رجع إلى موضعه . فقال إياس : قولوا في هذا الرجل . قالوا مانقول ؟ رجل طالب حاجه . فقال : هو معلم صبيان قد أبق له غلام أعور ! . فقام إليه بعضنا فسأله عن حاجته ؟ فقال هو غلام لي آبق قالوا : وما صفته ؟ قال : كذا وكذا ، وإحدى عينيه ذاهبة. قلنا : وماصنعتك ؟ قال أعلم صبيان . قلنا لإياس : كيف علمت ذلك ؟ قال : رأيته جاء فجعل يطلب موضعاً يجلس فيه فنظر إلى أرفع شيء يقدر عليه فجلس عليه ، فنظرت في قدره فإذا ليس قدره قدر الملوك ، فنظرت فيمن اعتاد في جلوسه جلوس الملوك فلم أجدهم إلا المعلمين فعلمت أنه معلم صبيان . قلنا : كيف علمت أنه أبق له غلام ؟ . قال : رأيته يترصد الطريق ينظر في

١- رواه البخاري (٣٤٢٧) ، ورواه مسلم (ح ١٧٢٠) . وأحمد ٣٢٢/٢ - ٣٤٠ .

٢- إياس بن معاوية بن أبو واثلة ، قاضي البصرة ، كان يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والسؤدد والعقل ، توفي في سنة ١٢١ هـ . السير ١٥٥/٥ .

٣- اسمه نعيم بن حماد بن الحارث الخزاعي أبو عبد الله المروزي ، نزيل مصر ، صدوق يخطىء كثيراً ، فقيه عارف بالفرائض ، مات سنة ١٢٨ على الصحيح . التقريب ٥٦٤ . روي عنه البخاري مقروناً بغيره والدارمي وأبو حاتم وغيرهم قال عنه أحمد ركن من أركان سنة النبي ﷺ ، وقال يحيي بن معين : صدوق . كان شديد الرد على الجهمية لأنه كان جهمياً ثم رجع بعد أن عرف مذهبهم . انظر طبقات علماء الحديث ٦٥/٢ .

٤- هو إبراهيم بن مرزوق بن دينار الأموي البصري ، نزيل مصر ، ثقة عمي قبل موته فكان يخطىء ولايرجع. التقريب ٩٤ .

وجوه الناس . قلنا : كيف عرفت أنه أعور ؟ . قال : بينما هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلا قد ذهبت إحدى عينيه فعلمت أنه شبهه بغلامه (١).

وتقدم إلى إياس أربع نسوة ، فقال إياس : أما إحداهن فحامل ، والأخرى مرضع ، والأخرى ثيب ، والأخرى بكر ، فنظروا فوجدوا الأمر كما قال . قالوا : وكيف عرفت ؟ ففال : أما الحامل فكانت تكلمني وترفع ثوبها عن بطنها ، فعرفت أنها حامل ، وأما المرضع فكانت تضرب ثدييها ، فعرفت أنها مرضع ، وأما الثيب فكانت تكلمني وعينها في عيني فعرفت أنها ثيب ، وأما البكر ، فكانت تكلمني وعينها في الأرض ، فعرفت أنها بكر (٢).

ومن ذلك أيضاً ماذكره ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ أن رجلا كان مستور الحال ، فأحب القاضي قبول قوله ، فسأل عنه فَزُكِيَ عنده سراً وجهراً ، فراسله في حضور مجلسه لإقامة شهادة وجلس القاضي وحضر الرجل ، فلما أراد إقامة الشهادة لم يقبله القاضي ، فسئل عن السبب ، فقال : انكشف لي أنه مُرَاء فلم يسعني قبول قوله ، فقيل له : ومن أين علمت ذلك ؟ قال : كان يدخل إليَّ في كل يوم فأعد خطاه من حيث تقع عيني عليه من الباب إلى مجلسي ، فلما دعوته اليوم جاء ، فعددت خطاه من ذلك المكان فإذا هي زادت ثلاثاً أو نحوها ؛ فعلمت أنه متصنع فلم أقبله (٣).

علاقة هذا النوع بالغيب :

هذا النوع من الفراسة ليس لصاحبه أي علم بالغيب أو اطلاع على بعضه لاعن طريق النظر والتفرس فيه ولا عن غيرها ، بل إن هذا النوع يعرف عن طريق النظر والتجربة والخبرة الناتجة عن معرفة نفوس الناس وأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم وما تدل عليه .

وهذه الفراسة بالجملة تفيد الظن لا الجزم واليقين لأن بواطن الخلق وما تخفيه صدورهم غيب بالنسبة لغيرهم ، والغيب من خصائص الله ـ سبحانه

١ـ الطرق الحكمية ٤٥ .

٢ـ الطرق الحكمية ٣٤ .

٣ـ الطرق الحكمية ٣٧ . وعزاها إلى ين أبي السائب .

وتعالى - لايعلمه أحد سواه ، فهذا النوع غير داخل في العلم بالغيب لامن قريب ولا من بعيد ، وليس لأحد أن يدعي أن المتفرس يعلم شيئاً من الغيب وإن صدق ظنه وحدسه وتخمينه ، ولا بأن الفراسة طريق لمعرفة الغيب أو الأحكام .

النوع الثاني :

الفراسة الناتجة عن بعض ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس ، وهي ناتجة عن نور اليقين الذي يقذفه الله في قلب عبده المؤمن يفرق به بين الحق والباطل والصادق والكاذب .

وسببها الإخلاص لله تعالى في القول والعمل ، وتزكية النفس بالأعمال الصالحة وبُعدها عن الأخلاق الرديئة ، وتصفية القلب من الصفات الذميمة « وغض البصر عما حرم الله فإنه يورث نور القلب والفراسة ، وقد ذكر - سبحانه وتعالى - آية النور عقب آيات غض البصر فقال : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾(١) فمن غض بصره عما حرم الله عوضه عليه من جنسه بما هو خير منه فيطلق نور بصيرته ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشوف ونحو ذلك مما ينال ببصيرة القلب . » (٢).

وهذا النوع هو المذكور في قوله ﷺ (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ (٣).

وقوله ﷺ : ((إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم .)) (٤).

فالمؤمن إذا زكى نفسه بالإخلاص والعبادة الصحيحة الموافقة لسنة النبي ﷺ وتقرب إلى الله بالنوافل أحبه الله تعالى وصار ولياً من أوليائه فبه يبصر وبه يسمع وبه يمشي وبه يبطش ، وقد جاء في الحديث القدسي : ((من

١- النور ٣٥ .

٢- انظر مجموع الفتاوى ٢٥٦/٢١ ، ٢٥٨

٣- تقدم تخريجه انظر (ص ١١١)

٤- تقدم تخريجه انظر (ص ١١٣) .

عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينَّهُ ولئن استعاذني لأعِيذنَّه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته .) (١).

ففي هذا الحديث (أن محبوب الله به يعلم سمعاً وبصراً ، وبه يعمل بطشاً وسعياً .)(٢).

(وكان شجاع الكرماني (٣) لاتخطئ له فراسة ، وكان يقول : « من عمر ظاهره باتباع السنة ، وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات ـ وذكر خصلة خامسة وهي ـ أكل الحلال لم تخطئ له فراسة .) (٤).

إذا عرفت هذا فاعلم أن من كان مراقباً أحواله وأنفاسه مجتنباً عن المعاصي صغائرها وكبائرها [آمراً بالمعروف مؤتمراً به ، ناهياً عن المنكر منتهياً عنه] متخلقاً بالأخلاق النبوية ؛ متحلياً بالآداب المصطفوية ؛ ولايرى الخير والشر والنفع والضر إلا من الله تعالى ولا يلتفت إلى مخلوق لعرض حاجته عليه ، ولا يعتمد عليه طرفة عين ، تكون فراسته كالشمس ساطعة أنوارها ، لامعة أضواءها ، ينطق بالصدق ويقول الحق . . .) (٥).(٦).

١- رواه البخاري (ح ٦٥٠٢) .

٢- انظر مجموع الفتاوى ٣٣٢/١١ .

٣- شجاع الكرماني من أصحاب أبو تراب النخشبي ويعرف أحياناً باسم شاد بن شجاع الكرماني ، أبو الفوارس من أولاد الملوك ، وكان كبير الشأن ، حاد الفراسة ، قل أن يخطئ ، مات قبل الثلاثمائة ، وكرمان عدة بلاد ، انظر طبقات الأولياء لابن الملقن ٣٦٠ .

٤- انظر مجموع الفتاوى ٢٥٧/٢١ ، ٤٢٥/١٥ ، ٤٣٦ .

٥- مفتاح السعادة ومصباح السيادة ٣١١/١ .

٦- راجع في هذا التقسيم مايلي : النهاية في غريب الحديث ٤٢٨/٣ . ومدارج السالكين ٥٠٤/٢ ، وشرح الفقه الاكبر لملا علي القارئ ١١٥ ، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة ٣١٠/١ ، وترتيب العلوم ١٩١ ، .

علم الغيب

والأمثلة على هذا القسم كثيرة منها مايلي :

روى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب قال لرجل ماسمك ؟ قال جمرة قال ابن من ؟ قال ابن شهاب ، قال فممن ؟ قال : بذات لظى فقال عمر أدرك أهلك فقد احترقوا فكان كما قال .) (١).

وموافقة عمر للوحي في أربعة مواضع في اتخاذ مقام ابراهيم مصلى ، وفي الحجاب ، وفي نساء النبي ﷺ حيث قال الله تعالى : ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن . ﴾ (٢) فنزلت الآيات موافقة له . وفي بدر حيث كان من رأيه أن يقتل الأسرى فنزل القرآن موافقاً له .

ففي حديث أنس قال عمر : (وافقت ربي في ثلاث : فقلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت : ﴿ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى . ﴾ وآية الحجاب قلت يارسول الله : لو أمرت نساءك أن يتحجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر ، فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة فقلت لهن : ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن . ﴾ فنزلت هذه الآية .) (٣).

وفي حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في ذكر أسرى بدر وفيه : (قال ونزل القرآن بقول عمر ﴿ ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض . ﴾ (٤).(٥).

فهذه فراسة عمر ـ رضي الله عنه ـ تجلت في موافقته للحق والقرآن .

وذكر ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ أن من فراسة عثمان ـ رضي الله عنه

١ـ الموطأ كتاب الإستئذان ٥٤ باب ٩ حديث ٢٥ ص٩٧٣ ، عن يحيى بن سعيد بسند منقطع ، قال محمد فؤاد عبد الباقي وصله القاسم بن بشران في فوائده من طريق عقبة عن نافع عن ابن عمر .

٢ـ التحريم (٥) .

٣ـ رواه البخاري (ح ٤٠٢) .

٤ـ الأنفال ٦٧

٥ـ رواه الترمذي (ح ٣٠٨٤) ، وعند مسلم بنحوه عن ابن عمر (ح ٢٣٩٩) .

ـ أنه دخل عليه رجل فقال عثمان له : (يدخل عليّ أحدكم والزنا بين عينيه ، فقال : أوحي بعد رسول الله ؟ فقال : لا ؛ ولكن فراسة صادقة .) (١).

نوع آخر من الفراسة :

هناك نوع آخر عده بعض الناس من الفراسة وهو ما يسمى بفراسة الرياضة .

وهذه الفراسة تعتمد على الخلوة والجوع والسهر والرياضة الصوفية .

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ بعد ذكره لهذا النوع : (إن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها وهذه الفراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ولا تدل على إيمان ولا على ولاية وكثير من الجهال يغتر بها وللرهبان فيها وقائع معلومة وهي فراسة لاتُشِفُ عن حق نافع ولا عن طريق مستقيم ؛ بل كشفها جزئي من جنس فراسة الولاة وأصحاب عبّارة الرؤيا والأطباء ونحوهم .) (٢).

وهذا النوع قد تشبثت به الصوفية ومن تبعهم من القاديانية والتيجانية وغيرهم ممن حذا حذوهم وسلك طريقهم وزعم أنه بفعله هذا ينكشف له حجاب الغيب فيعلم أموراً كان يجهلها قبل تلك الحالة .

قال القشيري (٣) : (. . إن الفراسة سواطع أنوار لمعت في القلوب ، وتمكن معرفة حملت السرائر في الغيوب ، من غيب إلى غيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق سبحانه إياها ، فيتكلم على ضمير الخلق .) (٤)

١ـ الطرق الحكمية ص ٤٠ ، ولقد بحثت عن الاثر في مظانه فلم أجده .

٢ـ مدارج السالكين ٥٠٧/٢ .

٣ـ اسمه عبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري من بني قشير بن كعب . قال الخطيب ثقة ، كان يقص ، وكان حسن المواعظ ، مليح الإشارة ، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي ولد سنة ٣٧٦ هـ وتوفي ٤٦٥ هـ . انظر تاريخ بغداد ٣٨/١١ ، والأعلام ٥٧/٤ .

٤ـ الرسالة القشيرية ١٠٥ ، نقلا عن الواسطي .

وذكر أيضاً عن الكتاني (١) قوله : (الفراسة مكاشفة ومعاينة الغيب وهي من

مقامات الإيمان . . .)(٢).

وهذا القول يحتمل معنيين معنىً صحيحاً وهو : أن الإيمان الكامل الراسخ يكون سبباً في معرفة بعض الغيوب النسبية فقط دون غيرها ، وهذا ما أظن أنه أراده

والآخرمعنىً باطل هو : أن يُرايد بذلك أن الفراسة تؤدي إلى معرفة الغيوب المطلقة التي لايمكن للإنسان أن يتعرف عليها إلا بطريق الوحي كالعلم بما سيقع في المستقبل ، والعلم بما في اللوح المحفوظ والعلم بوقت موت الإنسان ، ونحو ذلك من الأمور التي لايعلمها إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا لاأظنه أراده .

وقال أيضاً : (وسئل بعضهم عن الفراسة فقال : أرواح تتقلب في الملكوت فتشرف على معاني الغيوب فتنطق عن أسرار الخلق نطق مشاهد لانطق ظن وحسبان .) (٣).

ولايشك عاقل ببطلان هذا الإفتراء على الله سبحانه وتعالى : وقد قال الله تعالى : ﴿ . . إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون . ﴾ (٤).

والغيب كما هو معلوم من الدين بالضرورة أنه من خصائص الله تعالى ، فكيف تكون الفراسة طريقاً إلى مااختص الله سبحانه بعلمه من معرفة مافي القلوب ومعاينة الغيب ومعرفة أسرار الخلق .

ولاشك أن الذين يدَّعونه ماهو إلا تلبيس من الشياطين وهوس من شدة الجوع والعطش ، ونوع من استمتاع الشياطين بهم واستمتاعهم بالشياطين

١- هو أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي التيمي الدمشقي الصوفي ولد سنة ٣٨٩ ، قال الخطيب ثقة أمين ، كان مديماً للتلاوة مكباً على طلب الحديث ت سنة ٤٦٦ .

٢- الرسالة القشيرية ١٠٦ .

٣- الرسالة القشيرية ١٠٦ .

٤- النحل (١١٦) .

فانطبق عليهم قوله تعالى : ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم . ﴾ (١).

وهـــذا الـقـــول لـــه سـبـبــــان :

الأول : تأثير الملاحدة كالحلاج ونحوه على هذه الطرق الصوفيه من القول بالحلول والإتحاد ، فإذا مااتحد العبد مع الرب وحل فيه فإنه يطِّلعُ على الغيوب . الثاني : تلبيس إبليس عليهم وتزيينه لفعلهم وذلك لجهلهم وقلة علمهم، قال تعالى : ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتَّبَعُوهُ إلا فريقاً من المؤمنين . ﴾(٢).

فهؤلاء قد زين لهم إبليس عملهم وأظهر لهم مايشبه الكرامات وخوارق العادات فظنوا أنهم على شيء ؛ وذلك لقلة علمهم ؛ لأنه كلما كان العبد عن العلم أبعد كلما كانت سيطرة إبليس عليه أقوى وأمكن .

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ : (. . . إن إبليس إنما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم ، فكلما قل علم الإنسان كلما كثر تمكن إبليس منه، وكلما كثر العلم قل تمكنه ، ومن العباد من يرى ضوءاً أو نوراً في السماء فإن كان رمضان قال : رأيت ليلة القدر ، وإن كان في غيره قال : فتحت لي أبواب السماء ، وقد يتفق له الشيء الذي يطلبه فيظن ذلك كرامة ، وربما كان اتفاقاً وربما كان اختباراً وربما كان من خدع إبليس ، والعاقل لايساكن شيئاً من هذا ولو كان كرامة . . وقد بالغ أقوام في الرياضة فرأو ما يشبه نوع كرامات أو منامات صالحة ، أو فتح عليهم كلمات لطيفة أثمرها

١- الأنعام ١٢٨ .

٢- سبأ ٢٠ .

الفكر والخلوة ؛ فظنوا أنهم وصلوا إلى المقصود . . .) (١).

فلا تخلوا حال هؤلاء الذين يزعمون أنهم بالفراسة يعلمون الغيوب والأسرار من هذه الأحوال التي ذكرها ابن الجوزي - عليه رحمه الله تعالى - .

أسباب الفراسة :

يتضح مما سبق أن للفراسة ثلاثة أسباب نوجزها فيما يلي :

الأول - جودة ذهن المتفرس وحدة قلبه وحسن فطنته وهذا يشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر .

الثاني - ظهور العلامات والأدلة على المُتَفرّس فيه فيستدل بها المتفرس على مايريد من هذا الشخص بما يظهر له من علامات ودلالات سواء في ملامحه أو في كلامه . وهذا النوع كسابقه في عمومه للناس . (٢).

الثالث - الصلاح والتقوى والإخلاص في الأعمال لله تعالى ودوام مراقبته ، والكف عما حرمه ، والإتيان بما أمر ، به حيث يحصل في قلب المؤمن نور يستطيع من خلاله أن يتفرس في الناس ويعرف أحوالهم بهذا النور الذي آتاه الله إياه ، وهذا السبب ليس إلا للمؤمن .

قال ابن القيم : (والفراسة تتعلق بثلاثة أشياء بالعين والأذن والقلب ، فالعين للسيماء والعلامات ، والأذن للكلام تصريحه وتعريظه ومنطوقه ومفهومه وفحواه وإشارتة ولحنه وإيمائه ونحو ذلك ، وقلبه للعبور والإستدلال من المنظور والمسموع إلى باطنه وخفيه ، فيَعبُر إلى ما وراء ظاهره كعبور النقاد من ظاهر النقش والسكة إلى باطن النقد ، والإطلاع عليه هل هو صحيح أو زغل. وكذلك عبور المتفرس من ظاهر الهيئة والدَلّ إلى باطن الروح والقلب ، فنسبة نقده للأرواح من الأشباح كنسبة نقد الصيرفي ينظر للجوهر من ظاهر السكة والنقد .

١- تلبيس ابليس ٤٢٢ - ٤١٢ .

٢- انظر مدارج السالكين ٥٠٩/٢ .

وكذلك نقد أهل الحديث فإنه يمر إسناد ظاهر كالشمس على متن مكذوب فيخرجه ناقدهم كما يخرج الصيرفي الزغل من تحت الظاهر من الفضة .) (١).

والخلاصة أن هذه الفراسة ليست من الغيب في شيء ؛ لأنها كما عرفنا إما ناتجة عن تجارب وعلامات يستدل بها المتفرس على مايريد معرفته ؛ فيظن بعض الناس أن ذلك من أمر الغيب الذي استطاع أن يتوصل إلى معرفته وليس كذلك كما بينت ذلك واتضح من خلال الصور التي ذكرتها آنفاً ، وإما ناتجة عما يقذفه الله في قلب العبد المؤمن من نور فيكون من قبيل الكرامة أو الكشف الذي أطلعه الله عليه كما حصل لسيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مع سارية ، أو من قبيل الإلهام كما تقدم والمنام كما سيأتي إن شاء الله في موضعه .

أما النوع الأخير فإنما يقع فيه بمعرفة بعض الغيب النسبي فهو لايخلوا من إحدى ثلاث حالات :

الأولى ـ إما أن يكون استدراجاً كما قال تعالى : ﴿ إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين . ﴾ (٢).

الثانية ـ وإما أن يكون من قبيل استمتاع الشياطين واخبارهم .

الثالثة ـ وإما أن يكون من قبيل الموافقة والمصادفة .

أما الغيب فهو من اختصاص الله تعالى وحده دون من سواه وسيأتي مزيد بيان له في الباب الثاني والثالث .

١ـ مدارج السالكين ٢/ ٥٠٩ .

٢ـ آل عمران ١٧٨ .

الفصل الثالث : الإلهام والتحديث

الإلهـام والتـحـديـث :

قبل الكلام على هذا الموضوع لابد وأن يسبق ذلك التمهيد له بالكلام على الوحي ، لأن الإلهام جزء من أجزاء الوحي كما سيتبين فيما يأتي :

الوحي : تعريفه وأقسامه :

أولا :الوحي في اللغة : الإشارة والكتابة ، والرسالة والإلهام والكلام الخفي والصوت يكون في الناس وغيرهم ، وكل ماألقيته إلى غيرك يقال : وحيت إليه الكلام وأوحيت ، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه (١).

والوحي بهذا المعنى يشتمل على أنواع كثيرة منها مايلى :

١ - الإلهام للإنسان كالوحي لأم موسى - عليهما السلام - قال تعالى : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ﴾(٢).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى ﴾ أي : قذفنا في قلبها . . قال قتادة : وحياً جاءها من الله فقذف في قلبها وليس وحي نبوة).(٣).

٢ - الإلهام الجبلى للحيوان كالوحي إلى النحل ، قال تعالى : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ۞ ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا . . . ﴾ (٤).

قال القاسمي - رحمه الله تعالى - : (المراد من الوحي الإلهام والهداية إلى بنائها تلك البيوت العجيبة المسدسة من أضلاع لايزيد بعضها على بعض . ﴿ فاسلكي سبل ربك ﴾ أي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل .) (٥).

٣ - الإشارة الشرعية على سبيل الرمز والإيحاء كإيحاء زكريا لقومه .

١- الصحاح مادة (وحي) والقاموس المحيط مادة (وحي) .

٢- القصص (٧) .

٣- جامع البيان (٢٠/٣٩) .

٤- النحل (٦٨)

٥- محاسن التأويل ١٠/٣٨٣٦ .

قال تعالى : ﴿ فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً ﴾(١) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : ﴿ فأوحى إليهم ﴾ أي أشار إشارة خفية سريعة .) (٢) .

٤ - وسوسة الشيطان وتزيينه للشر في نفس الإنسان . قال تعالى : ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون .﴾(٣) وقال أيضاً : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً . ﴾ (٤) .

٥ - مايلقيه الله إلى ملائكته من الأمر ليفعلوه قال تعالى : ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوت الذين كفروا الرعب﴾(٥) .

٦- ومنه ما يسميه علماء النفس بالإستهواء أو الإيحاء ، وله تأثير قوي لاينكر يعتمد على جهل المتأثر وعلم المؤثر ، قال الشاعر :

فأوحى إليها الطرف أني أحبها فأثر ذاك الوحي في جنباتها

ولا يلزم أن يكون من أوحي إليه الوحي العام نبياً .

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - (ليس كل من أوحي إليه الوحي العام يكون نبياً فإنه قد يوحى إلى غير الناس ، قال تعالى : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً . . . ﴾ وقال تعالى عن يوسف : ﴿ فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لايشعرون . ﴾(٦) .

١- مريم (١١)

٢- تفسير القرآن العظيم (٥/٢١٥) .

٣- الأنعام (١٢١) .

٤- الأنعام (١١٢) .

٥- الأنفال (١٢)

٦- يوسف (١٥)

وقال تعالى : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه . . . ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنو بي وبرسولي ﴾.(٢).

وقوله : ﴿ وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً . . . ﴾ (٣) يتناول وحي الأنبياء وغيرهم كالمحدثين والملهمين كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : ((قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم .)) فهؤلاء المحدثون الملهمون المخاطبون يوحي إليهم هذا الحديث الذي هو لهم خطاب وإلهام ، وليسوا بأنبياء معصومين مُصَدَّقِيْنَ في كل مايقع، فإنه قد يوسوس لهم الشيطان بأشياء لاتكون من إيحاء الرب ؛ بل من إيحاء الشيطان وإنما يحصل الفرقان بما جاءت به الأنبياء فهم الذين يفرقون بين وحي الرحمن ووحي الشيطان ، فإن الشياطين أعداؤهم وهم يوحون بخلاف وحي الأنبياء . قال تعالى : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون .﴾(٤). وقال تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء الله مافعلوه فذرهم وما يفترون . ﴾(٥).(٦).

ثانياً الوحي الشرعي :

الوحي الشرعي هو : إعلام الله لأنبيائه ورسله الذين اصطفاهم بما يريد من أنواع الوحي والهداية بطريق الملائكة أو الإلهام أو المنام أو بإنزال الكتب، وكل هذا إعلام خاص يتم بقدرة إلهية . . .)(٧).

ويكون هـذا على أنواع :

١- القصص (٧) .
٢- المائدة (١١١) .
٣- الشورى (٥١) .
٤- الأنعام (١٢١) .
٥- الأنعام (١١٢).
٦- النبوات (٢٤٧) ، وانظر الفتاوى (٥٣٩/١٧) .
٧- وعرفه الزرقاني بنحو هذا التعريف . انظر مناهل العرفان (٥٦/١) .

الأول - مايكون مكالمة بين العبد وربه كما وقع لموسى - عليه السلام - قال الله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ (١).

الثاني - ومنه مايكون بواسطة أمين الوحي جبريل - عليه السلام - وهذا النوع هو من أشهر الأنواع وأكثرها ، بل إن وحي القرآن كله من هذا النوع ، قال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسانٍ عربيٍ مبين .﴾(٢)الثالث - ومنه مايكون إلهاماً يقذفة الله في قلب مصطفاه من الأنبياء على وجه العلم الضروري لايستطيع له دفعاً ولا يجد فيه شكاً كما دل عليه قوله ﷺ : ((إن روح القدس نفث في روعي .)) (٣).

الرابع - ومنه مايكون مناماً صادقاً يجيء في تحققه ووقوعه كما يجيء فلق الصبح في تبلجه وسطوعه كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : ((أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .)) (٤).(٥).

الخامس - ومنه ما يكون مثل صلصة الجرس كما في حديث الحارث بن هشام المتقدم وفيه : أنه سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : ((. . وأحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدها علي ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول .)) (٦).

تعريف الإلهام والتحديث :

الإلهام هو : (مايلقى في الروع يقال ألهمه الله واستلهمت الله

١- النساء (١٦٤) .

٢- الشعراء (١٩٣) .

٣- أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٦/١٠ -٢٧) عن أبي أمامة ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : فيه عفير بي معدان وهو ضعيف . لكن له شاهد عن ابن مسعود عند الحاكم (٤/٢ - ٣٢٥/٤ وشاهد من حديث جابر عند ابن ماجة (ح ٢١٤٤) وابن حبان من طريقين أحدهما (ح١٠٨٤) والثاني (ح١٠٨٥) وشاهد من حديث حذيفة عند البزار (٧/٣) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٤/٤) . وقد صححه الالباني كما في فقه السيرة (٩٧/٥) .

٤- البخاري (ح ٣ و ٦٩٨٢) .

٥- انظر مناهل العرفان ٥٧/١ .

٦- رواه البخاري (ح ٢ - ١٥ - ٣٢) ومسلم (ح٢٣٣٣) .

الصبر .)(١) (وألهمه الله خيراً لقنه إياه واستلهمه إياه سأله أن يلهمه) (٢) .

قال ابن الأثير : (الإلهام أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل أوالترك . وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده ، وفي الحديث : (أسألك رحمة من عندك تلهمني بها رشدي .) (٣)،(٤) .

وأما التحديث فهو ما يطلق على الرجل الصادق في الظن فيقال : محدث بفتح الدال مشددة ، كما سيأتي بيانه في الأحاديث قريباً إن شاء الله تعالى .

قال ابن الأثير : جاء في الحديث تفسير المحدث بأنه الملهم . والملهم هو الذي يلقى في نفسه شيء فيخبر به حدساً وفراسة ، وهو نوع يخص الله به من يشاء من عباده الذين اصطفى مثل عمر ، كأنهم حدثوا بشيء فقالوه .)(٥) .

هل يمكن الجزم بالتحديث والإلهام :

ورد ذكر المحدث في عدة أحاديث منها مايأتي :

حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : ((لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك في أمتي أحد فعمر .)) (٦) .

وفي رواية : ((لقد كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يك في أمتي منهم أحد فعمر .)) (٧) .

ومنها حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ أنه كان يقول : ((قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم .)) (٨) .

١- الصحاح مادة (لهم) ٢٠٣٦/٥ .

٢- القاموس المحيط مادة (لهم) ١٨٠/٤ .

٣- رواه الترمذي (ح٣٤١٩) وقال : هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث أبي ليلى من هذا الوجه) . وضعفه الألباني انظر ضعيف الجامع (١١٩٤) .

٤- النهاية في غريب الحديث ٢٧٢/٤ .

٥- النهاية في غريب الحديث ٣٥٠/١ .

٦- رواه البخاري (ح ٣٦٨٩) .

٧- رواه البخاري (ح ٣٦٨٩) .

٨- مسلم (ح ٢٣٩٨) .

ومنها حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال قال رسول الله ﷺ : ((. . إنه لم يبعث الله نبياً إلا كان في أمته محدث ، قال : تتكلم الملائكة على لسانه .)) (١).

فهذه الأحاديث لم يأت فيها الجزم بوجود المحدثين في هذه الأمة ؛ إذ وردت بأسلوب التردد وعلق النبي ﷺ كون عمر منهم على شرط وجودهم .

وعلى فرض وجودهم فإن عمر ـ رضي الله عنه ـ منهم لإخبار النبي ﷺ بذلك أما غير عمر فلا يمكن الجزم بأنه من المحدثين ، لأن اثبات ذلك يحتاج إلى الوحي الشرعي الذي من طريقه يعرف وجوده وتعيينه .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ معلقاً على هذا الحديث : (جزم [النبي ﷺ] بأن من كان قبله كان فيهم محدثون ، وعلق الأمر في أمته ، وإن كان هذا المعلق قد تحقق ؛ لأن أمته لاتحتاج بعده إلى نبي آخر ، فلأن لا تحتاج معه إلى محدث أولى وأحرى ، وأما من كان قبله فإنهم يحتاجون إلى نبي بعد نبي فأمكن حاجتهم إلى المحدثين الملهمين ، ولهذا إذا أنزل المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ لم يحكم فيهم إلا بشرع محمد ﷺ .) (٢).

تـنـبـيـــــــه :

وفي هذا المبحث لن يكون الحديث عن المُحَدَّثين والمُلهَمين من منطلق أنه يمكن لهم أن يلهموا أحكاماً وشرائع يأخذ الناس بها ويلزمون ؛ نظراً لأنها جاءت من محدث والمحدث يلهم من الله ـ سبحانه وتعالى ـ فالحكم إذاً صادر من الله فيكونون بمنزلة الأنبياء مشرعين ، لن يكون الحديث عن هذا لأن المسلمين قد اغتنوا بالشرع عن غيره . ولأن الوحي قد انقطع والشريعة قد كملت كما قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت

١ـ رواه الطبراني في الأوسط ، وقال الهيثمي فيه أبو سعيد لم أعرفه وبقية رجاله ثقات . انظر مجمع الزوائد ٧٢/٩ .

٢ـ الجواب الصحيح ٣٤٨/١ ، ٣٤٩ .

لكم الإسلام ديناً . ﴾(١).

والنبي ﷺ لم يقبض إلا وقد أتم الله الدين به فلا يحتاج إلى زيادة ، لا من محدث ملهم ولا من غيره . وهذا أمر متفق عليه معلوم من الدين بالضرورة ، وإنما سيكون الكلام فيما سيأتي عن وجود الملهمين والمحدثين وكونهم يلهمون أموراً تكون لهم كرامات ؛ وإمكان علمهم ببعض الأمور الغيبية من عدمه . هذا ماسيكون عنه الحديث إن شاء الله وهو المقصود من هذا المبحث .

١- المائدة (٣) .

إلهام الأنبياء وإلهام غيرهم :

أولا: إلهام الأنبياء :

يمكن أن نقسم الإلهام إلى قسمين بحسب حال الملهم : قسم يتعلق بإلهام الأنبياء . والقسم الآخر إلهام يتعلق بغير الأنبياء ، وبيان كل منها كما يأتي :

إلهام الأنبياء هو : وحي من أنواع الوحي التي يوحي به الله ـ عز وجل ـ إلى أنبيائه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وطريق من طرق مصادر تلقي الأنبياء عن الله ـ عز وجل ـ .

وقد عده العلماء من أنواع الوحي التي كان يوحى بها إلى النبي ﷺ كما دل عليه قوله ﷺ : ((إن روح القدس نفث في روعي .)) (١).

فإلهام الأنبياء هو أعلى مراتب التحديث والإلهام . وهو جزء ونوع من أنوع الوحي . ويتميز إلهام الأنبياء عن غيره بأنه يكون شرعاً يحكم به ويرجع إليه ويجب التزامه وتطبيقه لأنه من عند الله ـ جل وعلا ـ نزل محفوظاً من الشياطين فوصل إلى الأنبياء صافياً خالصاً من كل ايحاء غير إيحاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ فإن الله يرسل حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين كما قال تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ۞ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ۞ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً .** ﴾(٢).

فدلت هذه الآية على أن الوحي إلى الأنبياء يكون محفوظاً محروساً من الشياطين حتى يصل إلى رسل الله صافياً ، نقياً . بخلاف غيره من أنواع الإلهام التي تحصل لبعض الناس فإنها قد تكون من الملائكة وقد تكون من الشياطين ، ثم إنها لاتكون شرعاً يعول عليه ولا دالا على حكم شرعي ؛ بل لابد من عرضه على الكتاب والسنة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى قريباً .

١ـ تقدم تخريجه انظر (ص ١٣٠) .

٢ـ الجن ٢٥ ـ ٢٧ .

إلهام غير الأنبياء

أما إلهام غير الأنبياء فإنه إلهام عام يشترك فيه جميع الناس وخاصة المؤمنين المتقين فإنه يكون لهم من الله بواسطة الملائكة وذلك بأن يلقي في قلبه خطاباً يخاطب به الملك روحه كما ورد في حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : (إن للشيطان لمة لابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾(١)·(٢)·

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ (لابد أن يُعْلَم أن المبدأ في النفس وحركتها هم الملائكة أو الشياطين فالملك يلقي التصديق بالحق والأمر بالخير ، والشيطان يلقي التكذيب بالحق والأمر بالشر .) (٣)·

ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام : ((من سأل القضاء واستعان عليه وكل إليه ، ومن لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكاً يسدده .))(٤)·

قال ابن تيمية : (فمبدأ العلم الحق والإراده الصالحة من لمة الملك ، ومبدأ الإعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة من لمة الشيطان ، قال تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا . ﴾ (٥)·

وقال تعالى : ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين . ﴾ (٦)·

وقال تعالى : ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من

١ـ البقرة (٢٦٨).

٢ـ أخرجه الترمذي (ح٢٩٨٨) عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وقال حديث حسن غريب لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص .

٣ـ الفتاوى (٣٥/٥) .

٤ـ رواه الترمذي (ح١٣٢٣) وأبو داود (ح٣٥٧٨) وابن ماجة (ح٢٣١٥) وأحمد ١١٨/٣ ، ٢٢٠ .

٥ـ البقرة (٢٦٨) .

٦ـ ال عمران (١٧٥) .

الناس وإني جار لكم . . . ﴾ (١)·(٢)·

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - قال الله تعالى : ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ قيل في تفسيرها قووا قلوبهم وبَشِّرُوْهُم بالنصر، وقيل : احضروا معهم القتال ، والقولان حق فإنهم حضروا معهم القتال وثبتوا قلوبهم .) (٣)·

ومن هذا الخطاب واعظ الله في قلب عبده المؤمن كما في حديث النواس ابن سمعان - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : (ضرب الله مثلا صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول : يأيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً جميعاً ولاتتفرقوا وداع يدعو من جوف الصراط . فإذا أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك لاتفتحه ؛ فإنك إن فتحته تلجه . والصراط الإسلام ، والسوران حدود الله تعالى ، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم.)(٤)·

قال ابن القيم : (فهذا الواعظ في قلوب المؤمنين هو الإلهام الإلهي بواسطة الملائكة .)(٥)·

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : (بين النبي ﷺ أنه في قلب كل مؤمن واعظ ، والواعظ الأمر والنهي بالترغيب أو الترهيب ، فهذا الأمر والنهي الذي يقع في قلب المؤمن مطابق لأمر القرآن ونهيه ولهذا يقوي أحدهما الآخر كما قال تعالى ﴿ نور على نور . . . ﴾(٦)·

١- الأنفال (٤٨) .
٢- الفتاوى ٣٤/٤ .
٣- مدارج السالكين ٥٧/١ .
٤- رواه أحمد ١٨٢/٤ ، ٢٨٣ والترمذي نحوه (ح ٢٨٥٩) وقال هذا حديث غريب . والحاكم ٧٣/١ وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي . وصححه الالباني في المشكاة (ح١٩١ ، ١٩٢) .
٥- مدارج السالكين ٥٧/١ .
٦- النور (٣٥)

قال بعض السلف في الآية : هو المؤمن ينطق بالحكمة وإن لم يسمع فيها بأثر ، فإذا سمع بالأثر كان نور على نور . نور الإيمان الذي في قلبه يطابق نور القرآن ، كما أن الميزان العقلي يطابق الكتاب المنزل ؛ فإن الله أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وقد يؤتى العبد أحدهما ولايؤتى الآخر كما في حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ (١) في وصف المؤمن الذي يقرأ القرآن والذي لايقرأ القرآن .(٢).

وقال أيضاً : (الإلهام يكون تارة من جنس القول والعلم والظن والإعتقاد وتارة يكون من جنس العمل والحب والإرادة والطلب فقد يقع في قلبه أن هذا القول أرجح وأظهر وأصوب وقد يميل قلبه إلى أحد الأمرين .)(٣).

إذاً فهذا القسم من الإلهام يكون في الأحكام المفهومة من النصوص الشرعية كما يكون في غيرها حيث يلقي الله في قلب العبد الإطمئنان إلى هذا الحكم وقد يلقي الله في قلبه أن هذا العمل أتم كما ورد في حديث النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : ((البر حسن الخلق والإثم ماحاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس .)) (٤).

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث البر والإثم فذكر أن الإثم ما يقع به حرج تردد في النفس من كراهة أن يطلع عليه أحد من الناس لما يقع عليه من الحرج فيما لوأطلع عليه أحد فيرغب في إخفائه لأنه مخالف للخلق الحسن أو الشرع .

وأصرح منه حديث وابصة بن معبد ـ رضي الله عنه ـ قال : أتيت النبي

١- مجموع الفتاوى ٤٧٥/١٠ .

٢- أخرجه البخاري (ح ٥٠٢١) ولفظه ((مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والذي لايقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولاريح فيها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرٌ ، ومثل الفاجر الذي لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرٌ ولا ريح لها .)) وفي رواية ((المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به .)).

٣- الفتاوى ٤٧٦/١٠ .

٤- رواه مسلم (ح ٢٥٥٣) ، والترمذي (ح ٢٣٧٩) .

ﷺ فقال : ((جئت تسأل عن البر ؟ . قلت : نعم ، قال استفت قلبك ؛ البر ماطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ؛ والإثم ماحاك في نفسك وتردد في صدرك وإن أفتاك الناس وأفتوك .)) (١).

ففي هذا الحديث أحال النبي ﷺ السائل في معرفة البر من الأثم إلى القلب وما يتعلق به هل يطمئن إليه أو يتردد في صدره .

ولا يعني أن الأحكام الشرعية تعرف عن طريق القلب بل لابد من الوحي لمعرفتها ؛ ولكن ما يشتبه على المؤمن من الأحكام ولايعرف حرمته من حله فقد يميز بقلبه ، إن لم يكن صاحب هوى أو شهوة أو بدعة ، فإن هذا قد يميل إلى بدعته أو شهوته ، والله تعالى أعلم . وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة (٢).

الإلهام درجة إيمانية عالية لاتخرج عن دائرة الشرع :

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : (قد يلقى في قلب الملهم أن هذا الرجل كافر أو فاسق أو مبتدع من غير دليل ظاهر وبالعكس قد يلقى في قلبه أن هذا الرجل ولي من أولياء الله . (٣).

(. . وينبغي للمؤمن أن لايتكل على ما يلقى في قلبه أو يجده فيه ، بل يعرضه على الكتاب والسنة ، فإنه ليس بمعصوم كما قال أبو الحسن الشاذلي (٤) : (قد ظمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة ولم تظمن لنا العصمة في الكشوف والإلهام .) (٥).

ولهذا كان إمام المحدثين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يعرض رأيه

١- رواه أحمد ١٨٢/٤ ، وقال النووي في الاربعين حدبث حسن .

٢- انظر ص ١٤٣ .

٣- انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٧٧/١٠ .

٤- هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الشاذلي المغربي ، أبو الحسن رأس الطائفة الشاذلية من المتصوفة ، وصاحب الأوراد المسماة بحزب الشاذلي ، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رد عليه . ولد في بلاد غمارة بريف المغرب تفقه وتصوف بتونس وسكن شاذلة قرب تونس فنسب إليها ، رحل إلى المشرق وسكن الاسكندرية ، وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج . الاعلام ٣٥٠/٤ .

٥- مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٢٦/٢ .

على الكتاب والسنة كما كان يشاور الصحابه في الأحكام وغيرها فتارة يرجع إليهم وتارة يرجعون إليه ، وربما ردت امرأة قوله وبينت الحق فيرجع إليه ويدع قوله . وربما يقول قولا فيذكر له حديثاً عن النبي ﷺ فيعمل به ويرجع عن رأيه ، وغير ذلك مما هو مشهور عنه ، فقد كان ـ رضي الله عنه ـ وقَّافاً عند كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فحري بمن دونه أن يعرض ما يعتريه على الكتاب والسنة فما وافقهما أخذ به وما خالفهما ردة .) (١).

أمور ليست من الإلهام :

من الأمور التي قد يعتبرها بعض الناس من الإلهام : إلهام الهواتف من الجان ، وهذا الأمر قد يكون المخاطب فيه جنياً مؤمناً صالحاً يأمره بالخير ويرده عن الشر . (٢) وقد يكون شيطاناً مارداً يريد أن يضل المخاطب أو يغويه عن الحق ويرده عنه (٣).

وهذا النوع على صفتين :

الأولى : أن يخاطبه خطاباً يسمعه بأذنه (٤).

وهذا ليس من الألهام بل هو من قبيل الخطاب .

الثانية : أن يلقي في قلبه مايريد حينما يلم به (٥) ومنه وعده وتمنيته عندما يعد الشيطان الأنسي ويمنيه ويأمره وينهاه كما قال تعالى : ﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . ﴾ (٦).

وقال : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾(٧).(٨).

١- انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧٣/١٣ .

٢- انظر مجموع الفتاوى ٨٧/١٣ .

٣- المصدر السابق ٨٤/١٣ .

٤- مدارج السالكين ٥٧/١ . وانظر مجموع الفتاوى ٩٢.

٥- وقد تقدمت الإشارة إلى هذا في النوع الأول مما لاحاجة لنا في إعادته هنا .

٦- النساء ١٢٠ .

٧- البقرة ٢٦٨.

٨- انظر إلى التقسيم في مدراج السالكين ٥٦/١ وما بعدها .

ولهذا يجب على المؤمن أن يعرض كل أمر على الكتاب والسنة فهو ليس بمعصوم فقد يلم به الشيطان ويوسوس له ويزين له الشر ويصوره خيراً ويزين له الضلال حتى يراه حقاً فيقلب عليه الموازين والعياذ بالله ، ثم من أين للمُخَاطَبِ أن يعرف أن هذا الخطاب رحماني أو ملكي أو شيطاني ؟ وبأي برهان أم بأي دليل يعرف ذلك والشيطان يلقي في النفس وحيه ويلقي في السمع خطابه ، فكيف يقول المُخَاطَبُ : « قيل لي أو خُوطِبتُ » نعم قيل لك وخُوطِبت ولكن من القائل ومن المخاطِب . ؟(١).

وقد ضل بهذا كثير من أصحاب الطرق الذين أضلتهم الشياطين يحسبون أنهم يخاطبون ويلهمون من قبل الملأ الأعلى وهو في الحقيقة من الشياطين وأتباعهم ليضلوهم عن دين الله عز وجل . فيخشى أن يكونوا ممن قال الله فيهم : ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .** ﴾ (٢).

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ هذه الآية عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو مخطئ ، وعمله مردود كما قال تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية .** ﴾(٣) وقوله : ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً .** ﴾ (٤) وقال في هذه الآية : ﴿ **هل ننبئكم** ﴾ أي : نخبركم ﴿ **بالأخسرين أعمالا** ﴾ ثم فسرهم فقال ﴿ **الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا** ﴾ أي عملوا أعمالا باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبوله . ﴿ **وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً** ﴾ أي : يعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محبوبون .) (٥).

١ـ انظر مدارج السالكين ٥٨/١ ، وانظر الفتاوى لابن تيمية ٨٧/١٣ وما بعدها .
٢ـ الكهف ١٠٣ ـ ١٠٤ .
٣ـ الغاشية ٢ ـ ٤ .
٤ـ الفرقان ٢٣ .
٥ـ تفسير القرآن العظيم ١٩٧/٥ ـ ١٩٨ .

ثالثاً : الإلهام وعلم الغيب:

بعد الكلام على الإلهام تبين لنا ارتباطه بعلم الغيب وتبين أنه ليس كل ملهم يمكن أن يعرف شيئاً من أمور الغيب وهذا ما أود إيضاحه هنا .

فكما ذكرت فيما سبق أن الإلهام قسمان : إلهام الأنبياء إلهام غيرهم ، وأن كل قسم يختلف عن الآخر فكذلك هنا وهو على النحو الآتي :

أولا : الأنبياء : قلت فيما سبق أن إلهام الأنبياء نوع من أنواع الوحي الشرعي ، ولذلك فإنه يمكن من خلاله أن يعلم الرسول بعض الغيب الذي أراد الله أن يطلعه عليه ؛ لأن الرسل لايعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه كما قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ۞ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً .﴾(١) فعن طريق الوحي بالإلهام يعلمون بعض المغيبات التي أراد الله أن يطلعهم عليها ، وسيأتي إن شاء الله مزيد تفصيل لهذا المسألة في الباب الثالث .

ثانياً : غير الأنبياء : مما ينبغي أن يُعْرَف أن الملهمين من غير الأنبياء لايمكن أن يعلموا الغيب مطلقاً لإمور منها :

الأول - أن الغيب لايمكن معرفته إلا عن طريق الوحي الشرعي ، والوحي الشرعي قد انقطع ولم يبق منه إلا المبشرات .(٢) وهي جزء من ست وأربعين جزءً من النبوة .

الثاني - أن إلهام غير الأنبياء ظني الدلالة لاقطعي الدلالة بحيث أن صاحبه لايمكن أن يجزم بصحته .

الثالث - أن الملهم لايدري هل الإلهام الذي حدث له هو من الله عز وجل أم هو من الشيطان إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة .

الرابع - أن الإلهام إن كان أمراً غيبياً فإن الملهم لايدري هل هو صحيح أم لا ؟ حتى يقع فإذا وقع عرف صحته وأنه إلهام من الله أما إذا لم يقع فهو مجرد وهم ؛ أو تخيل ؛ أو إلهام شيطان أراد أن يلبس عليه ؛ لأن الشياطين

---

١ - الجن ٢٧ .

٢- المبشرات هي الرؤيا الصادقة كما في حديث عائشة عند البخاري وسيأتي بيانها إن شاء الله في مبحث الرؤيا .

قد تلهم من انساق ورائها وأطاعها فيما تريد من سجود وعبادة وشرك بالله جل وعلا ، وقد تلهمه أموراً غائبة (١) عن الملهم فقط مع كونها موجودة مشاهدة لغيره (٢) بل إنه قد تخبره الشياطين بأمور وقعت في مكان بعيد عنه فيخبر به ، فيظن الجهلة من الناس أنه يعلم الغيب . حتى إنه قد بلغ تلبيسهم على الناس أن الرجل يأتي إلى هذا الشخص الملهم فيبادره بذكر اسمه واسم أبيه ولم يكن قد التقى به أو شاهده قبل هذه المرة ، فيظن هذا الرجل أنه عنده علم من الغيب ولم يعلم أن الشياطين توحي إليه وتلهمه وتخبره بما يريد فيخبر بها عن طريقهم ، وذلك لأن لكل إنسان قرين من الجن يخبر ذلك الشيطان والشيطان يخبر ذلك الرجل وهذا الرجل يخبر سائله أوالذي أقبل عليه يريد العلاج ونحوه ، فيظن ذاك أن هذا الذي أخبر بما غاب عنه يعلم الغيب .(٣) وسيأتي تفصيل لهذا إن شاء الله تعالى (٤).

وقد يكشف لبعض أولياء الله تعالى ما هو غائب عنهم مما هو موجود خارج محسوساتهم فيكون كرامة لهم ، كما قال النبي ﷺ : (إنه كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر .) (٥). ولكن لايجزم بأنه بذلك يعرف الغيب فعمر - رضي الله عنه - لم يقل في يوم من الأيام أنه يعلم الغيب وحاشاه أن يقول ذلك (٦).

ونخلص من هذا المبحث ان الإلهام ليس طريقاً لمعرفة الغيب ، ولا يستطيع صاحبه أن يجزم بأن ذلك الشيء الذي وقع في قلبه صحيح أم لا ؛ فضلا عن كونه سيعرف الغيب من خلاله . إلا ما قد يكشف لبعض الناس من الأولياء عن بعض الأحوال التي تعتبر من الغيب النسبي (٧) . وأما الغيب المطلق فلا

١- انظر الفتاوى لابن تيمية ٨٢/١٣ ، ٨٥ .
٢- انظر النبوات ٢٥١ .
٣- انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/ ٧١ ، ٨٥ .
٤- انظر الفصل الاول من الباب الرابع .
٥- تقدم تخريجه انظر ص (١٣١) .
٦- انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٧٦/١٠ .
٧- انظر مجموع الفتاوى ٤٧٦/١٠ .

يمكن لأحد كائن كان أن يستطيع معرفته ، سواءً كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلا كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى (١).

هل الإلهام طريقاً شرعياً تعرف به الأحكام ؟ :

الإلهام لايمكن أن يعرف به أحكاماً مستقلة لم يأت بها الشرع . يعنى أنه لايكون مستقلا ، ولكن قد يأت لبيان وجه حكم أو دليله بعد أن كان غائباً عن الملهم .

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ : (صرح الأئمة بأن الأحكام الشرعية لاتثبت بذلك . قال أبو المظفر السمعاني (٢) في (القواطع) ـ بعد أن حكى عن أبي زيد الدَّبُوسِي (٣) من أئمة الحنفية أن الإلهام ماحرك القلب لعلم يدعو إلى العمل به من غير استدلال ـ : والذي عليه الجمهور أنه لايجوز العمل به إلا عند فقد الحجج كلها في باب المباح .

وعن بعض المبتدعة أنه حجة واحتج بقوله تعالى : ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ . وبقوله : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل . ﴾ أي ألهمها حتى عرفت مصالحها يؤخذ منه مثل ذلك للآدمي بطريق الأولى .

وذكر فيه ظواهر أخرى . ومنه الحديث قوله ﷺ : ((اتقوا فراسة المؤمن .)) (٤) وقوله لوابصة : ((ماحاك في صدرك فدعه وإن أفتوك .)) (٥) فجعل شهادة قلبه حجة مقدمة على الفتوى ، وقوله : ((قد كان في الأمم محدثون .)) (٦).

١ـ انظر الباب الثاني والثالث .

٢ـ هو : منصور بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي ، أبو المظفر المفسّر . ولد سنة ٤٢٦ هـ وهو جد السمعاني صاحب الأنساب عبد الكريم ، توفي عام ٤٨٩ هـ وله من العمر ٦٣ سنة . انظر السير ١١٤/١٩ . والأعلام ٣٠٣/٧ .

٣ـ عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي نسبة إلى دبوسة بلدة في بخارى وسمرقند . قال السمعاني : كان من كبار الحنفية الفقهاء ممن يضرب به المثل توفي في بخارى عام ٤٣٠ هـ بعمر دام ٦٣ سنة . انظر طبقات الحنفية ٤٩٩/٢ ، ٢٠١/٤ .

٤ـ تقدم تخريجه انظر ص ١١١ .

٥ـ تقدم تخريجه انظر ص ١٣٨ .

٦ـ تقدم تخريجه انظر ص ١٣٢ .

فثبت بهذا أن الإلهام حق وأنه وحي باطن وإنما حرمه العاصي لاستيلاء وحي الشيطان عليه .

[قال] وحجة أهل السنة : الآيات الدالة على اعتبار الحجة والحث على التفكر في الآيات والإعتبار والنظر في الأدلة ، وذم الأماني والهواجس والظنون وهي كثيرة مشهورة ، وبأن الخاطر قد يكون من الله وقد يكون من الشيطان ، وقد يكون من النفس ، وكل شيء احتمل أن لا يكون حقاً لم يوصف بأنه الحق .

قال : والجواب عن قوله تعالى : ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ معناه عرفها طريق العلم وهو الحجج . وأما الوحي إلى النحل فنظيره في الآدمي فيما يتعلق بالصنائع وما فيه صلاح المعاش . . لكن لانجعل شهادة القلب حجه لأننا لانتحقق كونها من الله أو من غيره . . .

وإنكار الإلهام مردود ، ويجوز أن يفعل الله بعبده مايكرمه به ، ولكن التمييز بين الحق والباطل في ذلك : أن كل ما استقام على الشريعة المحمدية ولم يكن في الكتاب والسنة ما يرده فهو مقبول ، وإلا فمردود يقع من حديث النفس وسوسة الشيطان . . ونحن لاننكر أن الله يكرم عبده بزيادة نور منه يزداد به نظره ويقوى به رأيه ، وإنما ننكر أن يرجع إلى قلبه بقول لايعرف أصله . ولا نزعم أنه حجة شرعية ، وإنما هو نور يختص الله به من يشاء من عباده ، فإن وافق الشرع كان الشرع هو الحجة . . .) (١).

ومن هنا تبين لنا أنه لاحجة لإولئك الزاعمين أن باستطاعتهم التخلى عن الكتاب والسنة ومعرفة الأحكام عن طريق الإلهامات والمخاطبات . والله أعلم .

١- انظر الفتح ١٢/ ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

المبحث الخامس : الرؤى المنامية :

الـــرؤى الـمـنـامـيـــة

الرؤيا هي مايُرَى في المنام (١) وقد تخفف الهمزة فيقال بالواو : رُويَا ورأيت عنك رُؤياً حسنة : حلمتها ، وأرأى الرجل إذا كثرت رُؤَاهُ على وزن رُعَاه وهي أحلامهم . وقد تكون الرؤيا في اليقظة ، قال الراعي :

فكبر للرؤيا وهـش فؤاده   وبشر نفساً كان قبل يلومها

وعليه فسر قوله تعالى :

﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس . ﴾(٢)،(٣).

وقال تعالى : ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق . . . ﴾ (٤).

وجاء في الحديث : ((لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصادقة.))(٥)،(٦).

قال الراغب : (الرؤيا على أضرب بحسب قوى النفس :

الأول : إدراك المرء بحاسة البصر وما يجري مجراها نحو قوله تعالى : ﴿ لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ﴾ .

الثاني : إدراك بالوهم والتخيل نحو قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا . . . ﴾ (٧).

الثالث : إدراك بالتفكر النظري نحو قوله تعالى حكاية عن الشيطان : ﴿ إني أرى مالاترون . ﴾(٨).

الرابع : إدراك بالعقل وعلى ذلك حمل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد رآه

١- لسان العرب مادة رأى (٢٩٧/١٤) ، والمفردات (٢٠٩) .
٢- الإسراء (٦٠) .
٣- لسان العرب مادة رأي (٢٩٧/١٤)
٤- الفتح (٢٧).
٥- سيأتي تخريجه انظر (ص ١٥٧)
٦- المفردات - (٢٠٩).
٧- الأنفال (٥٠) .
٨- الأنفال (٤٨)

نزلة أخرى ﴾ (١)٠ (٢)٠

وهذا غير صحيح ، والصواب أنه رأى جبريل عليه السلام ـ ببصره ، ولم ير ربه عياناً على الصحيح .

قال الحافظ في الفتح : (الرؤيا هي مايراه الشخص في منامه وهي بوزن فعلى وقد تسهل الهمزة .

وقال الواحدي : هي في الأصل مصدر كالبشرى فلما جعلت اسماً لما يتخيله النائم أجريت مجرى الأسماء .

قال ابن العربي : الرؤيا إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يد ملك أو شيطان إما بأسمائها أي حقيقتها ، وإما بكناها أي بعباراتها وإما تخليط . ونظيرها في اليقظة الخواطر فإنها قد تأتي على نسق في قصة وقد تأتي مسترسلة غير محصلة .)(٣)٠

أنواع الرؤيا :

يمكن تقسيم الرؤى إلى قسمين :

قسم خاص بالأنبياء وقسم عام يشمل الأنبياء وغيرهم من الناس .

وهذا القسم الأخير ينقسم بحسب نوع الرؤيا إلى ثلاثة أقسام :

الأول : رؤيا من الله وتسمى بالرؤيا الصادقة .

الثاني : رؤيا من الشيطان وتسمى بالرؤيا الكاذبة .

الثالث : مايحدث به المرء نفسه ويشغلها به ثم يرى في المنام ماكان يحدث نفسه به .

وقد دل على هذا التقسيم عدة أحاديث وآثار سيأتي ذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى . وسيأتي تحت كل قسم مايخصه منها ، وأشير هنا إلى ما أورده البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه عن محمد بن سيرين (٤)

١ـ النجم (١٣)

٢ـ المفردات (٢٠٨).

٣ـ انظر الفتح (٣٥٢/١٢) .

٤ـ محمد بن سيرين أبو بكر الانصاري الانسيُّ البصري مولى أنس خادم رسول الله ﷺ ، أدرك عدداً من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ . اختلف في وفاته فقيل مات ١١٠ وقيل ١٢٠ . انظر السير ٦٠٦/٤ .

في سياقه لحديث أبي هريرة وفيه قال : أي أبوهريرة (وكان يقال الرؤيا حديث النفس وتخويف الشيطان وبشرى من الله فمن راى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد ، وليقم فليصل . . .)(١).

رؤيـــا الأنـــبيـــاء .

رؤيا الأنبياء مصدر من مصادر الوحي لأنهم معصومون ورؤياهم معصومة من الشيطان وهذا باتفاق الأمة . (٢).

قال محمد بن كعب : كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله تعالى أيقاضاً ورقوداً ، فإن الأنبياء لاتنام قلوبهم .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : رؤيا الأنبياء وحي واستـدل بقوله تعـالى : ﴿ **قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ...**﴾(٣).

وقال في قوله تعالى عن يوسف : ﴿ إني رأيت أحد عشر كوكباً ﴾ : كانت الرؤيا منهم وحياً .)(٤).

وقال قتادة : (رؤيا الأنبياء حق إذا رأو في المنام شيئاً فعلوه .) (٥).

وقال القرطبي : (وهذا ثبت في الخبر المرفوع قال ﷺ : إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولاتنام قلوبنا .) (٦).

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : (رؤيا الأنبياء وحي كما قال ذلك ابن عباس وعبيده وابن عمير وقرأ قوله تعالى : ﴿ **إني أرى في المنام أني أذبحك** ﴾(٧).

١ـ البخاري (ح ٧٠١٧) .

٢ـ حكى هذا الإتفاق ابن القيم ،انظر مدارج السالكين (٦٢/١).

٣ـ الصافات (١٠٢) .

٤ـ جامع البيان (١٥١/٢١) .

٥ـ جامع البيان (٧٨/٢٣)

٦ـ الطبقات الكبرى لابن سعد (١٧١/١) عن طلحة بن عمر عن عطاء عن النبي ﷺ فذكر الحديث . قال الالباني : إسناده ضعيف مرسل . لكن يشهد له حديث أنس بن مالك في الإسراء وفيه (. . والنبي نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولاتنام قلوبهم .) أخرجه البخاري (ح٣٥٧٠) ، وأحمد ٢٧٤/١ . وللحديث شواهد انظر السلسة الصحيحة (٢٨٠/٣ ، ح ١٧٠٥) .

٧ـ الفتاوى (٥٣٢/١٧).

وقد كان مبدأ الوحي بالرؤيا الصادقة التي كان يراها النبي ﷺ كما في حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : (أول مابدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ...)(١).

فكانت مدة الوحي بالرؤيا ستة أشهر . (٢) ثم جاءه وحي اليقظة حينما نزل عليه جبريل عليهما السلام .

وفي رواية ابن عقيل : (الرؤيا الصادقة) بدلا من الصالحة (٣).

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان معنى اللفظتين : (هما بمعنى واحد بالنسبة إلى أمور الآخرة في حق الأنبياء ، وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا فالصالحة في الأصل أخص ، فرؤيا النبي كلها صادقة وقد تكون صالحة وهي الأكثر وغير صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع في الرؤيا يوم أحد ...)(٤).

ومن رؤيا الأنبياء ما حصل لخليل الرحمن ابراهيم ـ عليه السلام ـ حيث أن الله جل ثناؤه أمره أن يذبح ابنه من خلال رؤياً رآها في المنام قال تعالى : ﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين ۞ رب هب لي من الصالحين ۞ فبشرناه بغلام حليم ۞ فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ۞ فلما أسلما وتله للجبين ۞ وناديناه أن ياابراهيم ۞ قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . ﴾ (٥).

فهذه الرؤيا حق ووحي من الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى خليله ابراهيم ـ عليه السلام ـ .

وكذلك رؤيا الأنبياء جميعاً . فهذا يوسف ـ عليه السلام ـ رأى رؤيا

١ـ تقدم تخريجه انظر ص ١٣٠ .

٢ـ انظر الفتح (٢٧/١).

٣ـ رواه البخاري (ح ٦٩٨٢) .

٤ـ فتح الباري (٣٥٥/١٢) .

٥ـ الصافات (٩٩ ـ ١٠٥) .

فوقعت كما رأى ، قال تعالى : ﴿ إذ قال يوسف لأبيه ياأبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ۞ قال يابني لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين . ﴾ (١) .

فوقعت الرؤيا وتحققت كما رآها يوسف - عليه السلام - . قال تعالى مخبراً عن تحققها : ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً . . . ﴾ (٢) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في معنى هذه الآية : (أي هذا ما آل إليه الأمر فإن التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر كما قال تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله ﴾ (٣) أي يوم القيامة يأتيهم ما وعدوا من خير أو شر . وقوله : ﴿ قد جعلها ربي حقاً ﴾ أي صحيحة صدقاً .) (٤) .

وقد تقدم أن أول مجيء الوحي إلى النبي ﷺ كان عن طريق الرؤيا الصالحة . ثم كثرة رؤاه - عليه الصلاة والسلام - وهذا بعض منها :

قال الله تعالى : ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً . ﴾ (٥) .

وقد تحققت هذه الرؤيا فدخل المسلمون مكة معتمرين آمنين بفضل من الله ورحمة ، وكان ذلك بعد صلح الحديبية .

وقال تعالى : ﴿ إذيريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم . . . ﴾ (٦) .

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : (يقول تعالى ذكره وإن الله يامحمد سميع لما يقول أصحابك ، عليم بما يضمرون ؛ إذ يريك الله عدوك

١- يوسف (٤ - ٥)
٢- يوسف (١٠٠) .
٣- الأعراف (٣) .
٤- تفسير القرآن العظيم (٣٣٦/٤) .
٥- الفتح (٢٧) .
٦- الأنفال (٤٣) .

وعدوهم ﴿ في منامك قليلا ﴾ يقول : يريكهم في نومك قليلا فتخبرهم بذلك حتى قويت قلوبهم واجترأوا على حرب عدوهم ؛ ولو أراك ربك عدوك وعدوهم كثيراً لفشل أصحابك وخافوا ولم يقدروا على حرب القوم ؛ ولتنازعوا في ذلك ولكن الله سلمهم بما أراك في منامك من الرؤيا إنه عليم بما تخفيه الصدور . . .)(١).

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال : (رأيت كأن امرأة سوداء ناثرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة ـ وهي الجحفة ـ فأولت أن وباء المدينة نقل إليها .) (٢).

ومنها حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أرَى عن النبي ﷺ ـ قال: (رأيت رُويَاي أني هززت سيفاً فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد . ثم هززته أخرى فعاد كأحسن ماكان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين . ورأيت فيها بقراً والله خير ، فإذا هم المؤمنون يوم أحد) (٣).

ومنها حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال النبي ﷺ : (رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة ، وسمعت خشخشة فقلت من هذا ؟. فقال : هذا بلال . ورأيت قصراً بفناءه جارية فقلت لمن هذا ؟ . فقال : لعمر فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك . فقال عمر بأبي وأمي أنت يارسول الله أعليك أغار ؟ .) (٤).

ومنها حديث سمرة بن جندب قال كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا ؟ . قال : فإن رأى أحد قصها ، فيقول ماشاء الله . فسألنا يوماً فقال هل رأى أحد منكم رؤيا ؟ . قلنا لا . قال لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة .. (٥) وفيه أنه رأى أصناف المعذبين من هذه الأمة فذكر الكذاب

١ـ جامع البيان (٥٦٩/١٤ ـ ٥٧٠)
٢ـ رواه البخاري (ح ٧٠٣٨) .
٣ـ رواه البخاري (ح ٤٠٨١).
٤ـ رواه البخاري (ح ٣٦٧٩) .
٥ـ رواه البخاري (ح ١٣٨٦) .

والذي آتاه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به في النهار والزناة وآكلوا الربا ، ورأى ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وحوله صبيان .

ورأى النبي ﷺ كثيرة جداً مدونة في كتب السنة وهذا ليس مكان ذكرها . وقد أفرد البخارى ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم أبواباً في الرؤيا وتعبيرها ، وما وقع للنبي ﷺ ولصحابته الكرام منها .

رؤيا غير الأنبياء

قد أشرت أن هذا النوع ينقسم إلى ثلاثة أقسام وسأذكرها هنا بإيجاز :

القسم الأول ـ الرؤيا الصادقة التي تكون من الله :

هذه الرؤيا تعرف باسم الرؤيا الصادقة لأنها تكون من الله ـ سبحانه وتعالى ـ وما كان من الله فهو حق .

وتحصل في أغلب الأحيان للمؤمنين المتقين . وهي المعنية بقوله ﷺ : ((رؤيا المؤمن جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة .)) (١).

وفي رواية أنها ((جزء من سبعين جزء من النبوة .)) (٢).

ومعنى أنها جزء من النبوة أي في صدق الخبر ؛ لابكونها مصدر من مصادر التشريع التي يعول عليها .

قال الخطابي : (الرؤيا تجيء على موافقة النبوة لا أنها جزء باق من النبوة .)(٣).

وقال ابن بطال (٤) : (إن النبوة مأخوذة من الإنباء وهو الإعلام لغة ، فعلى هذا المعنى أن الرؤيا خبر صادق من الله لاكذب فيه ، كما أن معنى النبوة نبأ صادق من الله لايجوز عليه الكذب فشابهت الرؤيا النبوة في صدق الخبر) (٥).

١- رواه البخاري (ح ٦٩٨٨) .

٢- رواه مسلم (ح٢٢٦٥) .

٣- انظر فتح الباري (٣٧٤/١٢) .

٤- علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال أبو الحسن كان من أهل العلم والمعرفة ، عُني بالحديث . من أهل قرطبة له شرح البخاري توفي في صفر عام ٤٤٩ . انظر السير ٤٧/١٨ ، والاعلام ٢٨٥/٤ .

٥- انظر الفتح (٣٧٣/١٢) .

وقال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ : (إن الرؤيا إنما كانت جزء من أجزاء النبوة لكونها من الله تعالى ، بخلاف التي من الشيطان ؛ فإنها ليست من أجزاء النبوة . وأشار البخاري إلى ذلك في ترجمته في كتاب الرؤيا بقوله : باب الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءً من النبوة)(١).

فهذا النوع من الرؤيا يكون من الله كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : ((الرؤيا الصالحة من الله . والحلم من الشيطان ، فإذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ من الشيطان فإنها لاتضره .)) (٢).

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (الرؤيا الصادقة من الله وإنها من النبوة ، قال ﷺ : (الرؤيا من الله والحلم من الشيطان .) وإن التصديق بها حق ولها التأويل الحسن ، وربما أغنى بعضها عن التأويل ، وفيها من بديع الله ولطفه ما يزيد المؤمن في إيمانه . ولا خلاف في هذا بين أهل الدين والحق من أهل الرأي والأثر ، ولاينكر الرؤيا إلا أهل الإلحاد وشرذمة من المعتزلة .

وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثاً ، فصدق الرؤيا تكون بحسب صدق الرائي فمن أراد أن تصدق رؤياه فليتحر الصدق وأكل الحلال ؛ والمحافظة على الأمر والنهي ؛ ولينم على طهارة كاملة مستقبل القبلة ؛ وليذكر الله حتى تغمض عيناه ؛ فإن رؤياه لاتكاد تكذب البتة .) (٣).

وأصدق الرؤيا رؤيا الأسحار لقول النبي ﷺ : ((أصدق الرؤيا بالأسحار .)) (٤).

(فوقت الأسحار وقت النزول الإلهي واقتراب الرحمة والمغفرة وسكون الشياطين ، وعكسه رؤيا العتمة عند انتشار الشياطين والأرواح الشيطانية .)(٥).

وإذا تواطأت رؤيا المؤمنين لم تكد تكذب ، فمتى ماتوافق الجماعة

١ـ انظر فتح الباري (١٢/٣٧٤) .
٢ـ رواه البخاري (ح٣٢٩٢) .
٣ـ انظر مدارج السالكين (١/٦٠ ـ ٦٣) .
٤ـ رواه مسلم (ح ٢٢٦٣).
٥ـ مدارج السالكين (١/٦٣) .

على رؤيا واحدة فهي صحيحة لامحالة . ويدل على ذلك حديث ابن عمر : (أن رجالا من أصحاب النبي ﷺ أوروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر فقال رسول الله ﷺ : (أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر .) (١).

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ : (يستفاد من الحديث أن توافق جماعة على رؤيا واحدة دال على صدقها وصحتها كما تستفاد قوة الخبر من التواتر على الأخبار من جماعة .) (٢).

وهذه الرؤيا ليست طريقاً شرعياً تعرف بها الأحكام ، بل لابد من عرضها على الوحي فإن كانت موافقة له وإلا ردت على صاحبها .

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : (إن قيل فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة أو تواطأت ؟ . قلنا متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي بل لاتكون إلا مطابقة له أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمه لم يعرف الرائي اندراجها فيه فيتنبه في الرؤيا على ذلك .) (٣).

إذاكانت الرؤيا الصادقة من الله فكيف تقع من الكافر :

هذاإشكال قد يورده البعض وهو إن كانت الرؤيا الصادقة من الله وهي جزء من النبوة فكيف يكون الكافر والفاسق والكاذب أهلا لها ؟ .

وقد وقعت من بعض الكفار وغيرهم ـ ممن لايرضى دينهم ـ منامات صحيحة صادقة كمنام رؤيا الملك الذي رأى سبع بقرات ، ومنام الفتيين في السجن ، ورؤيا بختنصر (٤) الذي فسرها دانيال (٥) بزوال ملكه ، ورؤيا

١ـ متفق عليه ، البخاري (ح ٦٩٩١) ومسلم (١١٦٥).

٢ـ فتح الباري (٣٨٠/١٢) .

٣ـ مدارج السالكين (٦٢/١ ـ ٦٣) .

٤ـ هو أحد ملوك الفرس الذين سلطهم الله على بني اسرائيل فقتلهم وسباهم إلى بلاده وخرب بيت المقدس . انظر تاريخ الطبري ٥٣٨/١ ، ٥٣٩ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٣٢/٢ .

ومما يذكر في مصادر التاريخ القديمة أنه ملك لاحد الدول القديمة التي قامت في العراق ، وكانت تسمى بالاشورية ، انظر تاريخ العرب ماقبل الإسلام ٥٧٤/١ ومابعدها .

٥ـ دانيال ـ عليه السلام ـ أحد أنبياء بني اسرائيل وقع في الأسر عندما سبى بختنصر بني اسرائيل ، وأقام في السجن ، مات في أرض فارس ، وقد وجده أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ في =

كسرى في ظهور النبي ﷺ، ومنام عاتكة عمة رسول الله ﷺ في أمره وهي كافرة ، ورؤيا عبد المطلب في حفر بئر زمزم وغيرها . وقد ترجم البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحة لذلك فقال باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك . وأورد قصة رؤيا الفتيان اللذان كانا في السجن مع يوسف ـ عليه السلام ـ .

وقد أجاب الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ على هذا الإشكال بعد أن ساقه فقال : (إن الكافر والفاجر والفاسق والكاذب وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات لاتكون وحياً ولا من النبوة ، إذ ليس كل من صدق في حديث غيب يكون خبره نبوة ، فالكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق فيصدق ؛ لكن ذلك على الندور والقلة فكذلك رؤيا هؤلاء . قال المهلب : إنما ترجم البخارى بهذا لجواز أن تكون رؤيا أهل الشرك رؤيا صادقة كما كانت رؤيا الفتيين صادقة ، إلا أنه لايجوز أن تضاف إلى النبوة إضافة رؤيا المؤمن إليها ؛ إذ ليس كل مايصح له تأويل الرؤيا حقيحة يكون جزء من النبوة .) (١).

وقال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ الرؤيا الصحيحة وإن اختصت غالباً بأهل الصلاح ؛ لكن قد تقع لغيرهم . . قال أهل العلم بالتعبير : إذا رأى الكافر أو الفاسق الرؤيا الصالحة فإنها تكون بشرى له بهدايته إلى الإيمان مثلا أو التوبة ، أو تكون إنذار من بقاءه على الكفر أو الفسق ، وقد تكون لغيره ممن ينسب إليه الفضل ، وقد يرى مايدل على الرضا بما هو فيه ويكون من جملة الإبتلاء والغرور والمكر نعوذ بالله من ذلك .) (٢).

وقد تكون الرؤيا الصحيحة من الكافر إنذاراً له وحجة عليه أو استدراجاً له وزياده في إغوائه وإضلاله كما تقدم ذكره .

أما المؤمن فإنها قد تكون له تبشيراً وتوجيها له ، وقد تكون تمهيداً وتسلية لما سيقع عليه من المصائب حتى يصبر عليها ويتحملها بصدر راض

= تابوت على هيئته فدفنه وبشر بذلك عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، وهذه معجزة من معجزات النبي ﷺ حيث أخبر أن دانيال دعى ربه أن تدفنه أمة محمد ﷺ .

١ـ الجامع لأحكام القرآن (١٢٤/٩ ـ ١٢٥).

٢ـ فتح الباري (٣٨١/١٢) .

فمجيئها يعد تمهيداً وسابق إنذار يكون وقعها أهون بكثير فيما لو وقعت بغتة والله أعلم .

أنواع من الرؤيا الصادقة :

أ ـ الرؤيا في آخر الزمان :

في آخر الزمان تكثر رؤيا المؤمن وتكون صادقة لاتكاد تكذب . وقدأخبر النبي ﷺ بذلك فقال : (إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب . . .) (١).

وفي رواية للترمذي : (في آخر الزمان لاتكاد رؤيا المؤمن تكذب ...)(٢).

وفي رواية لابن ماجة : (إذا قرب الزمان . . .) (٣).

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى هذا الحديث : (قال ابن بطال المعنى أنه إذا اقتربت الساعة وقبض أكثر العلم ودرست معاني الديانه بالهرج والفتنة فكان الناس على مثل الفترة محتاجين إلى مذكر ومجدد لما درس من الدين كما كانت الأمم تذكر بالأنبياء ، لكن لما كان نبينا خاتم الأنبياء ؛ وصار الزمان المذكور يشبه زمان الفترة عوضوا بما منعوا من النبوة بعده بالرؤيا الصادقة التى هي جزء من النبوة الآتية بالتبشير والإنذار .) (٤).

وقال القرطبي في المفهم (٥) : (المراد بآخر الزمان زمان الطائفة الباقية مع عيسى ـ عليه السلام ـ بعد قتل الدجال فإنهم أحسن هذه الأمة حالا بعد الصدر الأول وأصدقهم أقوالا فكانت رؤياهم لاتكذب ومن ثم قال عقب هذا : (أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً .) (٦).

وقد أخرج مسلم عن ابن عباس قال : كشف رسول الله ﷺ الستارة

١- متفق عليه البخاري (٧٠١٧) ، ومسلم (٢٢٦٣).

٢- الترمذي (ح٢٢٩١) .

٣- ابن ماجة (ح٣٩١٨) .

٤- انظر فتح الباري (٤٠٥/١٢) .

٥- المفهم شرح مختصر مسلم لأبي العباس أحمد بن ابراهيم القرطبي المتوفى عام : ٦٥٦ . انظر بروكلمان ١٨١/٣ ، وسزكين ٣٥٦/١ .

٦- انظر فتح الباري (٤٠٦/١٢) .

والناس صفوف خلف أبي بكر فقال : ((أيها الناس إنه لم يبق من ميراث النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له . . .)) (١).

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا ومالمبشرات ؟ . قال : الرؤيا الصادقة .))(٢). ورواه غيرهما من أهل السنن .

فمعنى الحديث : (أن الوحي ينقطع بموت النبي ﷺ ولا يبقى مايعلم منه ماسيكون إلا الرؤيا)(٣).

ب ـ رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام :

جاء في السنة الصحيحة أن الذي يرى النبي ﷺ في المنام فإنه يراه حقيقة ، لأن الله عصم النبي ﷺ والأنبياء من قبله فلا يمكن أن يتمثل الشيطان في صورته فقد حماه الله منه حياً وميتاً .

روى البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : ((من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لايتمثل بي . . .)) (٤).

وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ : ((من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولايتمثل الشيطان بي.))(٥).

وفي حديث أبي سعيد الخدري (من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لايتكونني .) (٦).

فدلت هذه الأحاديث على أن من رأى النبي ﷺ في المنام فإنه قد رآه حقيقة إذا كان رآه بالصورة التي كان عليها لأن الشيطان لايستطيع أن يتمثل بنفس صورة النبي ﷺ ، ولكن ليس كل من ادعى أنه رآى النبي ﷺ يقبل منه؛

١ـ مسلم (ح ٤٧٩) .
٢ـ البخاري (ح ٦٩٩٠) .
٣ـ فتح الباري (١٢/ ٣٧٦) .
٤ـ رواه البخاري (ح ٦٩٩٤) .
٥ـ رواه البخاري (ح ٦٩٩٣) .
٦ـ رواه البخاري (ح ٦٩٩٧) .

بل لابد من سؤاله عن صفاته فإن وافقت الصفات التي وصفها الرآئي صفات النبي ﷺ قبل منه أن الذي رآه في المنام هو النبي ﷺ وإلا فلا .

وقد كان محمد بن سيرين ـ رحمه الله تعالى ـ (إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ قال : صف لي الذي رأيته فإن وصف له صفة لايعرفها قال : لم تره .)(١).

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ : (ويؤيده ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم بن كليب حدثني أبي قال : (قلت لابن عباس : رأيت النبي ﷺ في المنام ، قال : صفه لي ، قال : ذكر الحسن بن علي فشبهه به ، قال : قد رأيته .) (٢).(٣).

قال : (. . وعلى ذلك جرى علماء التعبير فقالوا : إذا قال الجاهل رأيت النبي ﷺ فإنه يسأل عن صفته فإن وافق الصفة المروية وإلا فلا يقبل منه ...)(٤).

قال ... ومعنى قوله (فقد رأى الحق) أي رأى الحق الذي قصد إعلام الرائي فإن كانت على ظاهرها وإلا سعى في تأويلها ولا يهمل أمرها لأنها إما بشرى بالخير أو إنذار من شر ، إما ليخيف الرائي إما لينزجر عنه ، وإما لينبه على حكم يقع له في دينه أو دنياه .) (٥).

ولابد من عرض هذه الرؤيا على الكتاب والسنة فما وافقها فهو صحيح وما خالفها فلا عبرة فيه .

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ : (لو رأى النائم النبي ﷺ يأمره

١- انظر فتح الباري (٣٨٤/١٢) ، قال الحافظ سنده صحيح .

٢- رواه الحاكم (٤/ ٣٩٣) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة ، ووافقه الذهبي على صحته ولفظه : (. . عن عاصم بن كليب قال : حدثني أبي أنه سمع أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول : قال رسول الله ﷺ (من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة فإن الشيطان لايتمثل بي .) قال أبي : فحدثت فيه ابن عباس وقلت قد رأيته ﷺ فذكرت الحسن بن على فشبهته به فقال : أنه كان يشبهه). قال الحافظ سنده جيد .الفتح (٣٨٤/١٢) .

٣- انظر الفتح (٣٨٤/١٢) .

٤- فتح الباري (٣٨٧/١٢) .

٥- فتح الباري (٣٨٤/١٢ ، ٣٨٥) .

بشيء هل يجب عليه امتثاله ولابد ؟ . أم لابد أن يعرضه على الشرع الظاهر ؟ والثاني هو المعتمد .)(١).

وقال في موضع آخر : (من رأى النبي ﷺ في المنام فأمره بأمر يخالف نصاً فلا يكون ذلك الحكم مشروعاً لافي حقه ولا في حق غيره .)(٢).

وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : (رؤيا غير الأنبياء تعرض على الوحي الصريح فإن وافقته وإلا لم يعمل بها .)(٣).

بل إذا رآه وأمره بخلاف ماجاء به من الشرع فإن ذلك يدل على أنه لم يره وإنما تمثل له شيطان وادعى أنه رسول الله ﷺ . والله أعلم .

القسم الثاني ـ الرؤيا التي تكون من الشيطان :

هذه الرؤيا تسمى الرؤيا الكاذبة لأن الشيطان قد يعرض فيها لابن آدم فيصور له صوراً وتخيلات تأمره فيها بما يخالف الشرع ، أو قد يلعب به فيصور له أشياء تخيفه وتزعجه لأنه عدو لبني آدم منذ خلق آدم ، وقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله : رأيت في المنام كأن رأسي ضرب فتدحرج فاشتددت على أثره فقال رسول الله ﷺ للأعرابي : ((لاتحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك .)) (٤).

وقال جابر ـ رضي الله عنه ـ راوي الحديث : (سمعت النبي ﷺ بعد يخطب فقال : (لايحدثن أحدكم بتلاعب الشيطان به في منامه .) (٥).

وكان أبو قتادة ـ رضي الله عنه ـ يقول : (كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت النبي ﷺ يقول : ((الرؤيا الحسنة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب ، وإذا رأى مايكره فليتعوذ من شرها ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثاً ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضره .)) (٦).

١- فتح الباري (٣٨٩/١٢) .
٢- فتح الباري (٣٧٤/١٢ ، ٣٧٥) .
٣- مدارج السالكين (٦٢/١) .
٤- رواه مسلم (ح ٢٢٦٨) .
٥- رواه مسلم (ح ٢٢٦٨) .
٦- رواه البخاري (ح ٧٠٤٤) ، ومسلم (ح ٢٢٦١) .

وكذلك كان أبو سلمة ـ رضي الله عنه ـ يقول : (إني كنت لأرى الرؤيا تمرضني قال فلقيت أبا قتادة فقال : وأنا كنت لأرى الرؤيا لتمرضني . . .) ثم ساق الحديث (١).

ومعنى كونها من الشيطان أي أن الله يخلق ما يجعله علماً على مايضر الرائي فيحضره الشيطان ذلك فيسر بها ؛ ويخيل للرائي خيالات أخرى غيرها ولذلك نسبت إليه لما فيها من الكذب والتهويل وغير ذلك .(٢).

وقد أرشد النبي ﷺ من وجد مثل تلك الرؤيا أن يستعيذ من الشيطان وينفث عن يساره ثلاثاً ويقوم ويصلي ركعتين وينقلب على جنبه الذي كان عليه كما جاء ذلك في عدة أحاديث منها مايلي :

قوله ﷺ في حديث قتادة : ((الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات وليتعوذ بالله من شرها فإنها لاتضره .))(٣).

وفي رواية ((وليتحول من جنبه الذي كان عليه .)) (٤).

وزاد في رواية أخرى قوله : ((ولايخبر بها أحداً .)) (٥).

وفي رواية ثالثة : ((. . وليتعوذ من شر الشيطان وشرها ولا يحدِّث بها أحد فإنها لن تضره .)) (٦).

قال القاضي عياض (٧) ـ رحمه الله تعالى ـ (وأمر بالنفث ثلاثاً لطرد الشيطان الذي حضر رؤياه المكروهة تحقيراً له واستقذاراً . وخصت به اليسار

١ـ رواه مسلم (ح ٢٢٦١) .
٢ـ انظر فتح الباري (١٢/٣٩٣) ، وشرح النووي على مسلم (١٥/ ١٧) .
٣ـ رواه مسلم (ح ٢٢٦١) .
٤ـ رواه مسلم (ح ٢٢٦١ كتاب الرؤيا ح ٢) .
٥ـ رواه مسلم (ح ٢٢٦١ كتاب الرؤيا ح ٣) .
٦ـ المصدر السابق
٧ـ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي . ولد عام ٤٧٦ هـ . جلس للمناظرة وعمره ٢٨ سنة وتولى القضاء وله ٣٥ سنة . له مصنفات عديدة منها : الاكمال في شرح صحيح مسلم كمل به كتاب المعلم للمازري ومشارق الانوار ، والشفاء في حقوق المصطفي وغيرها ت في محرم عام ٥٠٤ هـ انظر السير ٢١٢/٢٠ .

لأنها محل الأقذار والمكروهات .)

وقال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ (وأما قوله فلا يحدث بها أحد فسببه أنه ربما فسرها تفسيراً مكروهاً على ظاهرها وصورتها وكان ذلك محتملا فوقعت كذلك بتقدير الله تعالى ، فإن الرؤيا على رجل طائر ، ومعناه أنها إذا كانت محتملة وجهين فَفُسِرَت بأحدهما وقعت على قرب تلك الصفة ، قالوا : وقد يكون ظاهرالرؤيا مكروهاً ويفسر بمحبوب وعكسه وهذا معروف لأهله .)(١) .

القسم الثالث ـ مايحــدث المـرء بـه نفســه :

هذا النوع من الرؤيا يحصل كثيراً لكثير من الناس ، فقد ينام شخص وقلبه مشغول بشيء معين فيراه في المنام ، وقد ينام وهو جائع يحدث نفسه بالأكل والشرب فيرى أنه يأكل ويشرب ، وقد ينام وهو يفكر في مسألة معينة فتجده في منامه يبحث حلولها ويفك رموزها ويزيل اشكالاتها وهكذا .

وقد ذكر النبي ﷺ هذا النوع وعده من الرؤيا التي تقع في المنام . فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال : ((الرؤيا ثلاثة فرؤيا بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا من الله مما يحدث به المرء نفسه .))(٢) .

الـرؤيـا وعـلـم الـغـيـــب :

بعد ذكر هذا التقسيم الموجز لأنواع الرؤيا يبقى الكلام عن علاقتها بالغيب وهل يمكن من خلالها الإطلاع على بعض الغيوب أم لا . ؟ هذا ماسيتبين إن شاء الله فيما يلي :

فالقسم الثاني والثالث من الرؤيا : تبين أنه لايعتمد عليه في شيء ؛ لا في علم الغيب ولا في غيره .

أما القسم الأول : فإنه يمكن أن يعرف الرائي بعض ما سيقع في المستقبل أو غيره عن طريق الرؤيا الصادقة ، وقد حدث كثير من ذلك لكثير

١ـ انظر شرح النووي على مسلم (١٥/١٨) .

٢ـ رواه مسلم (٢٢٦٣) والبخاري موقوفاً (ح ٧٠١٧) .

من الناس وما زال ؛ يحدث سواء كانت الرؤيا صريحة أو تحتاج إلى تأويل ، وهذا لاينكره إلا مكابر أو جاحد . وأقوال العلماء في ذلك كثيرة منها مايلى :

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - بعد ان ساق عدة وقائع من الرؤى المنامية التي حصل فيها معرفة شيء من الغيوب النسبية قال : (وهذا باب طويل جداً فإن لم تسمح نفسك بتصديقه وقلت هذه منامات وهي غير معصومة؛ فتأمل من رأى صاحباً له أو قريباً أو غيره فأخبر بأمر لايعلمه إلا صاحب الرؤيا ، أو أخبره بمال دفنه ، أو حذره من أمر يقع ، أو بشره بأمر يوجد فوقع كما قال ، أو أخبره بأنه يموت هو أو بعض أهله إلى كذا وكذا فيقع كما أخبر ، أو أخبره بخصب أو جدب أو عدو أو نازلة أو مرض أو بغرض له ، فوقع كما أخبره ، والواقع من ذلك لايحصيه إلا الله ، والناس مشتركون فيه ، وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب .

وأبطَلَ دعوي من قال : إن هذه علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند إنقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم ، وقال : هذا عين الباطل والمحال فإن النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الأمور التي يخبر بها الميت ولا خطرت ببالها ولا عندها علامة عليها ولا أمارة بوجه ما ، ونحن لاننكر أن الأمر قد يقع كذلك . وأن من الرؤيا مايكون من حديث النفس وصورة الإعتقاد بل كثير من مرائي الناس إنما هي مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق فإن الرؤيا على ثلاثة أنواع .) (١).

وذكر الأنواع الثلاثة التي مر ذكرها .

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - : (إن من الرؤيا الصادقة التي تقع من المؤمن فيها إخبار عن الغيب وقد يقع من الكافر رؤيا تخبر عن مغيبات وهذا كثير ولكن رؤيا الكافر ليست من النبوة .) (٢).

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - في شرحه لحديث الرؤيا جزء من ست وأربعين جزءً من النبوة قال بعد أن ذكر قول مالك عندما سئل

١- الروح (٤٢، ٤٣) .

٢- انظر الجامع لاحكام القرآن (١٢٤/٩) .

أيعبر الرؤيا كل أحد قال : (أيلعب بالنبوة) قال الحافظ معلقاً عليه : (لم يُرد أن الرؤيا نبوة باقية وإنما أراد أنها لما اشبهت النبوة من جهة الإطلاع على بعض الغيب فلاينبغي أن يتكلم فيها بغير علم .)(١).

وقال في موضع آخر : (الرؤيا لاتكون إلا من أجزاء النبوة إن صدرت من مسلم صادق صالح ، ومن ثم قيدت بذلك في حديث (رؤيا المسلم جزء من أجزاء النبوة) . فإنه جاء مقتصراً على المسلم وأخرج الكافر ، وجاء مقيداً بالصالح تارة ، وبالصالحة تارة ، وبالحسنة وبالصادقة ، فيحمل المطلق على المقيد وهو الذي يناسب حاله حال النبي فيكرم بما أكرم به النبي ﷺ وهو الإطلاع على شيء من الغيب ، أما الكافر والمنافق والكاذب والخلط وإن صدقت رؤياهم فإنها لاتكون من الوحي ولا من النبوة . . .) (٢) وقد تقدم هذا .

وقال ابن العربي ـ رحمه الله تعالى ـ : (أراد النبي ﷺ أن يبين أن أجزاء النبوة لايعلم حقيقتها إلا ملك أو نبي وإنما القدر الذي أراده النبي ﷺ أن يبين أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة في الجملة لأن فيه إطلاعاً على الغيب من وجهة ما ، وأما تحصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة .)(٣).

وقال المازري : (يحتمل أن يراد بالنبوة في هذا الحديث الخبر بالغيب لاغير .) (٤).

ونقل النووي عنه قوله : (ويحتمل أن يكون المراد [في الحديث أن الرؤيا من النبوة] أن المنام فيه أخبار بالغيب وهو إحدى ثمراتب النبوة .)(٥).

كيف يحصل الاطلاع على الغيب النسبي في المنام :

بين ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ كيف يتم في المنام الإطلاع على بعض المغيبات فقال : (إن أرواح الأحياء تتلاقى في النوم كما تتلاقى أرواح

١ـ الفتح (٣٦٣/١١) .
٢ـ فتح الباري (٤٠٦/١٢) .
٣ـ انظر فتح الباري (٣٦٤/١٢) .
٤ـ فتح الباري (٣٦٣/١٢) .
٥ـ شرح النووي على مسلم (٢١/١٥) .

الأحياء والأموات .

قال بعض السلف إن الأرواح تتلاقى في الهواء فتتعارف أو تتذاكر فيأتها ملك الرؤيا بما هو لاقيها من خير أو شر ، قال : وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكاً علمه وألهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومتقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها ولا يشتبه عليه منها شيءٌ ولا يغلط فيها ، فتأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصيب لهذا الإنسان من خير وشر في دينه ودنياه ، ويضرب له فيها الأمثال والأشكال على قدر عادته ، فتارة يبشره بخير قدمه أو يقدمه ، وينذره عن معصية ارتكبها أو هم بها ، ويحذره من مكروه انعقدت أسبابه ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها ولغير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله في الرؤيا نعمة منه ورحمة وإحساناً وتذكيراً وتعريفاً ، وجعل أحد طرق ذلك تلاقي الأرواح وتذاكرها وتعارفها . وكم ممن كانت توبته وصلاحه وزهده واقباله على الآخرة عن منام أو رؤيا رويت له ، وكم ممن استغنى وأصاب كنزاً دفيناً عن منام .)(١) وهذا الكلام يحتاج إلى دليل . ولكن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ استدل على ذلك بالواقعات التي وقعت وتقع لكثير من الناس .

والوقائع من الخبر عن غيب سيقع في المستقبل أو نحوه ذلك كثيرة جداً أذكر منها مايلي :

١ ـ رؤيا ملك مصر التي ذكرها الله في كتابه قال تعالى : ﴿ **وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخريابسات** ﴾(٢) .

وأولها يوسف ـ عليه السلام ـ قال تعالى : ﴿ **قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ۞ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ۞ ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث**

١- الروح (٤٦ ، ٤٧) .

٢- يوسف (٤٣).

فيه يغاث الناس وفيه يعصرون . ﴾(١) .

ففي هذه الرؤيا عرف الملك وقومه في ذلك الوقت أموراً قدرها الله وعلمها ولم تقع فأطلعهم عليها عن طريق رؤيا الملك وتأويل يوسف عليه السلام.

٢ ـ رؤيا الفتيين اللذين كانا مع يوسف ـ عليه السلام ـ في السجن قال تعالى : ﴿ ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخرفهذه من أمور الغيب التي اطلع عليها الفتيان من خلال الرؤيا وعرفاها بتأويل يوسف ـ عليه السلام ـ لها .

إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبأنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ﴾(٢) .

إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبأنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ﴾(٣) .

فهذه من أمور الغيب التي اطلع عليها الفتيان من خلال الرؤيا وعرفاها بتأويل يوسف ـ عليه السلام ـ لها .

قال تعالى : ﴿ ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان . ﴾(٤) .

٣ ـ ورؤيا بختنصر التي فسرها له دانيال بذهاب ملكه فذهب فوقع كما رأى في الرؤيا .(٥) .

٤ ـ رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ في مصاب أهل مكة وخروجهم إلى حَربٍ بعد ثلاثة أيام من الرؤيا ، فوقع ذلك في اليوم الثالث وخرج أهل مكة إلى لقاء النبي ﷺ في بدر فكانت فيه مصارعهم ، فما بقي بيت في مكة إلا وقد أصابه مصيبة من تلك الموقعة ولله الحمد والشكر .(٦) .

١ـ يوسف (٤٧ ، ٤٩) .

٢ـ يوسف (٣٦) .

٣ـ يوسف (٣٦) .

٤ـ يوسف (٤١) .

٥ـ الجامع لأحكام القرآن (١٢٤/٩) .

٦ـ انظر السيرة النبوية لابن هشام (٦٠٧/١) .

٥ - ومثل هذه الرؤيا رؤيا عبد المطلب حينما أتاه آت فأمره بحفر بئر زمزم ودله على مكانها (١).

٦ - ورؤيا جهم بن الصلت (٢) في الطريق إلى بدر حينما رأى مصارع قومه من المشركين وعدهم بأسماءهم شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة ، وأبو جهل ، وأمية وغيرهم (٣).

٧ - ورؤيا الطفيل بن عمر (٤) حينما خرج إلى اليمامة لقتال المرتدين، فقد رأى أنه يستشهد في تلك الموقعة فاستشهد - رضي الله عنه - (٥).

٨ - رؤيا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مبعث النبي ﷺ . قال عمر : (بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول ياجليح (٦) أمر نجيح (٧) رجل فصيح (٨) يقول لاإله إلا الله فقمت ، فما نشبنا (٩)أن قيل هذا نبي .) (١٠).

٩ - رؤيا الأحياء للأموات وهي كثيرة جداً :

١- انظر السيرة النبوية لابن هشام (١٤٢/١) .

٢- جهم بن الصلت بن مَخْرمة بن المطلب بن عبد مناف الكلبي ، قال ابن سعد أسلم بعد الفتح ولا أعلم له رواية ، وهو يكتب ، وقد كتب للنبي ﷺ .
وقال أبو عمر أسلم عام خيبر وأطعمه رسول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وسقاً . الإصابه ٥٢٤/١ .

٣- السيرة النبوية لابن هشام (٦١٨/١) .

٤- الطفيل بن عمر بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسي . اختلف في وقت اسلامه فقيل إنه أسلم في مكة ولحق بدوس ثم وافى النبي ﷺ في عمرة القضاء ، وشهد الفتح بمكة قاله ابن سعد وابن حبان . وقيل قدم إلى النبي ﷺ مع أبي هريرة - رضي الله عنهما بخيبر . انظر الاصابة ٥٢١/٣ .

٥- السيرة النبوية لابن هشام (٣٨٥/١) .

٦- معناه المكابر والمكاشف بالعدواة . اللسان (٣٣٦/٢) مادة جلح .
قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - قال : ابن التين يحتمل أن يكون نادى رجلا بعينه ، ويحتمل أن يكون أراد من تلك الصفة . قلت : وقع في معظم الروايات . . ياآل ذريح بالذال المعجمة والراء المهملة وأخره مهملة ، وهم بطن مشهور في العرب .) الفتح ١٨١/٦ .
وقال ابن الأثير جليح اسم رجل قد ناداه ، وبنوا جليحة بطن من العرب ، اللسان ٤٣٦/٢ مادة جلح .

٧- أي : أمر صواب وصحيح ، اللسان ١٦٢/٢ مادة نجح .

٨- أي بليغ فصيح اللسان . اللسان ٥٤٤/٢ مادة فصح .

٩- أي فما لبثنا . اللسان ٧٥٧/١ مادة نشب .

١٠- رواه البخاري (ح ٣٨٦٦) .

وقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ أمثلة كثيرة جداً في كتاب الروح أسوق منها مثالا واحداً فقط وهو :

رؤيا ثابت بن قيس (١) لما قتل شهيداً في اليمامة جاء رجل من المسلمين وأخذ الدرع الذي عليه ، فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال له أوصيك بوصية فإياك أن تضيعها أو تقول هذا حلم فتضيعه ؛ إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ، ومنزله في أقصى الناس ، وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفأ على الدرع برقة (٢) وفوق البرقة رجل فأت خالداً فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها ، وإذا قدمت إلى المدينة على خليفة رسول الله ﷺ - يعني أبابكر الصديق ـ فقل له إن علي من الدين كذا وكذا ، وفلان من رقيقي عتيق وفلان فأتى الرجل خالداً فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها ، وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته . قال(٣): ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله . . .) (٤) .

وعمل أبو بكر بهذه الوصية للقرائن التي حفَّت بها وعلم صدقها ، ولعدم اعتراض الورثة على ذلك ، والله تعالى أعلم .

قال ابن القيم : (وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لايعلم الحي فيصادف خبره كما أخبر في الماضي والمستقبل ، وربما أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه .) ثم ذكر نماذج لذلك وختم كلامه بقوله : وبالجملة فهذا أمر لاينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وأحكامها وشأنها (٥).

١- ثابت بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار يوم قدم النبي ﷺ وكان مما قال : نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا فما لنا ؟ قال : الجنة ، قالوا رضينا . قتل ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ يوم اليمامة . انظر الإصابة ٣٩٥/١ .

٢- البرقة القدر من الحجر .

٣- أي أبو عمر راوي هذه القصة .

٤- أخرجه الحاكم ٢٣٤/٣ ـ ٢٣٥ وصححه ووافقه الذهبي ، وذكره الهيثمي في المجمع ٣٣٢/٩ وقال : هو في الصحيح غير قصة الدرع ، ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . وذكرها بطولها ابن القيم في كتاب الروح (٢٣ ، ٢٤) .

هل الـرؤيـا طريـق لمعـرفـة الغيـــب :

ومما ينبغي أن ينبه عليه أن الرؤيا لايمكن أن يعرف بها الغيب المطلق البتَّة لأن الغيب المطلق من خصائص الله ـ سبحانه وتعالى ـ فلايمكن أن يطلع عليه أحد لانبي مرسل ولاملك مقرب إلا من أراد الله أن يطلعه عليه من أنبياءه ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في الباب الثالث .

وأيضاً لايمكن أن تكون الرؤيا طريقاً إلى معرفة الأحكام والشرائع ، وقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ أن صاحب الرؤيا لايمكن أن يطلع من خلالها على علم الله الذي بعث به رسوله ﷺ ، ولا على تفاصيل المعاد وأشراط الساعة وتفاصيل الأمر والنهي والأسماء والصفات والأفعال ونحو ذلك مما لايعلم إلا عن طريق الوحي.)(١) وقد تقدم الكلام على هذا والله تعالى أعلم .

٥ـ الروح ص ٣٢ وص ٤٨ .

١ـ انظر كتاب الروح (ص ٤٣).

الباب الثاني : علم الغيب من اختصاص الله

الفصل الأول : الأدلة على ذلك من الكتاب

الفصل الثاني : الأدلة على ذلك من السنة

الفصـــل الأول
الأدلـــة عـلـى اختـصـــاص اللـــه بعـلـــم الـغـيـــب مـن الـكـــتـاب

الأدلـة عـلى اختـصـاص اللـه بعـلـم الـغـيـب مـن الـكـتـاب

اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعلم الغيب دون من سواه فلا يمكن لأحد كائناً من كان أن يطلع على الغيب أو على شيء منه (١) إلا إذا أطلعه الله على شيء من ذلك ، ولا يكون ذلك إلا للرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة ، وقدأطبقت عليه نصوص الكتاب والسنة ، ولولا ما حدث من بعض الفرق الضالة من ادعاء علم الغيب لغير الله ، مخالفين بذلك نصوص الكتاب والسنة وماأطبقت عليه الأمة ، وسلمت له الفطر والعقول السليمة ، لما احتاج الباحث إلى إيراد النصوص الدالة على إختصاص الله سبحانه وتعالى به .

وقد ذكر لله ـ جل وعلا ـ في كتابه آيات كثيرة كلها تدل على اختصاصه بالغيب .

ومـن هـذه الآيـات مـايـلـي :

قوله تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو . . ﴾ (٢).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى هذه الآيه : إن عند الله علم ما غاب عن خلقه فلم يطلعوا عليه ، ولم يدركوه ولن يعلموه ولن يدركوه ، وعنده علم مالم يغب أيضاً عنكم . فعنده علم كل شيء كائن و يكون وماهو كائن مما لم يكن بعد وذلك هو الغيب .) (٣).

وقوله تعالى : ﴿ قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ومايشعرون أيان يبعثون . ﴾ (٤).

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويلها : (يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول معلماً لجميع الخلق أنه لايعلم أحد من أهل السموات

---

١ ـ أعني بالغيب هنا الغيب المطلق المختص بالله عز وجل.

٢ـ الأنعام (٥٩).

٣ـ جامع البيان ١١ /٤٠٢ . بتصرف .

٤ـ النمل ٦٥.

والأرض الغيب إلا الله عز وجل فإنه المتفرد بذلك وحده لاشريك له ، كما قال تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو . . ﴾ وقال : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث . . ﴾ الآية (١).

وقال بنحوه ابن جرير الطبري والقرطبي ـ رحمهما الله تعالى ـ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين . ﴾ (٣).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المشركون هلا إنزل على محمد ﷺ علم ودليل يعلم به أن محمداً محق فيما يقول . فقال الله : فقل يا محمد لايعلم أحد بفعل ذلك إلا هو جل ثناؤه ؛ لإنه لايعلم الغيب ـ وهو السر الخفي من الأمور ـ إلا الله .) (٤).

وقوله تعالى : ﴿ ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾(٥).

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يخبر تعالى عن كماله وقدرته على الأشياء في علمه غيب السموات والأرض واختصاصه بذلك ، فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه الله على ما يشاء . .) (٦).

وقال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ نحوه (٧).

وقوله تعالى : ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض . . ﴾ (٨).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يقول تعالى ذكره لله غيب

١ـ تفسير القرآن العظيم ٦/٢١٦ .
٢ـ انظر جامع البيان ٢٠/٥ ، والجامع لاحكام القرآن ١٣/٢٢٥.
٣ـ يونس ٢٠ .
٤ـ جامع البيان ١٥/٤٨ .
٥ـ النحل ٧٧ .
٦ـ تفسير القرآن العظيم ٤/٥٠٨ .
٧ـ جامع البيان ١٤/١٥١ .
٨ـ الكهف ٢٦ .

السموات والأرض لايعزب عنه علم شيء منه ، ولا يخفى عليه شيء ، يقول : فسلموا له علم مبلغ مالبث الفتية في الكهف إلى يومكم هذا ؛ فإن ذلك لايعلمه سوى الذي يعلم غيب السموات والأرض وليس ذلك إلا لله الواحد القهار .)(١).

وقال القرطبي بنحوه (٢).

وقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ۞ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً . ﴾ (٣).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (أى عالم ماغاب عن أبصار خلقه فلم يروه . فلا يظهر على غيبه أحداً فيعلمه أويريه إياه ؛ إلا من ارتضى من رسول فإنه يظهره على ماشاء من ذلك (٤).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (قال العلماء رحمة الله عليهم : لما تمدح الله سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لايعلم الغيب أحد سواه ، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ماشاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم . . .)(٥).

وبنحوه قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ . (٦).

وقال تعالى : ﴿ أم عندهم الغيب فهم يكتبون . ﴾ (٧).

وقال تعالى : ﴿ ولله غيب السموات والأرض . ﴾ (٨).

وآيات كثيرة كلها تدل على اختصاص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعلم الغيب وحده لاشريك له ، وليس لمخلوق أياً كان أن يدعي معرفة الغيب ؛

١ـ جامع البيان ٢٣٢/١٥ .
٢ـ الجامع لأحكام القرآن ٣٨٧/١٠ .
٣ـ الجن ٢٦/٢٧ .
٤ـ جامع البيان ١٣٣١/٢٩ .
٥ـ الجامع لأحكام القرآن ٢٨/١٩
٦ـ انظر تفسير القرآن العظيم ٢٧٣/٨ .
٧ـ الطور ٤١ .
٨ـ هود .

لاملك مقرب ولا نبي مرسل .

وقد أشرت إلى أن الله قد يطلع بعض رسله على شيء من الغيب وذكرت الأدلة الدالة على ذلك وسيأتي زيادة توضيح لهذه المسألة في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

الفصـــل الثـــاني : الأدلـــة علـــى ذلـــك من الســـــنة

الأدلـــة عـلـــى ذلـــك مـن الســـنـة

وردت نصوص كثيرة عن النبي ﷺ تدل على اختصاص الله بعلم الغيب منها مايلي :

١ - عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : (**مفاتيح** الغيب خمس لايعلمها إلا الله : لايعلم ماتغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ولايعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ، ولايعلم متى تقوم الساعة إلا الله .) (١).

وفي رواية أخرى لابن عمر أيضاً : (مفتاح الغيب خمس لايعلمها إلا الله : لايعلم أحد مايكون في غد ، ولا يعلم أحد مايكون في الأرحام ، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً ، وماتدري نفس بأي أرض تموت ، وما يدري أحد متى يجيء المطر .) (٢).

فدل هذا الحديث على أن أمور الغيب لايحصيها إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعبَّر عنه بالمفاتيح لتقريب الأمر إلى ذهن السامع ؛ لأن كل شيء حيل بينك وبينه فهو غيب ، وأقرب شيء إلى ذلك الأبواب ؛ والأبواب أقل مايحبسها عن الفتح وأيسره المفاتيح ، فإذا كان أيسر الأشياء التي يعرف بها الغيب لايعرف لها أحد موضعاً فكيف يقدر أن يعرف ماهو أكبر من ذلك ؟ . هذا محال وهذا من أبلغ البيان وأخصره (٣).

وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ الطويل الذى جاء فيه جبريل إلى النبي ﷺ على صورة رجل يسأله . وفيه : (قال : يارسول الله متى الساعة؟. قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها : إذا ولدت المرأة ربتها فذلك من أشراط الساعة . . في خمس من الغيب

١ـ تقدم تخريجه انظر ص ٥٢ .

٢ـ تقدم تخريجه انظر ص ٥١ .

٣ـ انظر إلى بهجة النفوس ٢٧٢/٤ بتصرف .

لايعلمهن إلا الله ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ...﴾الحديث (١).

وفي رواية لأحمد : (قال متى الساعة فقال رسول الله ﷺ : ـ سبحان الله تعالى ـ خمس من الغيب لايعلمها إلا الله عز وجل : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير . ﴾ (٢).

وعن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة يقول سمعت عبدالله بن مسعود يقول : (أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير الخمس : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير . ﴾ قال : قلت له : أنت سمعته من عبدالله ؟. قال نعم أكثر من خمسين مرة .)(٣).

وفي البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : (من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب وهو يقول : ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾ . ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب ، وهو يقول : ﴿ لايعلم الغيب إلا الله . ﴾ (٤).

وعند مسلم قالت : (من زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول : ﴿ لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾(٥).

فكل هذه الأحاديث تدل على أن الله جل وعلا مختص بعلم الغيب وأنه لايمكن لأحد كائن من كان أن يطلع أو يعرف شيئاً من علم الغيب المطلق ؛ لأن الله ـ جل وعلا ـ اختص بذلك دون من سواه ، وقد أكرم الله به بعض رسله

١- البخاري (ح٤٧٧٧) .

٢- المسند ١/ ٣١٩ ، ١٢٩/٤ ، ١٦٤ .

٣- رواه أحمد في المسند ٤٣٨/١ .

٤- البخاري ح ٧٣٨٠ .

٥- رواه مسلم (ح ١٧٧) .

فأطلعهم على شيء من الغيوب إكراماً لهم ، ولتكون معجزة وحجة على أقوامهم . ولا يعني هذا أن يوصفوا بأنهم يعلمون الغيب ؛ لأنهم لم يعلموا ذلك إلا بتبليغ الله - عز وجل - لهم ثم إن علمهم بالأمور الغيبية محدود بحسب ما يكشفه الله - عز وجل - لهم .

وقد أشار الإمام النووي - رحمه الله تعالى - إلى ذلك حينما سئل عن معنى قوله تعالى : ﴿ قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله . ﴾ . وقول النبي ﷺ : ((لايعلم مافي غد إلا الله .)) (١) وأشباه هذا من القرآن والسنة ؛ مع أنه وقع علم ما في غد في معجزات الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وفي كرامات الأوليـاء ؟ .

فأجاب - رحمه الله تعالى - بقوله : (معناه لايعلم ذلك استقلالا ، علم إحاطة بكل المعلومات إلا الله ، وأما المعجزات والكرامات فحصلت بإعلام الله تعالى للأنبياء والأولياء لا استقلالا وهذا كما أنا نعلم أن الشمس إذا طلعت تبقى ست ساعات أو نحوها ثم تزول ، ثم تبقى نحو ذلك ثم تغرب ، ثم تبقى مثل مجموع ذلك أو نحوه ، ثم تطلع ، وهكذا القول في القمر وغيره من الأمور التى يعلم وقوعها في المستقبل ، وليس هو علم غيب علمناه استقلالا وإنما علمناه بإجراء الله تعالى العادة به . (٢).

١- تقدم تخريجه انظر ص ٥٢ .

٢- فتاوى الإمام النووي المسماة بالمسائل المنثورة ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

الباب الثالث : الرسل وعلم الغيب

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : صفات الرسل ومكانتهم .

الفصل الثاني : تبرؤ الرسل من معرفة الغيب

الفصل الثالث : تأييد الله للرسل بإطلاعهم على أمور من الغيب

الفصل الأول : صفات الرسل ومكانتهم .

تمهيد : حاجة العباد إلى الرسل :

حاجة العباد إلى الرسل فوق كل حاجة ، وضرورة اتباعهم ومعرفتهم فوق كل ضرورة « فإنه لاسبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على جهة التفصيل إلا من جهتهم ولاينال رضى الله ـ سبحانه وتعالى ـ البتة إلا باتباعهم ، ولا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إلا على اتباعهم . قال الله تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . ﴾(١).

فبالرسالة تحيا القلوب ، وتشرق شمس الهداية على القلوب ويزول ظلامها ، وينال العبد من روحها وحياتها ، فهو في ظلمة من الأموات مالم يؤمن بالرسل ، قال الله تعالى : ﴿ أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها . ﴾ ؟ (٢).

فهذا وصف من كان ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونورالإيمان وقال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا . ﴾ (٣).

فالروح إذا عدمت فقدت الحياة . والنور إذا عدم حل الظلام ، فالكافر في ظلمات الكفر والشرك غير حي ، وإن كانت حياته حياة حيوانية فحياته الروحية معدومة فقدت سببها وهو الإيمان بالرسل .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : (حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء ولا نسبة لحاجتهم لعلم الطب إليها ، فأكثر الناس يعيشون بغير طبيب ، فأهل البادية والكفور كلهم وعامة بني آدم ، لايحتاجون إلى طبيب وهم أصح أبداناً وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب ، وكثير من أحوال الطب مأخوذة من عوائد الناس وتجاربهم ، أما الشريعية فمبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية ، وهذا لايعرف

١ـ النساء ٦٩ .
٢ـ الأنعام ١٢٢ .
٣ـ الشورى ٥٢ .

إلا عن طريق الوحي المحض فحاجتهم إليه أشد من حاجتهم إلى النفس ، فضلا عن الطعام والشراب لأن غاية مايقدر عند فقد الشريعة ففساد الروح والأبدان إلى الأبد ، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت .) (١).

ضرورة أن يكون الرسل بشراً :

اقتضت حكمة الله تعالى وسنته في خلقه أن يرسل رسلا إلى عباده من أنفسهم يتحدثون بلغتهم ، ويشعرون بما يشعرون به ، ويصيبهم مايصيب البشر من الجوع والعطش والمرض والموت وغير ذلك .

وقد مَنَّ الله على المؤمنين حيث بعث فيهم رسولا بشراً من أنفسهم قال تعالى ﴿ **لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .** ﴾ (٢).

فهذه من أعظم المنن التي مَنَّ الله - سبحانه وتعالى - بها على عباده المؤمنين حيث جعل رسوله إليهم بشراً من جنسهم ليسهل عليهم الأخذ عنه والاقتداء به والاهتداء بهديه ، والاستنان بسننه . فيكون قدوة لهم في كل شيء ، فلو كان من غيرهم لما تيسر لهم أن يهتدوا بجميع هديه ؛ لأنه قد يفعل ما لا يستطيعون فعله .

وقد بين الله - سبحانه وتعالى - أنه لو أرسل إليهم رسولا من غيرهم لجعل له نفس صفاتهم وطبائعهم وقدراتهم . قال الله تعالى : ﴿ . . **ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون .** ﴾ (٣).

فلوشاء الله أن يرسل إلى البشر رسولا من الملائكة كما طلب المشركون لاقتضت حكمته أن يجعله على هيئة رجل حتى تسهل رؤيته ، والأخذ عنه ، وموافقة جبلته لجبلة البشر وخلقهم . وفي هذا تظهر رحمة الله - سبحانة وتعالى - في ضرورة أن يكون الرسول إلى الناس من البشر . ولهذا كان رسل الله جميعاً من البشر وجاءت الآيات في كتاب الله تنص على ذلك . قال الله تعالى

١- انظر مفتاح دار السعادة ١/٢ باختصار .

٢- ال عمران ١٦٤ .

٣- الأنعام ٩ .

آمراً نبيه محمداً ﷺ بأن يقول لقومه : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد . ﴾ (١).

وأخبر عز وجل أن هذا هو قول الرسل قبله لأقوامهم . قال تعالى : ﴿ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشرمثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله . ﴾ (٢).

وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون . ﴾ (٣).

موقف الكافرين من بشرية الرسل :

استعظم المشركون أن يرسل الله إليهم بشراً من أنفسهم . قال تعالى مخبراً عن موقفهم هذا : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا . ﴾ ؟ ! (٤).

وقال تعالى حكاية عنهم ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباءنا فأتونا بسلطان مبين . ﴾ (٥).

وقال تعالى : ﴿ لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون . ﴾ (٦).

فأخبرتعالى في هذه الآية عن إسرار المشركين بعضهم لبعض بأن هؤلاء الذين يقولون بأنهم رسل من عند الله وأنهم بشر مثلكم لا يمتازن عليكم بشيء ، وأن ماجاؤا به كذب وسحر ، فهل تريدون أن تقبلوا على تعلم السحر منهم وأنتم تعلمون ذلك . ؟ ! (٧).

١- الكهف ١١٠ ، فصلت ٦ .
٢- ابراهيم ١١ .
٣- الأنبياء ٣٤ .
٤- الإسراء ٩٤ .
٥- ابراهيم ١٠ .
٦- الأنبياء ٣ .
٧- انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٢٥/٥ .

وذكر الله تعالى قصة دعوة نوح لقومه وكيف أنهم أنكروا رسالته ؛ لأنه بشر مثلهم واستعظموا كون الله جل وعلا يرسل بشراً ليبلغ رسالته إلى الناس ، وقالوا لو أراد الله أن يرسل رسولا لأرسل ملائكة لكي نتيقن ونصدق بأنه من عند الله حقيقة واتهموا نوحاً - عليه السلام - بالجنون لكونه قال إنه رسول من رب العالمين ، ولكونه جاء بما لم يأت به آباؤهم الأولون ؛ فضلا عن كونه بشراً مثلهم ، فقال تعالى : ﴿ **فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين ۞ إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين** ﴾ (١).

ثم إن الأمم التي جاءت بعد نوح - عليه السلام - كلما جائهم رسول اعترضوا عليه بما اعترض عليه قوم نوح - عليه السلام - بكونهم بشراً مثلهم . فكان هذا من أكبر أسباب كفرهم وصدودهم عن الحق . قال تعالى : ﴿ **وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا .** ﴾ (٢).

فرد الله - سبحانه وتعالى - على هذا الاعتراض الواهي بقوله : ﴿ **قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا .** ﴾(٣).

ولكن الذين في الأرض بشر فمن حكمة الله - سبحانه وتعالى - أن يرسل إليهم بشراً من أنفسهم حتى يكونوا أسوة لهم وقدوة يستطيعون فعل مايفعلون والتمكن من الائتمار بما يؤمرون ، ولا يكون لهم حجة في ترك هديهم بأن الرسل ليسوا من جنسهم ، فلا طاقة لهم بما يأمرون به ويفعلونه .

هذا فضلا عن كون الرسل من جنس البشر فيه رحمة للبشر حيث يمكنهم خطابهم ومجالستهم والفهم منهم والأخذ عنهم مما لا يتحقق فيما لو كان الرسل من غير البشر .

١- المؤمنون ٢٤ ، ٢٥ .

٢- الإسراء ٩٤ .

٣- الإسراء ٩٥ .

صفات الأنبياء البشرية :

تبين مما سبق أن جميع الرسل الذين أرسلهم الله إلى الناس بما فيهم محمد ﷺ بشر كسائر البشر لا يختلفون عنهم بشيء من حيث البشرية . ومقتضى ذلك أن يتصفوا بالصفات التي لاتنفك عن البشر ، ومن هذه الصفات مايلي :

١ - حاجتهم إلى الطعام والشراب .

كان المشركون يعيبون على أنبيائهم بشريتهم وكونهم يأكلون كما يأكل سائر البشر ويشربون كما يشرب غيرهم من البشر قال تعالى : ﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . ﴾ الآية (١).

هكذا كان المشركون يعيبون على أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم ؛ ولكن الله رد عليهم مقالتهم هذه وبين أن هؤلاء الرسل إنما هم بشر مثلكم يحتاجون إلى ما تحتاجون إليه ويعتريهم مايعتريكم قال تعالى : ﴿ وما جعلناهم جسداً لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين . ﴾ (٢).

وقال تعالى عن خليله ابراهيم ـ عليه السلام ـ قوله : ﴿ والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين . ﴾ (٣).

وقال أيضاً في معرض ذكر قصته مع الملائكة الذين دخلوا عليه : ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون . ﴾ (٤).

ودلت السنة في غير ما حديث على أن النبي ﷺ كان يجوع حتى أنه ليربط بطنه من شدة الجوع فمنها مايلي :

حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : أتي رسول الله ﷺ بتمر فرأيته يأكل وهو مقع من الجوع .)) (٥).

وحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : (ماشبع ال محمد ﷺ من خبز

١- الفرقان ٧

٢- الأنبياء ٨ .

٣- الشعراء ٧٩ ، ٨٠ .

٤- الذاريات ٢٥ ، ٣٦ .

٥- رواه مسلم (ح٢٠٤٤) .

علم الغيب

الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ .) (١).

ومنها حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : لما حفر النبي ﷺ وأصحابه الخندق أصاب النبي ﷺ والمسلمين جهد شديد فمكثوا ثلاثة لايجدون طعاماً ، حتى ربط النبي ﷺ على بطنه حجراً من الجوع .) (٢).

ومنها حديث عتبة بن غزوان - رضي الله عنه - وفيه : (لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ مالنا طعام إلا ورق الحبلة (٣) حتى قرحت (٤) أشداقنا .) (٥).

٢ - الرسل يولدون ويلدون ويموتون :

خلق الله الخلق وقضى فيه بحكمته وسنته بأنهم يولدون في هذه الحياة الدنيا فيلبثون فيها ماشاء الله أن يلبثوا ثم يتوفاهم الله عز وجل . والرسل من ضمن هؤلاء الخلق ولدوا كما ولد البشر وعاشوا كما عاش البشر .

قال الله تعالى عن نوح - عليه السلام - : ﴿ رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولاتزد الظالمين إلا تباراً . ﴾ (٦).

وقال تعالى عن إبراهيم الخليل - عليه السلام - : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ۞ إذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولايغني عنك شيئاً ۞ ياأبت إني قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً.﴾(٧).

فهذا أبو الأنبياء خليل الله - عليه السلام - كان يخاطب أباه ويدعوه للإيمان بالله - سبحانه وتعالى - ونبذ الشرك .

ثم كانت جميع الرسل من أبنائه وأحفاده . فهو والد ومولود كسائر

١- رواه مسلم (ح٢٩٧٠) .

٢- رواه أحمد ٣٣٠/٣ ، ٣٣٠ . والبخاري بنحوه (ح٤١٠١ ، ٤١٠٢) ، والدارمي في المقدمة باب ماأكرم به النبي ﷺ في بركة طعامة (٢٠/١) .

٣- الحبلة بضم المهملة وسكون الموحدة أو بضمهما ، وهو ثمر السَّمُر وهو شبيه باللوبيا ، وقيل ثمر العِضَاة . النهاية ٣٣٤/١ .

٤- قرحت أي تجرحت . النهاية ٣٦/٤ .

٥- رواه مسلم (ح٢٩٦٧) ومثله حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم (ح ٢٩٦٦) .

٦- نوح ٢٨ .

٧- مريم ٤١ ، ٤٣ .

البشر .

وقال تعالى عن يوسف - عليه السلام - : ﴿ . . إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً . . . ﴾ (١).

وقال تعالى حكاية عن يعقوب في معرض خطابه ليوسف - عليهما السلام - : ﴿ ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم وإسحٰق.﴾(٢).

فيوسف - عليه السلام - ذكره أبوه بنعمة الله عليه وعلى آبائه وأجداده من قبل.

وقال تعالى عن موسى - عليه السلام - : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم . . . ﴾ (٣).

وقال على لسان فرعون وهو يخاطب موسى - عليه السلام - : ﴿ ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين . ﴾ (٤).

وقال تعالى على لسان عيسى - عليه السلام - : ﴿ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً . ﴾ (٥).

فدلت هذه الآيات وغيرها على أن الأنبياء يولدون كسائر البشر .

وأما كونهم يُولد لهم فقد دلت آيات كثيرة على ذلك منها مايلي :

قوله - سبحانه و تعالى - : ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية . ﴾(٦).

وقال تعالى على لسان زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام - : ﴿ أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً . ﴾ (٧).

١- يوسف ٤
٢- يوسف ٦
٣- القصص ٧ .
٤- الشعراء ١٨ .
٥- مريم ٣٣ .
٦- الرعد ٣٨ .
٧ - هود ٧٢.

وكذلك زكريا - عليه السلام - طلب الولد من الله عز وجل . قال تعالى : ﴿ قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ۞ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحي . ﴾ (١).

ونبينا محمد ﷺ تزوج وأنجب وصار له ذرية طيبة ، فعاش وعاشت ذريتة من بعده .

وأما كونهم يموتون فقد وردت نصوص كثيرة تدل على أنهم يموتون كسائر البشر .

قال تعالى : ﴿ وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ﴾(٢).

وقال تعالى أيضاً : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون . ﴾ (٣).

وقال أيضاً : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون . ﴾ (٤).

وقال : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . ﴾ (٥).

فدلت هذه النصوص الواضحة على أن الرسل كسائر البشر يولدون فيعيشون في هذه الدار ماشاء الله لهم ، ويتزوجون كغيرهم من البشر ، ويولد لهم كذلك كغيرهم من البشر ، ثم يعتريهم الموت الذي يعتري كل مخلوق . فلا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً فضلا عن كونهم لايعلمون الغيب .

٣ - الرسل يلحقهم المرض والبلاء :

يعتري الرسل المرض والألم كسائر البشر قال تعالى على لسان إبراهيم الخليل - عليه السلام - : ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين . ﴾ (٦).

١- ال عمران ٣٨ ، ٣٩ .
٢- الأنبياء ٨ .
٣- الأنبياء ٣٤ .
٤- الزمر ٣٠ .
٥- ال عمران ١٤٤ .
٦- الشعراء ٨١ .

ومرض نبينا محمد ﷺ فكان يقول : ((أفرغوا علي من سبع قرب وذلك لشدة ما يجده من الحمى .)) (١).

هذا من مقتضى بشريتهم كما أنهم أيضاً يتعرضون للبلاء والمحن كسائر البشر بل هم أشد بلاءً من غيرهم كما جاء في السنة عن الصعب بن سعيد عن أبيه قال : قلت لرسول الله ﷺ : أي الناس أشد بلاءً قال : ((الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه . .)) الحديث (٢).

وقد بوب البخاري ـ رحمه الله ـ فقال : باب أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . (٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ((مارأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله ﷺ .)) (٤).

وهذا أيوب ـ عليه السلام ـ أبتلى في ماله وأهله وجسده ولبث البلاء به ثمانية عشر سنة حتى رفضه القريب والبعيد إلا زوجته وإخوانه (٥) فصبر .

قال تعالى : ﴿ وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ۞ فاستجبنا له وكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين .﴾ (٦).

وسجن يوسف ـ عليه السلام ـ قال تعالى حكاية عنه : ﴿ قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه . ﴾ (٧).

وكان بنو إسرائيل يقتلون الانبياء ويخرجونهم من ديارهم بغير حق .

قال تعالى ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون . ﴾ (٨).

١- رواه الترمذي (ح ٢٣٩٨٤) وقال حديث حسن ، وابن ماجه ح (٤٠٢٣) ، وابن حبان ٦٩٩ ، وأحمد ١٧٢/١ ، ١٧٤.

٢- رواه الترمذي (ح ٤/٢٣٩٧) وقال حديث حسن صحيح .

٣- انظر صحيح البخاري ٢٤/٤ وانظر الفتح ١١١/١٠ .

٤- رواه البخاري (ح٥٦٤٦) .

٥- رواه ابن حبان في صحيحه انظر الإحسان (ح٢٨٨٧) .

٦- الانبياء ٨٣ .

٧- يوسف ٣٣.

٨- البقرة ٨٧

وأخرِجَ نبينا محمد ﷺ من مكة بعد أن أوذي فيها إيذاءاً شديداً . كما أوذي أيضاً في المدينه من قبل المنافقين ؛ حيث أنهم آذوه حتى في زوجه عائشه ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ فجلس النبي ﷺ حزيناً شهراً كاملا لايدري هل ما أتهموها به حق أم كذب حتى نزل عليه الوحي بعد شهر كامل من الحزن والأسى .

٤ ـ الرسل ـ عليهم السلام ـ وطلبهم للمعاش

ومن مقتضى بشريتهم قيامهم بالأعمال التي يقوم بها البشر ، من الاشتغال في أعمال الدنيا لطلب الرزق . فما من نبي إلا وقد رعى الغنم كما في حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ (١) .

وقد اشتغل نبينا محمد ﷺ بالتجارة قبل البعثة بالإضافه إلى رعي الغنم .

وموسى ـ عليه السلام ـ رعى الغنم عشر سنوات ، قال تعالى على لسان عبده الصالح : ﴿ **إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك** . ﴾ الآية (٢) .

وداود ـ عليه السلام ـ كان يعمل الدروع . قال تعالى : ﴿ **وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون** . ﴾ (٣) .

---

١ ـ أخرجه مسلم (ح٢٠٥٠) وسياقه ((عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع النبي ﷺ بمر الظهران ونحن نجني الكَبَاث ، فقال النبي ﷺ عليكم بالاسود منه ، قال فقلنا : يارسول الله : كأنك رعيت الغنم ؟ قال : نعم وهل من نبي إلا رعاها .)) أو نحو هذا من القول ، ورواه ابن ماجة عن أبي هريرة (ح٢١٤٩) .

٢ـ القصص ٢٧ .

٣ـ الأنبياء ٨٠ .

علم الغيب

وزكريا - عليه السلام - كان يعمل نجاراً ويأكل من كسب يده كما ورد ذلك في السنة (١).

وجاء وصفه ﷺ في الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - بأنه (كان بشراً من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه .) (٢).

٥ - الرسل عليهم السلام يعتريهم الغضب والنسيان والخطأ في الاجتهاد :

يعتري الأنبياء من الغضب والنسيان والخطأ في أمور دنياهم ما يعتري غيرهم فموسى - عليه السلام - غضب غضباً شديداً عندما علم أن قومه عبدوا العجل .

قال تعالى : ﴿ **ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين** ﴾(٣).

وجاء في قصة يتيمة أم سليم ودعاء النبي ﷺ عليها وفيه : (يا أم سليم أما تعلمين أن شرطي على ربي ، أني اشترطت على ربي فقلت إنما أنا بشر

١- أخرجه مسلم (ح٢٣٧٩) ، وابن ماجة (ح٢١٥٠) ، وأحمد ٢٩٦/٢ ، ٤٠٥ ، ٤٨٥ .
٢- رواه أحمد ٢٥٦/٦ . وقال الألباني اسناده صحيح على شرط مسلم ، انظر الصحيحة (ح٦٧١) .
٣- الأعراف ١٥٠ .

علم الغيب

أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر . . .) الحديث (١).

ووقائع غضبه ﷺ كثيرة ولكنه كان لايغضب إلا إذا انتهكت محارم الله أو فُعِلَ أمر مخالف لشريعة الله .

أما النسيان فيعتريهم في غير الرسالة كما يعتري سائر البشر . فآدم - عليه السلام - نسي ماعهد الله إليه من عدم الأكل من الشجرة فأكل نسياناً وخطأً.

وكذلك ورد أن آدم - عليه السلام - أعطى داود من عمره أربعين سنة ((فلما قضى عمر آدم - عليه السلام - جاءه ملك الموت فقال : أولم يبق من عمري أربعون سنة ؟ . قال : أولم تعطها ابنك داود ؟ . قال : فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته .)) (٢).

ونسي رسول الله ﷺ فصلى الظهر ركعتين كما في حديث ذي اليدين (٣).

وأخبر ﷺ عن نفسه بأنه بشر يعتريه النسيان كسائر البشر كما في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : (ولكني إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني .) (٤).

١- رواه مسلم ٢٦٠٣ .

٢- رواه الترمذي (ح٣٠٧٦) وقال حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

٣- انظر الحديث في البخاري (ح ٤٨٢) ، والنسائي كتاب ١٣ باب ٢٢ . وأحمد ٢/٢٣٤ . وأبو داود (ح١٠٠٨) باب السهو في السجدتين وسكت عنه .

٤- البخاري (ح ٤٠١) ومسلم (ح ٥٧٧٢) وأبوداود (ح١٠٢٠) . والنسائي كتاب ١٣ باب ٢٥ التحري وابن ماجة (ح١٢١١) .

علم الغيب

وأما الخطأ في الاجتهاد :

فقد يحدث اجتهاد في قضية ما ثم لايوافق مراد الله - عز وجل - كما وقع لداود - عليه السلام - مع المرأتين اللتين أتيتا بولد ادعت كل منهما أنه ولدها فحكم به للكبرى ، ووفق الله سليمان - عليه السلام - لإصابة الحق .(١).

وكذلك ماوقع لهما في الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم .

فهم كسائر البشر يقع منهم مايقع من البشر ؛ لأنهم لايعلمون الغيب كما بين ذلك النبي ﷺ في حديث أم سلمة : (أنه سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم فقال : إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فأقضي بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار ، فليأخذها أويتركها .) (٢).

٦ - قد تقع منهم بعض الصغائر :

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الصغائر قد وقعت من بعض الأنبياء . لأنهم غير معصومين من الصغائر باتفاق أهل العلم (٣). وقد وقعت لكثير منهم .

فآدم - عليه السلام - عصى ربه وأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها .

ونوح - عليه السلام - طلب من ربه أن ينجي إبنه من الغرق مع كونه كافراً بالله - سبحانه وتعالى - قال تعالى : ﴿ ونادى نوح ربه رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق . . ﴾ فعاتبه ربه وبَيَّنَ له أنه ليس من أهله ؛ لأنه كافر ، ونهاه عن طلب مثل ذلك قال تعالى : ﴿ قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلن ماليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين . ﴾ . فبادر نوح - عليه السلام - واستغفر ربه فقال : ﴿ . . رب إني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به

١- البخاري (ح ٣٤٣٦) موقوفاً ورفعه في (ح ٦٧٦٩) .

٢- البخاري (ح ٢٤٥٨) .

٣- انظر مجموع الفتاوى ٣١٩/٤ .

علم وإلا تغفرلي وترحمني أكن من الخاسرين . ﴾ (١).

وابراهيم - عليه السلام - طلب من الله أن يغفر لأبيه قبل أن يعلم أنه لايجوز ذلك فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه .

وموسى - عليه السلام - قتل القبطي خطأ ثم استغفر ربه من فعلته تلك ، قال تعالى : ﴿ قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مظل مبين ، قال رب اغفرلى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . ﴾ (٢).

وداود - عليه السلام - تسرع في الحكم قبل سماع قول الخصم الآخر فبادر بالتوبة والاستغفار . قال تعالى : ﴿ وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب فغفرنا له ذلك . . . ﴾ (٣).

وذا النون إذ ذهب مغاضباً وترك قومه ولم يكن قد أذن الله له ، فعاتبه ربه. وقذفه في بطن الحوت ، فنادى ﴿ في الظلمات أن لاإله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . ﴾ (٤) فغفر الله له ذلك .

ونبينا محمد ﷺ حرم على نفسه ما أحل الله له فعاتبه ربه على ذلك . وقبل الفداء من أسرى بدر فعاتبه الله على ذلك عتاباً شديداً وقال : ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . ﴾ (٥).

فهذه الذنوب تقع من الأنبياء عليهم السلام لأنهم بشر كسائر البشر يعتريهم النسيان والخطأ ، ثم يأتيهم الوحي مبيناً لهم الصواب فيبادرون بالتوبة والاستعفار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الأنبياء لا يقرون على المعاصي :

مذهب أهل السنة والجماعة أن المعاصي تقع من الأنبياء ولكن لايقرون عليها بل إنهم يخبرون بها ، ومن ثم يبادرون بالتوبة والاستغفار كما ذكر الله - سبحانه وتعالى - في الآيات المتقدمة . ثم إنهم لايتعمدون المعصية ؛ بل إنها

١- هود ٤٥ ، ٤٧ .
٢- القصص ١٥ - ١٦ .
٣- سورة ص ٢٣ - ٢٥ .
٤- الأنبياء ٨٧ .
٥- لأنفال ٦٨ .

تقع منهم إما جهلا بالحكم أونسياناً أوخطأ ، أو عن اجتهاد كما وقع ذلك في غزوة بدر ، حينما استشار النبي ﷺ أصحابه في الأسرى فأشاروا عليه بآراء أخذ منها القول بفدائهم ، فنزل الوحي مبيناً أن ذلك خطأ وذنب كما قال تعالى : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ۞ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . ﴾ (١).

أما الكبائر فإنهم معصومون منها فلا يمكن أن تقع منهم مطلقاً باتفاق الأمة (٢).

وهذه من خصائصهم التي خصهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها . كما أنهم معصومون في تبليغ الرسالة وتحملها فلا ينسون شيئاً منها ولا يكتمونه البتة .

مكانة الأنبياء عليهم السلام :

إن ماتقدم من ذكر بشرية الأنبياء وما يلحقهم من النقص البشري والأعراض التي تلحق سائر البشر لايقلل من شأنهم ولا ينقص من قدرهم ؛ بل لهم المكانة العظيمة عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعند عباده المؤمنين ، كما أن لهم الدرجات العالية الرفيعة عند الله ـ جل وعلا ـ وهم أفضل الخلق علماً وعملا وعبادة ، وأفضلهم درجة ومنزلة عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

وقد اصطفاهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ واجتباهم وفضلهم على كثير ممن خلق ، وخصهم بمزيد فضله وإحسانه وتوفيقه وامتنانه .

قال تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ۞ ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . ﴾ (٣).

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض ، فاصطفى آدم ـ عليه السلام ـ خلقه بيده ونفخ فيه من

١ـ الأنفال ٦٧ ـ ٦٨ .

٢ـ انظر مجموع الفتاوى ٣١٩/٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣٥١/٥ .

٣ـ آل عمران ٣٤ .

روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء ، وأسكنه الجنة ، ثم أنزله منها لما له في ذلك من الحكمة ، واصطفى نوحاً - عليه السلام - وجعله أول رسول إلى أهل الأرض . . واصطفى آل ابراهيم ، ومنهم سيد البشر وخاتم الأنبياء على الإطلاق محمد ﷺ ، وآل عمران . والمراد بعمران هذا والد مريم ...)(١).

وقال تعالى : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ۞ ووهبنا له إسحٰق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين ۞ وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ۞ واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين ۞ ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ۞ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده . . . ﴾ (٢).

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : ﴿ ونوحاً هدينا من قبل ﴾ (أي من قبله [أي ابراهيم] هديناه كما هديناه ، ووهبنا له ذرية صالحة وكل منهما له خصوصية عظيمة . أما نوح - عليه السلام - فإن الله جعل ذريته هم الباقين بعد أن أغرق أهل الأرض بالطوفان ، فالناس كلهم من ذرية نوح [عليه السلام] . وكذلك الخليل ابراهيم - عليه السلام - لم يبعث الله - عز وجل - بعده نبياً إلا من ذريته كما قال تعالى : ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ (٣).

وقال : ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبُكِيّاً . ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ﴾ (٥).(٦).

١- انظر تفسير القرآن العظيم ٣٦/٢ .
٢- الأنعام ٨٣ - ٨٨ .
٣- مريم ٥٨ .
٤- مريم ٥٨ .
٥- الحديد ٣٦ .
٦- تفسير القرآن العظيم ٢٣١/٣ .

فالرسل هم أفضل البشر على الإطلاق ، وأفضلهم أولى العزم ، ومحمد ﷺ أفضل أولي العزم .

قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : (أفضل الخلق الأولياء وأفضل الأولياء الأنبياء وأفضل الأنبياء الرسل وأفضل الرسل محمد ﷺ .)(١) صاحب الحوض المورود والمقام المحمود والشافع المشفع في الخلائق يوم القيامة ، أول من يجتاز الصراط ، وأول من يفتح له باب الجنة ، المرسل رحمة للعالمين كافة وقد كان الرسل يرسلون إلى أقوامهم خاصة .

قال القاضي عياض - رحمه الله تعالى - : (. . لاخلاف في أنه ﷺ أكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الناس منزلة عند الله تعالى ، وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى .) (٢) .

وقد دلت السنة على ذلك . قال ﷺ : ((أنا سيِّد ولد آدم ولافخر .))(٣).

وقال ﷺ : ((فضلت على الأنبياء بست . أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون . . .)) (٤).

فالرسل أفضل الأولياء على الإطلاق فضلا عن غير الأولياء .

كيف يجب أن يكون الرسل في تصور المشركين :

الرسل بشر كسائر البشر كما ذكرت ذلك سابقاً فلا يملكون جلب النفع لأنفسهم ولا لغيريهم ؛ ولا دفع الضر ولا كشفه إلا بشيء قد كتبه الله وقدره وأعانهم عليه . وليس لهم من صفات الألوهية أو الربوبية شيء البتة . بل هم عبيد لله من أكمل عباد الله عبودية وأحسنهم طاعة كما بينته فيما سبق .

١- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٦) .
٢- الشفا في أحوال المصطفى ﷺ ٣٥٣/١ .
٣- رواه مسلم ٥٢٣/١ .
٤- رواه مسلم (ح٥٢٣)

وقد اعترض المشركون على نبينا محمد ﷺ وطلبوا منه أن يدلل على صدقه بأن ينزل عليهم ملكاً من السماء يصدقه في رسالته ، ويكون نذيراً للناس معه ، أو أن يكون غنياً وذلك بأن يطلب من الله أن ينزل كنزاً من السماء يستغني به فلا يحتاج معه إلى طلب العيش كما يطلبه غيره من البشر ، أو يكون له بستان يأكل منه ويستغني به ويترفع من مخالطة الناس في معاشهم ، أويأتيهم بسلم يصعد فيه إلى السماء ، أوياتي بالله والملائكة قبيلا !! . طلبوا منه هذه الأمور التي لايستطيعها البشر ؛ وذلك لأنهم استنكروا واستعظموا أن يكون الله ـ جل جلاله ـ أرسل بشراً يبلغ رسالته إلى الناس .

قال تعالى حاكياً مقالتهم تلك : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ۞ أوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ۞ أوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ۞ أويكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا . ﴾ ؟ ! (١).

فنرى في هذه الآيات كيف أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يأتي بأشياء هي من اختصاص الله ـ سبحانه وتعالى ـ وليست في مقدور البشر مطلقاً ، فبين لهم الله ـ جل وعلا ـ أنه بشر مثلهم لايستطيع إلا على مايستطيعه البشر فليس له من صفات الألوهة أو الربوبية شيء لأن الأمور كلها من اختصاص الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته بل هو الفعال لما يشاء (٢).

تبين مما سبق أن الرسل عبيد من عبيد لله وأنهم أكمل الناس عبودية لله سبحانه وتعالى ، وأنهم بشر كسائر البشر ، لهم صفات البشر وأفعالهم وطبائعهم لايختلفون عنهم بشيء من صفات الخلق والإيجاد ، فيعتريهم ما يتعري البشر من المرض والبلاء والغضب والرضى والولادة والحياة والموت والجوع والعطش ، وغير ذلك من الصفات البشرية . فإذا كانت هذه حالهم

١- الإسراء ٩٠ ـ ٩٣ .
٢- انظر تفسير القرآن العظيم ١١٨/٥

علم الغيب

وهذه صفاتهم فليس لهم إذن من صفات الألوهية أو الربوبية شيء البتة ، خلافاً لما يزعمه المنحرفون الذين غلو في نبينا محمد ﷺ حيث ادعوا أنه يعلم ماكان وما يكون ، وأن الكون ما خلق إلا من أجله ، وأن الكائنات خلقت من نوره ، وأنه أول الموجودات ، وأنه يكشف الكرب ويغفر الذنب ، ويجيب المضطر إذا دعاه ، ويذهب الهم والغم ويكشف الحزن ، ويعلم الغيب ، وغيرها من الصفات التي ليست إلا لله وحده لاشريك له .

وخلافاً للنصارى الذين غلوا في عيسى - عليه السلام - فجعلوه ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وخلافاً لما يقوله ويدعيه من ناقض هؤلاء فجعل مرتبة الولاية فوق مرتبة النبوة وجعل الأولياء أعلم من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لأنهم عرفوا أشياء لم يعرفها ، كما قال قائلهم :

(خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله .) ويقول آخر : (نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته) . وهذا من أعظم ضلالهم فإن ولاية محمد ﷺ لم يماثله فيها أحد لا إبراهيم ولا موسى فضلا عن أن يماثله فيها الملحدون) (١).

بل إنهم يجعلون الأولياء مساوين لله في صفاته ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

قال محمد رشيد رضا : (ولو كان أولئك الرسل في عصرهم على غير ما يعهد أقوامهم من البشر ، بأن كانوا يتصرفون في الكون بالضر والنفع وعلم الغيب ، لما احتجوا عليهم بأنهم بشر مثلهم ، كما يدعي الذين ضلوا من أقوامهم من بعدهم عما جاء به الرسل مع دعوى اتباعهم لهم ، فزعموا أنهم وبعض من وصفوا بالصلاح والولاية من أتباعهم يضرون وينفعون ، ويشفون ويسعدون ، ويميتون ويحيون ؛ أحياؤهم وأمواتهم في هذا سواء ، بل يزعمون أنهم أحياء في قبورهم حياة مادية بدنية يأكلون فيها ويشربون ، ويسمعون كلام من يدعونهم ويستغيث بهم ، ويستجيبون دعاءهم فيها ، وقد يخرجون من قبورهم

١- الفرقان (ص٤٠) .

فيقضون حوائجهم في خارجها ، يخالفون بهذه الدعاوي مئات من آيات القرآن المحكمات في التوحيد وصفات الربوبية ، وفي صفات الأنبياء وكونهم بشراً لايقدرون على شيء مما لايقدر عليه البشر ، وأن النبوة والرسالة وآياتها ليست من كسبهم ، ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فيما ورد فيه من بعض أنباء الغيب في حياة الشهداء البرزخية ، فيقيسون عليها بأهوائهم حياة أوليائهم رجماً بالغيب وافتراء على الله)(١).

فإذا تبين هذا فليس لهم من علم الغيب شيء إلا ما أطلعهم الله عليه وخصهم به كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى في الفصلين التاليين .

١- تفسير المنار ١٢/١٧١ .

الفصل الثاني : تبرؤ الرسل من علم الغيب

علم الغيب

تبرؤ الرسل من علم الغيب .

بعد أن ذكرت الأدلة على أن الغيب من اختصاص الله - سبحانه وتعالى - وأنه لايمكن لأحد أن يطلع عليه كائناً من كان . ولما كان للرسل منزلة عند الله - سبحانه وتعالى - ليست لغيرهم من البشر أردت أن أبين في هذا الفصل أنهم مع قربهم لايعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه ليكون حجة لهم ومعجزة من معجزاتهم . خلافاً لبعض الفرق الضالة التي زعمت أن الرسل يعلمون ماكان وما يكون وما سيكون ، بل إنهم بالغوا في ذلك حتى سلبوا الله خصائصه وجعلوها للأنبياء - عليهم السلام - فادعوا مع قولهم بعلمهم الغيب أنهم يتصرفون في الكون ويديرونه كما يريدون ، كما زعموا أنهم ينفعون ويضرون ومعلوم أن هذا من خصائص الله - سبحانه وتعالى - لا يشاركه فيها أحد .

قال البوصيري في (١) قصيدة له (٢) مخاطباً النبي ﷺ :

فإن من جودك الدنيا وضرتها - ومن علومك علم اللوح والقلم .(٣).

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على عدم علمهم الغيب وعلى تبرئهم من معرفته. ومن ذلك مايلي :

قال تعالى : ﴿ **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ۞ قالوا لاعلم لنا إنك أنت علام الغيوب .** ﴾ (٤).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - في تأويلها : (يقول تعالى ذكره واسمعوا وعظه وتذكيره لكم ، واحذروه يوم يجمع الله الرسل فيقول : ﴿ **ماذا أجبتم** ﴾ أي ماالذي أجابتكم به أممكم حين دعوتموهم إلى توحيدي والإقرار بي والعمل بطاعتي والإنتهاء عن معصيتي ﴿ **قالوا لاعلم لنا** ﴾ أي لاعلم إلا علم أنت

١- محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صهناج بن ملا الصهناجي المصري ، يقال له البوصيري نسبة إلى بوصير من أعمال مصر ، اشتهر بالشعر ونظم بعض القصائد في مدح النبي ﷺ منها البردة والهمزية وغيرها ، وعارض قصيدة بانت سعاد . توفي عام ٦٩٦ هـ انظر وفيات الوفيات ٣٦٣/٣ ، والاعلام ١٣٩/٦ . وفي البردة من الإطراء والغلو مالايصح أن يقال فضلا عن أن يعتقد .

٢- هي المسماة بالبردة .

٣- انظر إلى هذا البيت في مجموعة المتون في مختلف الفنون ص ١٠ .

٤- المائدة ١٠٩ .

أعلم به منا ، لأنه لايخفى عليك ماعندنا من علم ذلك ولا غيره من خفي العلوم وجليها ، فإنما نفى القوم أن يكون لهم بما سئلوا عنه من ذلك علم لايعلمه هو تعالى ؛ ذكره لا لأنهم نفوا علم ماشاهدوا .) (١).

وأما من قال إن معنى قوله تعالى : ﴿ ماذا أجبتم ﴾ أي : ماذا عملت الأمم بعدكم ؟ . وماذا أحدثوا ؟ . فذكر ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ أنه تأويل لامعنى له ؛ لأن الأنبياء لم يكن عندهم من العلم بما يحدث بعدها إلا ما أعلمها الله من ذلك وإذا سُئِلَت والأمر كذلك فإنما يُقَال لها : ماذا عَرَّفْنَاكِ أنه كائن منهم بعدك ؟ وظاهر خبر الله تعالى ذكره عن مسألته إياهم يدل على ذلك (٢).

وذكر القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ عدة أقوال في هذه الآية فقال : (واختلف أهل التأويل في المعنى المراد بقولهم : ﴿ لاعلم لنا ﴾ فقيل معناه لاعلم لنا بباطن ماأجابت به أممنا ؛ لأن ذلك هو الذي يقع عليه الجزاء وهذا مروي عن النبي ﷺ .

وقيل المعنى : لاعلم لنا إلا ما علمتنا فحذف .

وعن ابن عباس لاعلم لنا إلا علم أنت أعلم به منا (٣).

وقيل إنهم يذهلون من شدة الموقف ، ثم يُجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم.)(٤).

واستحسن ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ ما اختاره ابن جرير من الأقوال فقال : (ولاشك أنه قول حسن وهو من باب التأدب مع الرب عز وجل ، أي لاعلم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء ؛ فنحن وإن كنا قد أجبنا وعرفنا من أجابنا ولكن منهم من كنا نطلع على ظاهره ولاعلم لنا بباطنه ، وأنت العليم بكل شيء ، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم ، فإنك ﴿ أنت علام الغيوب ﴾ (٥).

١ـ جامع البيان ٢٠٩/١١ ـ ٢١٢ .

٢ـ المصدر السابق مختصراً .

٣ـ وهذا ماختاره ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ كما سبق ذكره .

٤ـ الجامع لاحكام القرآن ٣٦١/٦ .

٥ـ تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢١٧ .

ففي هذه الآية نرى كيف أن الرسل - عليهم السلام - يتبرؤن من معرفة الغيب وذلك حين يسألهم الله - جل وعلا - عن أقوامهم ما ذا عملوا بعدهم ، فيأتي الجواب بأنهم لايعلمون شيئاً مما عملوا إلا ما أعلمهم الله به لأن هذا من علم الله الذي اختص به دون من سواه . فالأنبياء بشر مخلوقون يشهدون على أقوامهم بما أجابوهم به وما أعلمهم الله أنهم يفعلون فقط ، أما أنهم يعلمون غير ذلك فلا .

وقد تبرأ الرسل جميعاً من معرفة الغيب فمامن رسول إلا وقد نفى عن نفسه العلم بالغيب ووكله إلى علام الغيوب وإليك بيان ذلك :

أولا : نوح عليه السلام :

جاء قوله تعالى على لسانه أنه قال : ﴿ **ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ، ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذن لمن الظالمين .** ﴾ (١).

ففي هذه الآية ينفي نوح - عليه السلام - أن يكون عنده خزائن الله أو أنه يعلم الغيب أو أن يعلم هل سيؤتي الله أتباعه من الضعفاء والفقراء خيراً أو لا ؟. وهل يموتون على الإيمان أو لا؟. وهل هم صادقون في إيمانهم واتباعهم له أو لا ؟. ثم يكل علم ذلك وعلم مافي نفوسهم إلى الله - عز وجل - ويتبرأ من معرفة ذلك ، بل ذكر أنه إن ادعى علم شيء من ذلك فإنه يكون من الظالمين ، لأنه يكون بذلك قد تكلم فيما ليس له به علم ، فكيف يتجرأ على الله ؟ . حاشاه أن يقفو ماليس له به علم ويدعي معرفة الغيب .

وقد أشار ابن جرير رحمه الله تعالى إلى هذا المعنى فقال :

(معنى الكلام : ﴿ **وياقوم لا أسألكم عليه أجراً** ﴾ ، ﴿ **ولا أقول لكم عندي خزائن الله** ﴾ التي لايفنيها شيء فأدعوكم إلى اتباعي عليها ، ولا أعلم أيضاً الغيب : يعني ماخفي من سرائر العباد فإن ذلك لايعلمه إلا الله ، فأدعي الربوبية وأدعوكم إلى عبادتي . . ﴿ **ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً** ﴾ يقول : ولا أقول للذين اتبعوني وآمنوا بالله ووحدوه ، الذين

١- هود ٣١ .

تستحقرهم أعينكم وقلتم إنهم أراذلكم ﴿ لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في نفوسهم ﴾ يقول : الله أعلم بسرائر صدرورهم واعتقاد قلوبهم ، وهو ولي أمرهم في ذلك ، وإنما لي ماظهر وبدا وقد أظهروا الإيمان بالله واتبعون فلا أطردهم ولا أستحل ذلك . ﴿إني إذاً لمن الظالمين ﴾ إن قلت لهم ﴿ لن يؤتيهم الله خيراً﴾ وقضيت على سرائرهم بخلاف ما أبدته ألسنتهم على غير علم مني بما في نفوسهم وطردتهم بفعل ذلك لمن الفاعلين ما ليس لهم فعله ، المعتدين ما أمرهم الله وذلك هو الظلم .) (١).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ بنحوه (٢).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى قوله تعالى : ﴿ ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ﴾ الآية : (أخبر بتذلله وتواضعه لله ـ عز وجل ـ وأنه لا يدعي ماليس له من خزائن الله وهي إنعامه على من يشاء من عبادة وأنه لا يعلم الغيب لأن الغيب لا يعلمه إلا الله عز وجل . . .) (٣).

وكذلك قال عنه في آية أخرى : ﴿ قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ۞ قال وما علمي بما كانوا يعملون . . . ﴾ (٤).

ففي هذه الآية ينفي نوح ـ عليه السلام ـ علمه بسرائر الخلق وبواطن نفوسهم ويخبر أن له الظاهر فقط ، أما الباطن فلا يعلمه إلا الله ـ عز وجل ـ لأنه من اختصاص الله الذي يعلم السر وأخفى .

وقد أشار إلى هذا المعنى ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قال في معنى هذه الآية ما يلى : (يقول تعالى ذكره قال قوم نوح له مجيبيه عن قيله لهم : ﴿ إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون ﴾ قالوا : أنؤمن لك يانوح ونقر بتصديقك فيما تدعونا إليه ، وإنما اتبعك منا الأرذلون دون ذوي الشرف وأهل البيوتات ﴿ قال وما علمي بما كانوا يعملون ﴾ : قال نوح لقومه : وما علمي بما

١ـ جامع البيان ٢٠٣/١٤ .
٢ـ تفسر القرآن العظيم ٢٥١/٤ .
٣ـ الجامع لاحكام القرآن ٣٦/٩ .
٤ـ الشعراء ١١١ ـ ١١٢ .

كان أتباعي يعملون ؟ إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنهم ، ولم أكلف علم باطنهم وإنما كلفت الظاهر فمن أظهر حسناً أظهرت له حسناً ومن أظهر لي سيئاً ظننت به سيئاً . ﴿ إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون ﴾ إن حساب باطنهم الذي خفي عني إلا على ربي لو تشعرون فإنه يعلم سر أمرهم وعلانيته . (١).

ثانياً : إبراهيم الخليل عليه السلام :

أما إبراهيم الخليل - عليه السلام - فقد ذبح للملائكة العجل وهو لم يعلم أنهم ملائكة الله حتى أخبروه ، ولم يعلم لماذا جاؤا حتى أخبروه بأنهم رسل الله إلى قوم لوط .

قال الله تعالى حاكياً تلك القصة :

﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ۞ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون ۞ فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ۞ فقربه إليهم قال ألا تأكلون ۞ فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم﴾ إلى أن قال : ﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين.﴾ الآية(٢).

ثالثاً : لوط عليه السلام :

ومثله لوط - عليه السلام - فإنه لما قدم عليه الملائكة لم يعلم بأنهم ملائكة الله ، ولذا ﴿ سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب ﴾ خاف من قومه أن يفعلوا بهم فاحشتهم المشهورة عنهم ، حتى أنه قال : ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد ﴾ ولم يعلم أنهم رسل الله حتى أخبروه بذلك وقالوا : ﴿ إنا رسل ربك ، لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم . . . ﴾ الآيه (٣).

فهاتان القصتان تدلان على أن إبراهيم ولوطاً - عليهما السلام - لم يعلما

١- جامع البيان ٩٠/١٩ .

٢- الذاريات ٢٤ - ٣٣ .

٣- هود ٧٧ - ٨١ .

ولم يعرفا الملائكة الذين دخلوا عليهما ، وظنا أنهم بشرٌ مثلهما ، حتى أخبروهما بأنهم رسل الله من الملائكة .

فإذا كانا لم يعلما ذلك فمن باب أولى أن لايعرفا غيره من علم الغيب المختص بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا من أوضح الأدله على أن الرسل لايعلمون الغيب .

رابعاً : يعقوب عليه السلام :

وهذا يعقوب ـ عليه السلام ـ تبيض عيناه من الحزن على يوسف ـ عليه السلام ـ وهو في مصر لا يدري خبره وأين هو ، فقال الله تعالى حاكياً قصتة : ﴿وتولى عنهم وقال ياأسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ﴾(١) .

وكذلك أرسل ابنه يوسف مع إخوته ولم يكن يعلم بما دبروه من الكيد به ، ولو كان يعلم الغيب لما أرسله معهم . ومثله أخوه بنيامين .

خامساً : موسى عليه السلام :

وموسى ـ عليه السلام ـ يتبرأ من علم الغيب ويرده إلى الله ـ عز وجل ـ وذلك حينما سأله فرعون عن القرون الأولى مابالها لم تؤمن وقد جائتها الرسل بما جئت به ؟. فرد ـ عليه السلام ـ بأن علمها إلى الله ـ عز وجل ـ قال الله تعالى : ﴿قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لايضل ربي ولا ينسى ﴾(٢) .

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى هذه الآية : (أي ما حالها وما شأنهما فأعلمه أن علمها عند الله تعالى ، أي أن هذا من علم الغيب الذي سألت عنه ، وهو مما استأثر الله تعالى به لايعلمه إلا هو ، وما أنا إلا عبد مثلك لاأعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب ، وعلم أحوال القرون مكتوبة عند الله

١ـ يوسف ٨٤ وما بعدها .

٢ـ طـه ٥١ ـ ٥٢ .

تعالى في اللوح المحفوظ . . .)(١).

ومما يدل على أنه لايعلم الغيب أيضاً قوله تعالى : ﴿ **قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً .** ﴾ (٢).

حيث إن الله ـ جل وعلا ـ أخبره بما فعله قومه من بعده مما يدل على أن موسى عليه السلام لم يعلم ذلك .

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (أخبر تعالى نبيه موسى ـ عليه السلام ـ بما كان بعده من الحدث في بني اسرائيل وعبادتهم العجل الذي عمله لهم ذلك السامري ، ﴿ **فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً** ﴾ أي : بعد ما أخبره الله تعالى في غاية الغضب والحنق عليهم . . .) (٣).

ومما يدل على أنه لايعلم الغيب أيضاً أن آل فرعون هموا بقتله وأرسل فرعون جنوده ليبطشوا به وذلك بعد قتله القبطي الذي كان يقتتل مع الإسرائيلى حينما استغاثه الإسرائيلي فوكز موسى القبطي فقضى عليه ، ثم إن موسى ـ عليه السلام ـ وجد ذلك الإسرائيلي يقتتل مع قبطي آخر فاستغاث به الإسرائيلي ، فقال له موسى إنك لغوي مبين . أي : بانت غوايتك وظهرت باعتدائك على الناس ثم أقبل موسى يريد قتل ذلك القبطي فظن الإسرائيلي أنه يريد قتله ، فقال له : ﴿**أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس . . .** ﴾ فسمعها القبطي وأخبر أهل القتيل بأن موسى هو القاتل . فهم القوم ليقتلوه وأرسل فرعون جنده لذلك ، ولم يكن موسى ـ عليه السلام ـ يعلم بما هم به جنود فرعون من إرادة قتله ، إلا بعد أن جاءه ذلك الرجل من أقصى المدينة يسعى حتى سبقهم وأخبره بأن الملأ يأتمرون به ليقتلوه ونصحه بالخروج من المدينة فخرج (٤).

ولو كان ـ عليه السلام ـ يعلم الغيب لخرج ولما احتاج لمن يخبره بما

١- الجامع لاحكام القرآن ٢٠٥/١١ .

٢- طـه ٨٥ ـ ٨٦ .

٣- تفسير القرآن العظيم ٥/ ٣٠٣ .

٤- انظر جامع البيان ٥٠/٢٠ وما بعدها . والجامع لاحكام القرآن ٣٦٦،٣٦٥/١٣ .

هم به ملأ فرعون . ولعلم بأن الملأ عرفوا أنه هو القاتل قبل أن يخبره ذلك الرجل ، ولخرج قبل ذلك . ولو كان يعلم أنه سينجو لما خرج وهو خائف يترقب إدراكهم له وقتله .

قال تعالى حاكياً تلك القصة : ﴿ . . وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ۞ فخرج منها خائفاً يترقب . . ﴾ (١).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى : (ذكر أن قول الإسرائيلي سمعه سامع فأفشاه وأعلم به أهل القتيل فحينئذ طلب فرعون موسى وأمر بقتله ، فلما أمر بقتله جاء موسى مُخبِرٌ وخَبَّرَهُ بما قد أمر به فرعون في أمره ، وأشار عليه بالخروج من مصر بلد فرعون وقومه ، فخرج موسى من مدينة فرعون خائفاً من قتل النفس أن يقتل به ﴿ يترقب ﴾ يقول ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه .) (٢)

وكذلك قتل قتيلا في بني إسرائيل وطلبوا منه يُبَيِّنَه لهم ، ولم يكن يعلم من هو القاتل حتى دعا الله فأمره أن يأمرهم بذبح بقرة ويضربوه بعظمها ، فأحياه الله وأخبر بقاتله ، ولو كان نبي الله يعلم الغيب لما طلب من الله أن يبين لهم القاتل ؛ ولأخبرهم به وانتهى الأمر ، ولكنه لايعلم الغيب .

سادساً : سليمان عليه السلام :

أما سليان ـ عليه السلام ـ فمما يدل على أنه لايعلم الغيب ماحدث له مع بلقيس ، فإنه لم يكن يدري عنها وقومها حتى جاءه الخبر من الهدهد مع أن الله قد سخر له مالم يسخر لأحد من العالمين سخر له الجن والشياطين والريح والطير وغيرها .

قال الله تعالى حاكياً قصته : ﴿ وتفقد الطير فقال مالي لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين ۞ لأعذبنه عذاباً شديداً أولأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ۞

١ـ القصص ٢٠ ـ ٢١.
٢ـ جامع البيان ٢٠/٥٠ـ٥٢.

فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ۞ إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . . . ﴾ (١).

سابعاً : زكريا عليه السلام :

وكذلك زكريا ـ عليه السلام ـ لم يكن يدري من أين يأتي مريم الطعام الذي ترزقه ، فكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً ، فلم يكن يدري من أين يأتيها هذا الرزق إلا بعد أن أخبرته مريم بذلك : قال تعالى : ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله . إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . ﴾ (٢). ولو كان يعلم الغيب لما سألها عن ذلك .

ثامناً: عيسى عليه السلام :

وكذلك عيسى ـ عليه السلام ـ كان لايعلم من الغيب إلا ماأطلعه الله عليه وأعلمه به ، أما غير ذلك من الغيب فلم يكن يعلمه . قال تعالى : ﴿ وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك إنك أنت علام الغيوب . . ﴾ (٣) لأن علم الغيب من صفات الكمال التي خص الله بها نفسه دون من سواه .

(وصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة أمور :

العلم ، والقدرة ، والغنى ، وإن شئت تقول العلم والقدرة . والقدرة إما على الفعل ؛ وهو التأثير ، وإما على الترك وهو الغنى ، والأول أجود . وهذه الثلاثه لاتصح على وجه الكمال إلا لله وحده ، فإنه هو الذي أحاط بكل شيء علماً وهو على كل شيء قدير وهو غني عن العالمين .) (٤).

١- النمل ٢٠ وما بعدها.
٢- آل عمران (٣٧) .
٣- المائدة ١١٦ .
٤- انظر المعجزة والكرامة ص ٢٧.

تاسعاً : محمد عليه الصلاة والسلام:

بعد أن عرضنا فيما تقدم موقف الأنبياء السابقين - عليهم الصلاة والسلام - من الغيب ، يبقى ذكر موقف سيدهم وخاتمهم نبينا محمد ﷺ من الغيب . فقدوردت عشرات الآيآت في الكلام على هذه القضية ، وكذلك الأحاديث النبوية ومن تلك النصوص القرآنية مايلي :

قال تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي . . . ﴾ (١).

وقال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : (يقول تعالى ذكره : قل لهؤلاء المنكرين نبوتك لست أقول لكم إني الرب الذي له خزائن السموات والأرض فأعلم غيوب الأشياء الخفية التى لا يعلمها إلا الرب الذي لا يخفى عليه شيء فتكذبوني فيما أقول من ذلك ؛ لأنه لاينبغي أن يكون رباً إلا من له ملك كل شيء ، وبيده كل شيء ، ومن لا يخفى عليه خافية ، وذلك هو الذي لاإله غيره . . ﴿ إن أتبع إلا ما يوحى إلي ﴾ يقول : قل لهم ما أتبع فيما أقول لكم وأدعوكم إليه إلا وحي الله الذي يوحيه إلي وتنزيله الذي ينزله علي فأمضي لوحيه وأئتمر لأمره . . .) (٢).

وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى : ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ : (أي ولا أقول إني أعلم الغيب إنما ذلك من علم الله عز وجل لاأطلع منه إلا على ما أطلعني عليه .) (٣).

وقال الألوسي - رحمه الله تعالى - في معنى هذه الآية : (قل يا محمد لا أدعي أن خزائن مقدوراته تعالى مفوضة إلي أتصرف فيها كيف أشاء استقلالا واستدعاءً ، ولا أدعي أني أعلم الغيب حتى تسألوني عن وقت العذاب

١- الأنعام ٥٠ .

٢- جامع البيان ١١/ ٣٧١ .

٣- تفسير القرآن العظيم ٣/٢٥٣ .

أو نزول العذاب .) (١).

وقوله تعالى : ﴿ قل لاأملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾(٢).

قال ابن جرير - رحمه تعالى - : (لو كنت أعلم ماهو كائن مما لم يكن بعد ﴿ لاستكثرت من الخير ﴾ يقول : لأعددت الكثير من الخير .) (٣).

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - : . . (أى : ولو كنت أعلم المستقبل ومايحدث لى لفعلت مايرضي الله - عز وجل - واجتنبت مايسخطه ، ولأكثرت من عمل الصالحات ولحذرت السوء مخافة أن يصيبني .) (٤).

وقال ابن كثير - رحمه تعالى - في معناها : (أمر الله تعالى أن يفوض الأمور إليه وأن يخبر عن نفسه أنه لايعلم الغيب ، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله ؛ كما قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾ (٥)وقال تعالى : ﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين . ﴾ (٦).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : (قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المشركون هلا أنزل على محمد آية من ربه . . قال الله له : قل يا محمد : ﴿ إنما الغيب لله ﴾ أي : لا أعلم أحداً يفعل ذلك إلا هو جل ثناؤه ؛ لأنه لايعلم الغيب - وهو السر الخفي من الأمور - إلا الله فانتظروا أيها القوم قضاء الله بيننا بتعجل عقوبة للمبطل منا ، إني معكم ممن ينتظر ذلك .) (٧).

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - : (يريد أهل مكة هلا أنزل عليه آية،

١- روح المعاني ٣٣/٣ .
٢- الأعراف ١٨٨.
٣- جامع البيان ١٣ ، ٣٠١ .
٤- الجامع لاحكام القرآن٣٣٦/٧.
٥- تفسير القرآن العظيم ٢٧٢/٨ .
٦- يونس ٢٠
٧- جامع البيان ١٥/ ٤٨ تحقيق محمود شاكر والأخرى ٩٩/١١.

أي معجزة غير هذه المعجزة . . ﴿ فقل إنما الغيب لله ﴾ أي : قل يا محمد إن نزول الآية غيب ﴿ فانتظروا ﴾ أي تربصوا . ﴿ إني معكم من المنتظرين﴾ لنزولها .)(١).

وقال تعالى : ﴿ . . ماكان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ﴾ (٢).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لمشركي قومك : ﴿ ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ﴾ في شأن آدم من قبل أن يوحي إلي ربي فيعلمني ذلك ، يقول : ففي إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على صدقي ، وأن ماجئت به من عند الله ؛ لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن ، ولا هو مما شاهدته فعاينته ، ولكني علمت ذلك بإخبار الله إياي به .) (٣).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى الآية : (أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلى ؛ يعني في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له ومحاجته ربه في تفضيلي عليه .)(٤).

وقال تعالى : ﴿ وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون . ﴾(٥).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : يقول تعالى ذكره لنبيه : قل وما أدري متى الوقت الذي يحل بكم عقاب الله الذي وعدكم فينتقم به منكم أقريب نزوله بكم أم بعيد .)(٦).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (يعني أجل يوم القيامة لايدريه أحد لانبي مرسل ولاملك مقرب ، قاله ابن عباس .)(٧).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (أي هو واقع بهم لامحالة ولكن

١ـ الجامع لاحكام القرآن ٨/٣٢٣ .

٢ـ سورة ص ٦٩ .

٣ـ جامع البيان ٣٢/ ١٨٣ .

٤ـ تفسير القرآن العظيم ٧/٧١ .

٥ـ الأنبياء ١٠٩ .

٦ـ جامع البيان ١٧/ ١٠٧ .

٧ـ الجامع لاحكام القرآن ١١/ ٣٥٠ .

لاعلم لي بقربه ولابعده .) (١).

ومثلها قوله تعالى : ﴿ وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين . ﴾ (٢).

(أي وما يدريني لعل هذه فتنة ومتاع إلى حين .) (٣).

وقوله تعالى : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ❁ قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين . ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لاتأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون . ﴾ (٥).

وقال تعالى : ﴿ يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله . ﴾(٦).

وغير هذه الآيات كثير جداً فالقرآن الكريم مليء بالآيات التى يأمر الله ـ جل شأنه ـ فيها نبيه محمد ﷺ بأن يعلن للخلق بأنه لايعلم شيئاً من الغيب إلا ما أطلعه الله وأعلمه به ، أما ما عدا ذلك فليس له معرفته .

وأما الأدلة من السنة فهي كثيرة .

تظافرت الأدلة من السنة الدالة على أنه ﷺ لايعلم الغيب وإليك بعضاً منها:

جاء في حديث خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت : ((دخل على النبي ﷺ غداه بني علي ، فجلس على فراشي مجلسك منى ؛ وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر ، حتى قالت جارية : وفينا نبي يعلم مافي غد ؟ فقال النبي ﷺ لاتقولي هكذا وقولي ماكنت تقولين .))(٧).

١- تفسير القرآن العظيم ٥/ ٣٧٣ .
٢- الأنبياء ١١١ .
٣- تفسير القرآن العظيم ٣٧٣/٥ .
٤- الملك ٢٥ ، ٢٦ .
٥- الأعراف ١٨٧ .
٦- الأحزاب ٦٣ .
٧- رواه البخاري (ح ٤٠٠١) وأبو داود(ح ٤٩٢٢) .

ففي هذا الحديث نهى النبي ﷺ تلك الجاريه أن تنسب له علم الغيب المستقبلي ؛ لأنه ﷺ لايعلم من ذلك شيئاً ؛ وإنما يعلمه علام الغيوب وحده دون من سواه ولذلك نهى الجارية عن تلك المقولة .

وقد ورد النهي صريحاً في رواية الترمذي له حيث قال النبي ﷺ : (اسكتي عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها .) (١).

وورد أصرح منه في رواية ابن ماجه حيث قال النبي ﷺ : ((أما هذا فلا تقولوه . مايعلم مافي غد إلا الله .)) (٢).

وعن خارجة بن زيد ابن ثابت ((أن أم العلاء ـ امرأه من نسائهم بايعت النبي ﷺ ـ أخبرته أن عثمان بن مظعون طار لهم في السكنى (٣) حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين . قالت أم العلاء : فاشتكى عثمان عندنا فمرضته حتى توفي ، وجعلناه في أثوابه ، فدخل علينا النبي ﷺ فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله . فقال النبي ﷺ : ((وما يدريك أن الله أكرمه ؟ . قالت قلت : لاأدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن ؟ . قال: أما هو فقد جاءه والله اليقين ، والله إني لأرجو له الخير ، وما أدري والله ـ وأنا رسول الله ـ ما يفعل بي . قالت فوالله لا أزكي أحداً بعده . قالت فأحزنني ذلك فنمت فرأيت لعثمان عيناً تجري فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال ذلك عمله .)) (٤).

قال الحافظ في الفتح : (قوله ماأدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم . إنما قال رسول الله ﷺ ذلك موافقة لقوله تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ قل ماكنت بدعاً من الرسل وماأدري ما يفعل بي ولابكم . ﴾ وكان ذلك قبل نزول قوله تعالى : ﴿ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر . ﴾ لأن الأحقاف مكية وسورة الفتح مدنية بلا خلاف فيهما . وقد ثبت أنه ﷺ قال : ((أنا أول من يدخل

١ـ رواه الترمذي (ح ١٦٩٠) وقال هذا حديث حسن صحيح.
٢ـ رواه ابن ماجة ح ١٨٩٧ ٦١١/١.
٣ـ أي خرج لهم في القرعة حين اسْتِهَامِ الانصار إخوانهم المهاجرين .
٤ـ البخاري ح ٣٩٢٩.

الجنة .)) وغير ذلك من الأخبار الصريحة في معناه فيحتمل أن يحمل الإثبات في ذلك على العلم المجمل والنفي على الإحاطه من حيث التفصيل .) (١).

ومثله حديث حذيفة بن اليمان ـ رضي الله تعالى ـ عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إني لا أدري قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي .)) واشار إلى أبي بكر وعمر .(٢).

وأيضاً حديث ثوبان الطويل حينما جاء إلى النبي ﷺ حبر من أحبار اليهود وسأله عن أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ ومن أول الناس إجازة على الصراط إلى الجنة ؟ وما تحفة أهل الجنة حينما يدخلونها ؟ وما غذائهم على إثرها ؟ وما شرابهم عليه ؟ وعن الولد متى يكون ذكراً ومتى يكون أنثى ؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك ثم قال : (لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما أعلم بشيء منه حتى أتاني الله به .) (٣).

فهذه الأمور التي أخبر بها النبي ﷺ اليهودي حين سأله لم يكن يعلم منها شيئاً حتى جاءه الوحي بذلك ، ولو كان يعلم الغيب لما احتاج لمن يخبره .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قام فينا النبي ﷺ يخطب فقال : ((إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده . ﴾ الآية . وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم الخليل ، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يارب أصحابي فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ﴾ إلى قوله : ﴿ الحكيم ﴾ قال : فيقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم .))(٤).

ولمسلم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ وفيه : ((. . أتدرون ما الكوثر

١ـ الفتح ٣/١١٥.

٢ـ رواه ابن ماجة ٣٧/٩٧ .

٣ـ مسلم ح ٣١٥ ، ج١

٤ـ البخاري ح ٦٥٢٦ . والترمذي ح ٢٤٢٣ ج ٤ .

فقلنا الله ورسوله أعلم . قال : فإنه نهر وعدنيه ربي - عز وجل - عليه خير كثير . هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد منهم فأقول : رب إنه من أمتي فيقول : ما تدري ما أحدثت بعدك .))(١).

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في قصة اختصام اليهودي مع المسلم وفيه : (. . فقال النبي ﷺ : لاتفضلوا بين الأنبياء إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بِصَعْقَةِ الأولى .)(٢).

وحديث ماعز عند مسلم حين جاء ماعز - رضي الله عنه - إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله طهرني فقال النبي ﷺ : ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه .) فما زال يردده حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ : ((فيم أطهرك؟ قال : من الزني فسأل رسول الله ﷺ أبه جنون ؟ . فَأخبَر أن ليس بمجنون فقال : أشرب خمراً ؟ . فقام رجل فَاستَنكَهَهَ فلم يجد منه ريح خمر . فقال رسول الله ﷺ : أزنيت ؟ . قال : نعم فأمر به فرجم . . .))(٣).

فماعز - رضي الله عنه - جاء إلى النبي ﷺ يقول : طهرني فسأله عن أي شيء يطهره ؟ ولو كان يعلم الغيب لم يسأله . وكذلك سأل أبه جنون ؟ . وهل شرب خمراً ؟ . فكل هذا يدل على عدم علمه الغيب .

ثم نجد رسول الله ﷺ يتبرأ من الغيب ويرده إلى علام الغيوب وذلك في الدعاء المأثور عنه : ((اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لى ، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة .)) الحديث (٤).

وعن مسروق قال : كنت متكئاً عند عائشة فقالت : (يا أبا عائشة :

١- مسلم (ح ٤٠٠) والنسائي (ح ٩٠٥) .

٢- رواه البخاري (ح ٢٤١٢) . والترمذي (ح ٣٢٤٥) . وابن ماجة (ح ٤٢٧٤) وأحمد (٢/٤٥١ - ٣/٣٣ ، ٤١).

٣- انظر صحيح مسلم ح ١٦٩٥ ج ٣ .

٤- الترمذي ح ١٣٠٦ ج٣ .

ثلاث من تكلم بواحدة فقد أعظم على الله الفرية . قلت : فما هن ؟ . قالت : من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية . .) إلى أن قالت : (ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول : ﴿ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ قالت : ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول : ﴿ قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله . ﴾ (١).

وقد رواه البخاري عن مسروق عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : (من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب وهو يقول : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ . ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول : لايعلم الغيب إلا الله .) (٢).

فهذه الآحاديث فيها الدلالة الواضحة الكافية الشافية التي تدل على ان النبي ﷺ لايعلم الغيب بل يتبرأ منه وينهى من ينسب إليه شيئاً من ذلك ، لأنه من اختصاص الله ، لايعلم منه إلا ما أعلمه الله به .

وإن في قصة الإفك لأوضح دلالة وأبينها حيث بقي شهراً كاملا وهو لايدري ما مدى صحة أوبطلان مانسب إلى الصديقة بنت الصديق ـ رضي الله عنهما وأرضاهما ـ وبلغت أذِيَّة المنافقين له مبلغاً لو كان على غيره لما احتمل جزءً منه ، ولكنه ﷺ صبر . ثم بعد تلك المدة يأتيه الخبر من السماء ببراءة عائشة ـ رضي الله عنها ـ في قوله تعالى : ﴿ أولئك مبرءون مما يقولون ﴾ الآية (٣).

وكذلك الرسل لايعلمون الغيب ويتبرؤون . منه ويدل على ذلك حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : (لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا الساعة فبدؤا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ، ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها علم ، فَرُدَّ الحديث إلى عيسى بن مريم فقال قد عهد إلي فيما دون وجبتها ، فأما وجبتها فلا

١ـ أخرجه مسلم (ح ٢٨٧) والترمذي (ح ٣٠٦٨) .

٢ـ البخاري (ح٧٣٨٠) .

٣ـ انظر أضواء البيان ج ١٩٥/٢ .

يعلمها إلا الله فذكروا خروج الدجال .) الحديث(١).

وهذا نوح - عليه السلام - وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض وأول أولى العزم يتبرأ من الغيب ويكل علمه إلى الله - سبحانه وتعالى - كما تقدم ذكره .

وهذا محمد ﷺ آخر رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، وآخر أولي العزم، وخاتم الأنبياء فلا نبي بعده ، يتبرأ من معرفة الغيب ويكله إلى الله - عز وجل - كما تقدم أيضاً . فدل هذا دلالة جليَّة بأن الرسل لايعلمون الغيب .

وقد تمسك الذين يزعمون أن النبي ﷺ يعلم الغيب ببعض الأحاديث التي ذكر فيها النبي ﷺ بعض الأمور الغيبية ، - والتي تقدم بعضها وسيأتي ذكر شيء منها أيضاً - حيث قالوا إنه في أول الأمر لم يكن يعلم الغيب ولكنه علم بعد ذلك ، كما علم أنه في الجنة علم أيضاً قرب موته وغير ذلك .

وفي الحقيقة أنه لاحجة في ذلك ؛ لأن تلك أمور خصه الله - سبحانه وتعالى - بها فأطلعه عليها فكانت معجزة له ودلالة على صدق رسالته ، وتأييداً لصدق نبوته(٢) ثم إن النصوص التي دلت على تبرئهم من العلم بالغيب والتي قد مر ذكر بعصها لهي كفيلة بأن تلجم كل من يتفوه بمثل هذا .

ولم يقف هؤلاء عند حد حتى زعموا أن رسول الله ﷺ يعلم بما في اللوح المحفوظ (٣) بل زعموا أن له التصرف بالكون . عليهم من الله ما يستحقون .

فمتى كان النبي ﷺ كذلك والله يقول : ﴿ قل لاأملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون . ﴾(٤).

١- ابن ماجه (ح٤٠٨١) ج ٢ . قال صاحب الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات ومؤثر بن عفاره ذكره ابن حبان في الثقات ، وباقي رجال الإسناد ثقات .
ورواه الحاكم وقال هذا صحيح الإسناد

٢- وسيأتي بيان ذلك مفصلا إن شاء الله في الفصل الآتي .

٣- انظر الفصل الثاني من الباب الرابع .

٤- الأعراف ١٨٨ .

الفصل الثالث : تأييد الله عز وجل للرسل بإطلاعهم على أمور من الغيب

تأييد الله عز وجل للرسل بإطلاعهم على أمور من الغيب

تمهيد :

حاجة الرسل إلى المؤيدات :

بعد أن تبين أن الرسل - عليهم السلام - كبقية البشر لا يتميزون عنهم بشيء في الخلقة ، إلا بما خصهم الله به من وحيه واصْطِفاهم على الخلق بالرسالة ، وأيدهم بما يدل على صدقهم من الحجج والبراهين والآيات المعجزات الدالة على نبوتهم ، وقد كان كل نبي من الأنبياء يؤيد بتلك المعجزات ، فهذا إبراهيم - عليه السلام - ألقي في النار فخرج منها سالماً معافى ، وهذا صالح - عليه السلام - قال له قومه ﴿ ماأنت إلا بشر مثلنا فات بآية إن كنت من الصادقين ، قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . . . ﴾ الآية (١).

وموسى - عليه السلام - أيده الله بالعصا ، قال تعالى على لسان موسى يخاطب فرعون : ﴿ أولو جئتك بشيء مبين ❁ قال فأت به إن كنت من الصادقين ❁ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ❁ ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين . ﴾(٢).

وعيسى - عليه السلام - أيده الله بمعجزات كثيرة منها : إحياء الموتى وعلمه بما يدخر قومه . قال تعالى على لسانه : ﴿ . . أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين .﴾(٣).

وكذلك نبينا محمد ﷺ أيده الله بمعجزات كثيرة أعظمها هذا القرآن العظيم الذي تحدى الناس به وبفصاحته ، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله ، قال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا

١- الشعراء ١٥٤ - ١٥٥ .

٢- طـه ٤٩ .

٣- ال عمران ٤٩ .

شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . ﴾ (١) .

ومنها أيضاً انشقاق القمر ، قال تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر . ﴾ (٢) .

إذن فقد كان الرسل بحاجة إلى ما يؤيد صدقهم ؛ ويدلل على نبوتهم ليحاجوا بها أقوامهم ، فكان الله يؤيدهم بتلك المعجزات .

ومن تلك البراهين والآيات : إطلاعهم على بعض المغيبات التي اختص الله بعلمها دون غيره . فقد أطلعهم الله عليها لتؤكد صدقهم في دعواهم للنبوة .

الأدلة على إطلاع الرسل على بعض المغيبات :

قد أشرت فيما سبق بعد أن ذكرت الأدلة على اختصاص الله بعلم الغيب إلى أن الله قد يطلع من يجتبي من رسله على أمور من الغيب ، وقد دلت النصوص على ذلك . ومن هذه النصوص مايلي :

قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء .. ﴾ الآية (٣) .

فدلت هذه الآية على أن الله ـ جل وعلا ـ قد يطلع من يشاء من رسله على ماشاء من الغيب تأييداً لهم وحجة على أقوامهم المنكرين لرسالتهم .

ومعنى الآية كما فسرها السلف : أنه سبحانه ماكان ليترك المؤمنين مع المنافقين على ماهم عليه دون تمييز بينهم ، فإنه لابد من التمييز حتى يعرف المؤمن من المنافق ، وهذا لايكون بإبلاغكم واطلاعكم على ما في سرائرهم وما تخفيه صدورهم ؛ لأن هذا من علم الغيب الذي اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ به : ﴿ ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء . ﴾ فيطلعه بطريق الوحي على بعض المغيبات كما حصل للنبي ﷺ حينما أطلعه الله على سرائر المنافقين لما عزموا على قتله بإلقائه من أعلى العقبة ، فعرفهم وأخبرهم بما قالوه وما عزموا

١- البقرة ٢٣ .

٢- القمر ١ .

٣- ال عمران ١٧٩ .

أن يفعلوه ، وكان ذلك في غزوة تبوك (١).

ثم إن رسول الله ﷺ أطلع حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ على أسماء هؤلاء المنافقين ولم يطلع عليهم غيره .

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (ولهذا كان حذيفة يقال له «صاحب السر الذي لايعلمه غيره » أي من تعيين جماعة من المنافقين وهم هؤلاء قد أطلعه عليهم رسول الله ﷺ دون غيره والله أعلم .) (٢).

وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ إذا مات الرجل وشكوا فيه يقول : انظروا فإن صلى عليه حذيفة وإلا فهو منافق .

كما كان أيضاً يتخوف من النفاق حتى إنه سأل حذيفة هل عده رسول الله من المنافقين . ! فقال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ لا . ولا أخبر أحداً غيرك (٣).

١- انظر جامع البيان ٤٢٧/٧ . والجامع لأحكام القرآن ٢٨٩/٤ . ومعالم التنزيل للبغوي ٣٧٧/١ . وروح المعاني ٤٢٧/٢ .

٢- تفسير القرآن العظيم ٤٢٧/٢ . وانظر زاد المعاد ٥٤٨/٣ . ويؤيد هذا مارواه البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه (أن أبا الدرداء قال لعلقمة أليس فيكم صاحب السر الذي لايعلمه غيره .) (ح٣٧٤٢) .

ويؤيده أيضاً مارواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال : (في أصحابي اثنا عشر منافقاً لايدخلون الجنة ولايجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم) (ح ٢١٤٣) .

وكذلك حديث الطفيل قال كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون في الناس فقال : أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة ؟ . قال فقال له القوم : أخبره إذ سألك قال : كنا نخبر أنهم أربعة عشر ، فإن كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر ، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد وعذر ثلاثة . . . الحديث) . رواه مسلم (ح ٢٧٧٩) . وعند أحمد نحوه عن عمار ٤٥٣/٥ ، وروى البيهقي نحوه أيضاً في الدلائل ٢٥٦/٥ ، ٢٥٨ .

قوله أهل العقبة : أي التي على طريق تبوك وفيها اجتمع المنافقون على الغدر برسول الله ﷺ في أثناء الرجوع من غزوة تبوك فعصمه الله منهم .

٣- أخرج نحوه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (١/٢٧/ب/١/٢٨) من طريق أبو داود الطيالسي ثنا أبو مرة عن الحسن قال : هلك رجل من أصحاب النبي ﷺ وكان جار لحذيفة فلم يصل عليه حذيفة ، فبلغ ذلك عمر فقال عمر لحذيفة ، وأقبل عليه : يموت رجل من أصحاب رسول الله ﷺ لاتصل عليه ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه منهم ، قال نشدتك الله أنا منهم أم لا ؟ قال : اللهم لا ، ولا أؤمّن منها أحداً بعدك). انظر الزهد لوكيع ٧٨٦/٣ ، وقال محققه رجاله ثقات ، وإسناده صحيح . ويشهد لذلك =

وقوله تعالى : ﴿ . . قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً ۞ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ۞ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ۞ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شي عدداً ﴾ (١).

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : هذه كقوله تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ . وهكذا قال ههنا إنه لايطلع أحداً من خلقه على شيء من علمه إلا بما أطلعه الله تعالى عليه ولهذا قال : ﴿ فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ وهذا يعم الرسول الملكي والبشري .) (٢).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (قال العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ : لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لايعلم الغيب أحد سواه . ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ماشاء من غيبه بطريق الوحي إليهم ، وجعله معجزة ودلالة صادقة على نبوتهم .) (٣).

وقال الألوسي ـ رحمه الله تعالى ـ : (لما كان مساق الكلام قد يتوهم منه أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلع على شيء من الغيب . عقب ـ عز وجل ـ الكلام بالاستثناء المنقطع . . الذي هو بمعنى الاستدراك لدفع ذلك على أبلغ وجه ، حيث عمم الأمر في الرسل المرتضين وأقام كيفية الإظهار مقام الإظهار ، مع الإشارة إلى البعض الذين اطلعوا عليه ، المناسب لمقام الدعوة ، فمعنى الآية : لكن الرسول المرتضى يظهره جل وعلا على بعض الغيوب المتعلقة برسالته ، كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقاً [ما] إما لكونه من مباديها بأن يكون معجزة ، وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية وكيفيات الأعمال وأجزيتها ونحو ذلك من الأمور الغيبية التي بيانها

= أيضاً ماجاء عن زيد بن وهب قال : مات رجل من المنافقين فلم يصل عليه حذيفة . فقال عمر : أمن القوم هذا قال : نعم ، قال بالله أمنهم أنا ؟ قال لا ولن أخبر به بعدك أحداً . كنز العمال (ح ٣٦٩٦٢)ج١٣ ونحوه (ح٣٦٩٦١) ج١٣ .

١- الجن ٢٥ ـ ٢٨ .

٢- تفسير القرآن العظيم ٣٧٣/٨ .

٣- الجامع لاحكام القرآن ١٨/١٩ .

من وظائف الرسالة ، بأن يسلك من جميع جوانبه عند إطلاعه على ذلك حرساً من الملائكة - عليهم السلام - يحرسونه من تعرض الشياطين ، لما أريد إطلاعه عليه اختطافاً أو تخليطاً ، ليعلم الرسول المرتضى بأنه قد بلغته الغيوب المظهر عليها كما هي من غير اختطاف ولاتخليط.)(١).

وقوله تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . ﴾ (٢).

وعلم الغيب من علمه الذي لايطلع عليه أحداً إلا بعد مشيئته وإرادته . والآيات التى سبقت تخصص الرسل من بين سائر البشر على إمكان اطلاعهم على بعض الغيب النافذ بعد مشيئة الله وإرادته . وقد بين المفسرون هذا المعنى :

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في معنى الآية : (أي لايطلع أحداً من علم الغيب على شيء إلا بما أعلمه الله - عز وجل - وأطلعه عليه ، ويحتمل أن يكون المراد : لايطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه؛ كقوله تعالى : ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ (٣).

ولامانع أن تكون دالة على كلا المعنيين لأنه سبحانه أطلق العلم ولم يقيده بشيء .

الرسل لايعلمون من الغيب إلا ماأطلعهم الله عليه :

تبين مما سبق أن أعلم المخلوقين وهم الرسل والملائكة لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله به . وهو - سبحانه وتعالى - يطلع رسله على ما يشاء من غيبه كما مر معنا في الآيات السابقة ، وقد أشرت إلى أن ذلك يكون إما تأييداً لهم ومعجزة من معجزاتهم وإما مايكون من أركان الرسالة وأحكامها كعامة التكاليف . وفيما يلى بعض الأمثلة على ذلك :

أولا : نوح عليه السلام :

أطلع الله نبيه نوح - عليه السلام - على أمور من الغيب منها : أنه لن

١- روح المعاني ١٢٠/١٥ مختصراً.
٢- البقرة ٢٥٥ .
٣- تفسير القرآن العظيم ٤٥٠/١ .

يؤمن من قومه إلا من آمن ، فأمره بأن يصنع سفينة لأن الله سيرسل عليهم الطوفان فيغرقهم فكان هذا مما أوحى إليه ربه من علم الغيب . وإلا فقد لبث - عليه السلام - في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوا قومه ، ولم يدر هل سيزيد عدد المؤمنين به أم لا ؟ حتى أوحى إليه ربه أنه لن يؤمن من قومه إلا من آمن . ولم يدر بما سيعذبهم الله تعالى به حتى أخبره الله بذلك . قال تعالى : **﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قدآمن فلا تبتإس بما كانوا يفعلون ۞ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولاتخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ۞ ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ۞ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ۞ حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل . ﴾** (١).

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : (يخبر تعالى أنه أوحى إلى نوح - عليه السلام - لما استعجل قومه نقمة الله بهم وعذابه لهم . فدعا عليهم نوح دعوته التي قال الله مخبراً عنها : **﴿ رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾** . **﴿ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ﴾** فعند ذلك أوحى الله إليه **﴿ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾** فلا تحزن عليهم ولا يهمنك أمرهم .) (٢).

ثانياً : صالح عليه السلام :

أطلع الله نبيه صالحاً - عليه السلام - على عذاب قومه قبل وقوعه وأخبره بأنه سيحل بهم عذاب عظيم بعد ثلاثة أيام من عقرهم الناقة . فما إن مضت تلك الثلاثة حتى جاء هم العذاب من فوقهم ، فهلكوا عن بكرة أبيهم ، ونجى الله نبيه ومن معه . قال تعالى على لسان صالح : **﴿ وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ۞ فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ۞ فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً**

١- هود ٣٦ - ٤٠ .

٢- تفسير القرآن العظيم ٢٥٢/٤ .

والذين آمنوا معه برحمة منا . . . ﴾ الآية (١).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل الآية الثانية يقول تعالى ذكره : (فعقرت ثمود ناقة الله . . فقال لهم صالح ﴿ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ﴾ يقول استمتعوا في دار الدنيا بحياتكم ثلاثة أيام ﴿ذلك وعد غير مكذوب ﴾. يقول هذا الذي أجلتكم وعد من الله وعدكم بانقضائه الهلاك ونزول العذاب بكم ﴿ غير مكذوب ﴾ يقول لم يكذبكم فيه من أعلمكم ذلك .) (٢).

ثالثاً : إبراهيم عليه السلام :

أما إبراهيم عليه السلام فقد أطلعه الله ـ سبحانه وتعالى ـ على بعض أمور الغيب التي إختص بها . من ذلك أنه أخبره بأنه سيولد له ولد اسمه إسحق ، وهذا الولد سيكون له ولد اسمه يعقوب ، وهذا من علم الغيب ؛ لأنه لايعلم مافي الأرحام إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما سبق ذكره .

قال تعالى مخبراً عن ذلك : ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ۞ فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ۞ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ۞ قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب ۞ قالو أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ۞ فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط﴾(٣).

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى هذه الآيات : ﴿ ولقد جاءت رسلنا﴾ وهم الملائكة إبراهيم بالبشرى قيل تبشره بإسحاق . وقيل : بهلاك قوم لوط ويشهد للأول قوله تعالى : ﴿ فلما ذهب عن إبراهيم الروع جاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط﴾ .. وقوله تعالى : ﴿ وامرأته قائمة فضحكت ﴾ استبشاراً بهلاك قوم لوط لكثرة فسادهم وكفرهم ، فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد

١- هود ٦٤ ـ ٦٦ .

٢- جامع البيان ١٥/٣٧٢ .

٣- هود ٦٩/٧٤ .

الإياس .)(١).

وقال ابن جرير في قوله تعالى : ﴿ فلما ذهب عن إبراهيم الروع ﴾ أي الخوف الذي أوجسه في نفسه ، وأمن أن يكون قصد في نفسه وأهله بسوء ، وجاءته البشرى بإسحق ظل يجادلنا في قوم لوط .) (٢).

وكذلك من الغيب الذي أطلع الله عليه ابراهيم ـ عليه السلام ـ : هلاك قوم لوط قبل وقوعه بهم كما ذكر الله ذلك في الآية السابقة .

رابعاً : لوط عليه السلام :

ولوط ـ عليه السلام ـ أخبرته الملائكة بأن هلاك قومه سيكون في الصباح على أيديهم ، وأمروه بأن يخرج من القرية بأهله ولا يلتفت منهم أحد إلا إمرأته لأنها كانت كافرة ، وسيصيبها ما سيصيب قومه من العذاب . وكل هذا من علم الغيب الذي أطلعه الله عليه .

خامساً : يعقوب عليه السلام :

وكذلك يعقوب وابنه يوسف ـ عليهما السلام ـ علما أن الله سيجمع بينهما بعد ذلك الفراق الطويل . وذلك لأن يوسف ـ عليه السلام ـ رأى رؤيا ـ ورؤيا الأنبياء حق ـ أطلعه الله فيها على ماسيحصل ليوسف مجملا . وتحققت رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ بعد كيد إخوته له وتغربه عن أهله مدة طويله حينما جمع الله بينه وبين إخوته في مصر . فأرسل معهم قميصه وقال لهم : ﴿ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً واتوني بأهلكم أجمعين . ﴾(٣).

فلما فصلت العير قال يعقوب ـ عليه السلام ـ : ﴿ إني لأجد ريح يوسف ﴾(٤) وكانت المسافة طويلة بينه وبين العير ، ولكن الريح حملت ريح يوسف بعد أن استأذنت ربها في ذلك فأذن لها (٥).

فلما وصل البشير إلى يعقوب ـ عليه السلام ـ وألقى عليه القميص ارتد

١ـ تفسير القرآن العظيم ٣٦٤/٤ .
٢ـ جامع البيان ٤٠٠/١٥ .
٣ـ يوسف ٩٣ .
٤ـ يوسف ٩٤.
٥ـ انظر جامع البيان ٢٤٩/١٦ . والجامع لأحكام القرآن ٢٥٩/٩ . وتفسير القرآن العظيم ٣٣٣/٤ .

بصيراً وقال : ﴿ ألم أقل لكم إني أعلم من الله مالا تعلمون﴾(١).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يقول عز وجل : قال يعقوب لمن بحضرته حينئذ من ولده ألم أقل لكم يَابَنِيَّ إني أعلم من الله أنه سيرد علي يوسف ويجمع بيني وبينه ؟ وكنتم لاتعلمون أنتم من ذلك ماكنت أعلمه ؛ لأن رؤيا يوسف كانت صادقة وكان الله قد قضى أن أخر أنا وأنتم له سجداً فكنت مؤمناً بقضاءه .)(٢).

سادساً : زكريا عليه السلام :

وكذلك زكريا ـ عليه الصلاة والسلام ـ حينما سأل الله أن يرزقه ذرية طيبة بشره الله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين . ﴾(٣).

فكان هذا من علم الغيب الذي أطلعه الله عليه لاسيما وأنه قد بلغ به الكبر عتياً ، مما جعل الطمع بالولد شبه ميئوس منه ، فبشره الله بالولد مع كبره . كما أنه بشره بأن الولد سيكون نبياً من الصالحين . وهذا كله علم به زكريا وهو لم يقع ؛ فكان من علم الغيب الذي أطلعه الله عليه قبل وقوعه .

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (والبشارة بنبوة يحيى أعظم من البشارة بولادته ، وهذه كقوله تعالى لأم موسى : ﴿ إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾. فلما تحقق زكريا ـ عليه السلام ـ من هذه البشارة أخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر فقال : ﴿ رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل مايشاء ﴾ لايعجزه شيء ويتعاظمه أمر .) (٤).

سابعاً : موسى عليه السلام :

أخبر الله جل وعلا موسى ـ عليه السلام ـ بما خلفه قومه به من عبادة العجل وترك عبادة الله ـ جل وعلا ـ وتركهم ما أمر به من التمسك بماهم عليه

١- يوسف ٩٦ .
٢- جامع البيان ٦٠/١٦ .
٣- ال عمران ٣٩ .
٤- تفسير القرآن العظيم ٣١/٢ بتصرف .

حتى يرجع إليهم ، وإخلافهم الموعد الذي كان بينه وبينهم .

قال تعالى مخبراً عن ذلك : ﴿ . . قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري ۞ فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي ... ﴾(١).

فموسى - عليه السلام - لم يكن يعلم بما خلفه قومه به من عبادة العجل حتى أعلمه الله به ، فهذا غيب غاب عن موسى - عليه السلام - علمه ؛ فجاءه خبر الله به ليكون معجزة من معجزاته التي أيده الله - سبحانه وتعالى - بها تأكيداً له على صدقه ودلالة على نبوته كما تقدم بيانه آنفاً .

ثامناً : عيسى عليه السلام :

وعيسى - عليه السلام - قد أيده الله - عز وجل - بمعجزات كثيرة منها : إخباره وإطْلاعه على أمور غيبية لتقوم الحجة بها على قومه ، ولتكون دليلا على صدق نبوته ورسالته . فقد كان - عليه السلام - يخبر قومه بما يدخرونه من طعام ومايأكلون أيضاً . وقد قص الله - سبحانه وتعالى - علينا ذلك في كتابه فقال : ﴿ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين .﴾(٢).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - في تأويل هذه الآية وأما قوله ﴿وأنبئكم بما تأكلون﴾ فإنه يعني : وأخبركم بما تأكلون مما لم أعاينه وأشاهده معكم في وقت أكلكموه . ﴿ وما تدخرون ﴾ يعني بذلك : وما ترفعونه فتخبئونه ولا تأكلونه . يعلمهم أنه من حجته أيضاً على نبوته مع المعجزات التي أعلمهم أنه يأتي بها حجة على نبوته وصدقه في خبره أن الله أرسله إليهم من خلق الطير من الطين وإبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى بإذن الله التي لا يطيقها أحد من البشر ، إلا من أعطاه الله ذلك ، علماً له على صدقه وآية

١- طه ٨٥ - ٨٦ .

٢- ال عمران ٤٩ .

على حقيقة قوله من أنبيائه ورسله ومن أحب من خلقه ، إنباءه (١) عن الغيب الذى لاسبيل لأحد من البشر الذين سبيلهم سبيله عليه .) (٢).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (أي أنبئكم بالذي تأكلونه وما تدخرون وذلك أنهم لما أحيا لهم الموتى طلبوا منه آية أخرى وقالوا : أخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما ندخره للغد ، فأخبرهم فقال : يافلان أنت أكلت كذا وكذا ، وأنت أكلت كذا وكذا وادخرت كذا وكذا فذلك قوله : ﴿ وأنبئكم ﴾ الآية .) (٣).

وقال الألوسى ـ رحمه الله تعالى ـ : (وقيل المراد الإخبار بالمغيبات إلا أنه قد اقتصر على ذكر أمرين منها ، ولعل وجه تخصيص الإخبار بأحوالهم لتيقنهم بها فلا يبقى لهم شبهة ، والسر في ذكر هذين بخصوصهما أن غالب سعي الإنسان وصرف ذهنه لتحصيل الأكل الذي به قوامه والادِّخَار الذي يطمئن به أكثر القلوب وتسكن منه غالب النفوس .) (٤).

تاسعاً : محمد صلى الله عليه وسلم :

من ضمن المعجزات التي أوتيها نبينا محمد ﷺ تأييداً له وتصديقاً ، اطلاعه على أمور من الغيب كثيرة جداً ، سواء منها الذي مضى وانقضى قبل مبعثه ﷺ ، أو الذي وقع بعده ، أوما سيقع قبل يوم القيامة . وقد ورد في الكتاب والسنة من ذلك الشيء الكثير ، وسأذكر هنا بعضاً منها :

أولا : ماورد في القرآن الكريم :

قال الله تعالى مخبراً نبيه ﷺ بهزيمة الفرس وظهور الروم عليهم : ﴿ الم ۞ غلبت الروم ۞ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ۞ في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ۞ بنصر الله ينصر من يشاء

١ـ قوله " انباءه " اسم " أن " في قوله آنفاً : (أن من حجته أيضاً . . إنباءه . . .) .
٢ـ جامع البيان ٤٣٢/٦ .
٣ـ الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٩٥ .
٤ـ روح المعاني ٢/ ١٧٠ .

وهو العزيـز الرحيـم . ﴾ (١).

فأخبر تعالى في هذه الآيات عن ظهور الروم على الفرس وغلبتهم لهم . وبشر المؤمنين بنصر الله الذي سيأتيهم فتحقق وعده واختباره فغلبت الروم الفرس ، وظهروا عليهم . ونصر الله المؤمنين في بدر على أعداء التوحيد نصراً مؤزراً ففرح المؤمنون بذلك . فكان هذا من أخبار الغيب التي جاءت تأييداً لنبوة محمد ﷺ ودلالة على صدق ماجاء به مما كان سبباً في دخول خلق كثير في الإسلام بعد هذه الحادثة (٢).

قـال ابن جرير - رحمه الله تعالـى - فـي تأويـل هـذه الآيـات : ﴿ الم غلبـت الروم ﴾ أي : غلبت فارس الروم ﴿ في أدنـى الأرض ﴾ من أرض الشام إلـى أرض فارس ﴿ وهم من بعد غلبهم ﴾ يقول : والروم من بعد غلبة فارس إياهم سيغلبون فارس ﴿ في بضع سنين لله الأمر من قبل ﴾ غلبتهم فارس ﴿ ومن بعد ﴾ غلبتهم إياها يقضي في خلقه مايشاء ويحكم مايريد ويظهر من شاء منهم على من أحب إظهارهم عليه ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ يقول : ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله إياهم على المشركين ، ونصرة الروم على فارس . ﴿ينصر ﴾ الله تعالى ذكره ﴿ من يشاء ﴾ من خلقه على من يشاء ، وهو نصرة المؤمنين على المشركين ببدر ﴿ وهو العزيز ﴾ يقول : والله الشديد في إنتقامه من أعدائه لايمنعه من ذلك مانع ولا يحول بينه وبينه حائل ﴿ الرحيم ﴾ بمن تاب من خلقه وراجع طاعته أن يعذبه .) (٣).

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - : (كان هذا الإخبار دليل على نبوة

١- الروم ١ - ٥ .

٢- لما نزلت هذه الآيات نزل أبوبكر - رضي الله عنه - يصيح في نواحي مكة ﴿ الم غلبت الروم . . . ﴾ الخ الآيات فقال ناس من قريش ذاك بيننا وبينك يزعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس ألا نراهنك على ذلك ؟ فراهنهم - وكان ذلك قبل تحريم الرهان - فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس . رواه الترمذي (ح٣١٩١) سورة الروم وقال هذا حديث حسن صحيح غريب إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري عن حبيب عن أبي عمرة . ورواه أيضاً أحمد في المسند (ح١/٢٧٦ ، ٣٠٤ . وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند اسناده صحيح (ح٢٤٩٥) .

٣- جامع البيان ٢١/ ١٦ .

محمد ﷺ لأن الروم غلبتها فارس فأخبر الله ـ عز وجل ـ نبيه محمداً ﷺ أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين ، وأن المؤمنين يفرحون بذلك . لأن الروم أهل كتاب فكان هذا من علم الغيب الذي أخبر الله ـ عز وجل ـ به مما لم يكن علموه .) (١).

وقال تعالى مخبراً نبيه ﷺ بهزيمة قريش وانتصار المسلمين عليهم : ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر ۞ سيهزم الجمع ويولون الدبر .﴾ (٢).

فهذه الآيات نزلت في مكة تأييداً للنبي ﷺ ورداً على الكفار الذين ادعوا أن لهم القوة والغلبة والنصرة على كل أحد قصدهم بسوء أومكروه ، أو أراد حربهم وتفريق جمعهم ، فقال جل ثناؤه مخبراً نبيه ﷺ بأنه سيهزمهم ويمزق شملهم ، وأنهم سيولون الأدبار هاربين : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ . فكان ذلك وأظهرهم على الكافرين وأعلى دين الحق وهزم الباطل وأهله ، فكان هذا من الغيب الذي أيد الله به نبيه ﷺ وحيث أخبره به قبل وقوعه بسنوات .

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل هذه الآيه : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ أي جمع كفار مكة وقد كان ذلك يوم بدر وغيره . . ثم قال : وهذا من معجزات النبي ﷺ لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر) (٣).

وفي الحديث عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر في مناجاته لله (أنشدك عهدك ووعدك . . .) الحديث (٤).

ومثلها قوله تعالى : ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ۞ ليحق الحق ويبطل الباطل . ﴾ (٥).

وكذلك قوله تعالى : ﴿ إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون ۞ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون . ﴾ (٦).

١ـ الجامع لاحكام القرآن ٥/١٤ .
٢ـ القمر ٤٤ ـ ٤٥ .
٣ـ الجامع لاحكام القرآن ١٤٥/١٧ ـ١٤٦ .
٤ـ البخاري (ح٤٨٧٧) . ومثله (ح٤٨٧٥) .
٥ـ الأنفال ٧ .
٦ ـ الدخان ١٥-١٦.

فكانت البطشة الكبرى يوم بدر ومابعدها ؛ حيث أذلهم الله على يد رسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم .

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : (يقول الله تعالى ذكره : إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم . . ثم عدتم في كفركم ونقضكم عهدكم الذي عاهدتم ربكم انتقمت منكم يوم أبطش بكم البطشة الكبرى في عاجل الدنيا فأهلككم . فكشف الله عنهم فعادوا ؛ فبطش الله بهم جل ثناؤه بطشته الكبرى في الدنيا فأهلكهم قتلا بالسيف .) (١).

وقال تعالى مؤيداً نبيه محمداً ﷺ بأمر من الغيب : ﴿ **لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً .** ﴾(٢).

بشر الله رسوله ﷺ بدخول مكة هو ومن معه من المؤمنين معتمرين آمنين محلقين ومقصرين لايخافون أحداً إلا الله ، وكان النبي ﷺ قد رآى هذه الرؤيا في المدينة ، ورؤيا الأنبياء من الوحي كما تقدم بيانه (٣) فلما كان صلح الحديبية ورجع ﷺ ولم يدخل مكة نزلت هذه الآيات مبشرة بدخول مكة ومبشرة أيضاً بفتح قريب قبل فتح مكة يفتحه الله على المسلمين ، فكان فتح خيبر حيث غنم المسلمون غنائم كثيرة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ۞ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ۞ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ۞ .** ﴾ .

في هذه السورة يبشر الله نبيه محمداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ بفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً . وجعل الله هذا الفتح علامة على قرب أجل النبي ﷺ فقد ورد في الأثر أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سأل ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ عن هذه الآية : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح . . .** ﴾ قال :

١ـ جامع البيان ١١٦/٢٥ .

٢ـ الفتح ٢٧ .

٣ـ انظر مبحث الرؤيا وعلم الغيب ص ١٤٨ ـ ١٥٠ .

لما نزلت نعيت إلى الرسول ﷺ نفسه .) (١).

ولما فتح الله على يده مكة ورأت العرب أنه ظهر على أهل مكة ودخلها قالت : أما إذا ظهر محمد بأهل الحرم وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان (٢) فكانوا يسلمون أفواجاً أمة أمة (٣).

فهذا من الغيب الذي أطلع الله عليه نبيه محمد ﷺ قبل وقوعه .

وكذلك من الأمور الغيبية التى أطلع الله نبيه محمداً ﷺ عليها أنباء القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع المندثرة وغيرها مما لم يكن يعرف كثيراً منه أحد .

وقد علمها النبي ﷺ فأخبر بها على حقيقتها وتفاصيلها ، وأخبر عن بعضها الآخر بالإجمال ، فتلقاها الناس بالقبول والتصديق وخاصة أهل الكتاب فإنهم لم يعارضوه أو ينكروا ما أخبر به مع كونهم من أشد الناس عداءً للنبي ﷺ وأكثرهم تَحَيُّناً لفرص التشكيك في رسالته ، وأيضاً مع كون النبي ﷺ أمياً لايعرف القراءة ولا الكتابة ، ولم يشتغل في تعلم مثل هذه الأمور بمدرسة أو غيرها مما جعل الناس يتيقنون بأنه لم يأت بذلك من عنده ، بل أخبره بها رب العالمين عن طريق الوحي .

وقد كان أهل الكتاب يسألونه عن أمور غيبة كثيرة فينزل عليه من الوحي مايكون جواباً شافياً لما سألوا عنه ، بل كان كثيراً ما يوافق ما عندهم من أخبار صحيصة لم تحرف ، فقد سألوه عن أصحاب الكهف ولم يكن أحد يعرف قصتهم سوى بعض أهل الكتاب فنزل القرآن بها . وسألوه عن ذي القرنين وعن يوسف وأخوته ، ولقمان وابنه ، وعن بدء الخلق مما لم يقدروا على تكذيبه لوجوده في كتبهم ولتصديق علمائهم به مع شدة عداوتهم وكثرة سؤالهم .

وكثيراً مايذكر الله ـ جل وعلا ـ بعد تلك القصص والأخبار أنها من أنباء

١ـ رواه أحمد ٣٥٦/١ . وأصله في البخاري ح ٤٩٦٩ ـ ٤٩٧٠

٢ـ يدان : أي يطاق ويحتمل .

٣ـ انظر الجامع لاحكام القران ٢٣٠/٢٠ .

الغيب التي أوحاها إليه ﷺ .

فقد قال بعد ذكر قصة مريم : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وماكنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون . ﴾ (١).

وقال في سورة هود بعد أن ذكر قصص الأنبياء : ﴿ تلك من أنبياء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا . . . ﴾ الآية (٢).

وقال بعد ذكر قصة يوسف : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون . ﴾ (٣).

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً يطول حصرها ولكني أردت التمثيل والاستدلال لا الحصر .

ثانياً ما ورد من السنة :

وكما أنه ورد في القرآن تأييده ﷺ بإطلاعه على أمور من الغيب ، كذلك ورد في السنة من الأخبار ما يطول ذكره وجمعه لكثرته وتواتره . وسأذكر هنا بعضاً منه :

أخبر النبي ﷺ بمصارع المشركين في موقعة بدر فكان يشير بيده ويضعها على الأرض ويقول (ههنا وههنا) فما ابتعد أحدهم عن الموضع الذي وضع الرسول ﷺ يده الطاهرة عليه (٤).

وأخبر أن أمية بن خلف سيقتله المسلمون فوقع كما أخبر بذلك حيث قتل مع من قتل في بدر (٥).

١- ال عمران ٤٤ .

٢- هود ٤٩ .

٣- يوسف ١٠٢ .

٤- روى مسلم في الجهاد عن أنس رضي الله عنه وفيه : (.. فقال قال رسول الله ﷺ : هذا مصرع فلان) قال : ويضع يده على الأرض ههنا وههنا قال فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ .) (ح١٧٧٩) .

٥- روى البخاري عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - في ذكر قصة سعد بن معاذ حينما قدم إلى مكة معتمراً فنزل على أمية بن خلف وكان صديقاً له ، فذهب سعد مع أمية قريباً من منتصف النهار للطواف بالكعبة فحدث أن جاء أبو جهل فتخاصم مع سعد ، فكان سعد يرفع صوته ؛ فقال له أمية : (لاترفع صوتك على أبي الحكم سيد أهل الوادي . فقال سعد : دعنا عنك ياأمية فوالله لقد سمعت =

وأخبر النبي ﷺ في مجلس له عن الأمور التي تحدث قبل قيام الساعة كما في حديث حذيفة رضي الله عنه قال : (قام فينا رسول الله مقاماً ماترك شيئاً يكون في مكانه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ؛ قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه .) (١).

وعندأبي داود قال حذيفة بن اليمان : (والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا ؟. والله ماترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته .)(٢).

وعند مسلم عن أبي زيد عن عمرو بن أحطب قال : (صلى بنا الرسول ﷺ الفجر وصعد المنبر وخطبنا حتى حضرة الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا .)(٣).

وأخبر ﷺ بعد انقضاء غزوة الأحزاب بأن قريشاً ومن حالفها لن تغزوه أبداً وأنه هو الذي يغزوهم (٤). فوقع كما أخبر ﷺ فقد كان صلح الحديبية بعدها بسنة ثم كان الفتح بعد أن نقضت قريش الهدنة .

وأخبر أيضاً بفتح مكة بعدما قفل راجعاً من الحديبية حينما نزلت عليه سورة الفتح (٥).

وأطلعه الله على كتاب حاطب بن أبي بلعتة - رضي الله عنه - حينما أرسل

= رسول الله ﷺ يقول : (إنهم قاتلوك قال : بمكة ؟ قال لا أدرى . ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً .) وكان أن خرج أمية مع المشركين لقتال النبي ﷺ فقتل في بدر فوقع كما أخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى . (ح ٣٦٣٢ - ٣٩٥٠).

١- البخاري (ح٦٦٠٤) ، ومسلم (ح ٢٨٩١) وأبو داود (ح ٤٢٤٠) والترمذي (ح ٢١٩١) عن أبي سعيد الخدري .

٢- أبو داود (ح ٤٢٤٣) .

٣- مسلم (ح ٢٨٩٢) ج ٤

٤- انظر البخاري (ح ٤١٠٩ - ٤١١٠) . عن أبي سليمان بن صرد قال قال النبي ﷺ يوم الاحزاب ((الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم))

٥- انظر البخاري (ح ٣١٨٢) . وفيه (فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله ﷺ على عمر إلى آخرها فقال عمر يارسول الله أوفتح هو ؟ قال : نعم .)

إلى قريش كتاباً يذكر فيه ما هم به رسول الله ﷺ من غزو قريش في دار عقرهم فأرسل علياً والزبير والمقداد وقال لهم : (ائتوا روضة خاخ (١) فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها). فانطلقوا فجاؤوا بالكتاب (٢).

وأخبر النبي ﷺ وهو قافل من غزوة تبوك بموت منافق في المدينة (٣).

ولما قتل عبد لرسول الله ﷺ حينما كان يحل رحله قال الصحابة هنيئاً له الشهادة . فقال رسول الله ﷺ : (كلا والذي نفسي بيده إن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم .) (٤).

فاخبر النبي ﷺ بغلول هذا العبد من الفيء قبل أن يقسم .

ونعى النبي ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى وصلى عليه صلاة الغائب (٥).

ونعى أصحاب مؤتة زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة وذلك قبل أن يأتي خبرهم (٦).

وأخبر بأن لبيد بن الأعصم سحره في مشط ومشاطة وضعها في بئر ذي أروان فأمر بها فأخرجت وذهب مايجده من ذلك السحر وعافاه الله (٧).

وقال ﷺ في الحسن بن على - رضي الله عنهما - : (ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين (٨).

١- موضع بين الحرمين يقال له روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة . معجم البلدان ٣٣٥/٢ حرف الخاء .

٢- رواه البخاري (ح ٤٢٧٤) . ومسلم (ح ٢٤٩٤) ، واللفظ الذي ذكرته لمسلم .

٣- انظر صحيح مسلم عن جابر (أن رسول الله ﷺ قدم من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب فزعم أن رسول الله ﷺ قال : " بعثت هذه الريح لموت منافق " فلما قدم المدينة فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات) (ح ٢٧٨٢) .

٤- البخاري (ح ٤٢٣٤) . ومسلم ١١٥ .

٥- انظر البخاري (ح ١٣٣٣ ١٣٣٤) . وابن ماجة (ح ١٥٣٤) عن أبي هريرة .

٦- انظر البخاري (ح ٤٢٦٢) عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال : (أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليه .

٧- البخاري (ح٣٢٦٨) ،(٣١٧٥) . ومسلم (ح ٢١٨٩) عن عائشة رضي الله عنها .

٨- انظر البخاري ح ٣٧٤٦ ، ٣٦٢٩ .

فوقع ما أخبر به النبي ﷺ حيث أصلح الله به بين المسلمين بعد توليه الخلافة بعد أبيه علي - رضي الله عنهما - فاجتمع المسلمون على إمام واحد هو معاوية - رضي الله عنه - وسمي ذلك العام بعام الجماعة .

وأخبر باستشهاد عمر (١). وعثمان بن عفان - رضي الله عنهما - وأن عثمان سيقتل مظلوماً (٢).

فاستشهد عمر وعثمان - رضي الله عنهما - في المدينة على أيدي اليهود والرافضة المجوس .

وذكر أيضاً فتنة عظيمة تقع بين المسلمين ينقسم فيها المسلمون إلى فئتين عظيمتين تقتتلان ودعواهما في ذلك واحدة (٣). فحدث ذلك بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه .

وأخبر عن أمور كثيرة أنها ستقع فوقعت كما أخبر ﷺ وما علامات الساعة إلا أكبر دليل على صدقه وأن ما جاء به من عند الله نور وهدى مبين لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد حيث وقع كثير منها طبقاً لما أخبر به النبي ﷺ .

وأشراط الساعة التي وقعت والتى لم تقع لأكبر دليل على ذلك . ولولا خشية الإطالة لأسهبت في ذكر تلك الأشراط . لأنها من أوضح الأمور الغيبية التي أطلع الله عليها محمداً ﷺ .

١- انظر البخاري (ح ٣٥٨٦) . حديث حذيفة - رضي الله عنه - حينما سأل عمر الصحابة (أيكم يحفظ في الفتنة قال حذيفة أنا أحفظ) إلى أن قال : (يا أمير المؤمنين لابأس عليك منها إن بيك وبينها باباً مغلقاً قال يفتح الباب أم يكسر ؟ قال لا ، بل يكسر قال ذلك أحرى أن لا يغلق قلنا : علم الباب ؟ قال نعم كما أن دون غد الليلة ، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط . فهبنا أن نسأله وأمرنا مسروقاً فسأله فقال : من الباب ؟ قال عمر .

٢- انظر البخاري (ح ٣٦٧٤ ، ٣٦٩٥) وفيه " أن ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه . " ومسلم (ح٢٤٠٣) عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - .

وروى البخاري - رحمه الله تعالى - عن أنس بن مالك " أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال : اثبت فإن عليك نبي وصديق وشهيدان " (ح ٣٦٧٥).

٣- انظر البخاري (ح ٣٦٠٨ ، ٣٦٠٩) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : " لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان فيكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما فيها واحدة . . . " الحديث

الباب الرابع : حكم المدعين للغيب

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول : في الكهان والمنجمين ومن يلحق بهم

الفصل الثاني : علم الغيب عند الصوفية

الفصل الثالث : الكشف عند الصوفية

الفصل الرابع : علم الغيب عند الرافضة

الفصل الخامس : بعض الآثار المترتبة على ادعاء علم الغيب

التعريف بالكهان والكهانة :

الكِهَانَةُ مصدر كَهَنَ كَمَنَعَ ونَصَرَ . أو كَهُنَ مثل كَرُمَ . تقول : كَهَنَ الرجلُ يَكْهَنُ كِهَانَةً وتقول : ما كان فلان كاهِناً ، ولقد كَهُنَ ؛ وتقول كَهَنَ لهم إذا ما قال لهم قول الكهنة .

والكَاهِنُ في كلام العرب أيضاً الذي يقوم بأمر الرجل ويسعى في حاجته ، والقيام بما أُسْتُنِدَ إليه من أسبابه .

ويقال لقريظة وبني النضير الكاهنان نسبة إلى جد لهم كان كاهناً (١).

فالكاهن في اللغة هو الذى يدعي علم الغيب .

وللعلماء في تعريف الكاهن والكاهنة عدة أقوال :

فعرفه الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ : بأنه الذي يدعي مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن (٢).

ونقل عنه ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ قوله : هؤلاء الكهان بماعلم من شهادة الإمتحان قوم لهم أذهان حادة ، ونفوس شريرة ، وطبائع نارية . فهم يفزعون إلى الجن في أمورهم ويستفتونهم في الحوادث فيلقون إليهم الكلمات . . . (٣).

وعرفه ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : (الكهَانَةُ بفتح الكاف ويجوز كسرها إدعاء علم الغيب ، كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الإستناد إلى سبب ، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن) (٤).

وعرفه ملا علي القاريء بقوله : (الكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار في المكان . . .

وقيل الكاهن : الساحر والمنجم إذا ادعى العلم بالحوادث الآتية ، فهو

١- تهذيب اللغة ٢٤/٦ مادة كهن أبواب الهاء والكاف ـ والقاموس المحيط ٢٦٦/٤ مادة كهن .

٢- معالم السنن مع مختصر المنذري ٢٧٣/٥ .

٣- فتح الباري ٢١٧/١٠ .

٤- فتح الباري ٢١٦/١٠ .

مثل الكاهن وفي معناه الرمال .) (١).

وقال ابن حجر الهيتمي في تعريف الكاهن : (الكاهن هو الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب ويخطئ أكثرها ويزعم أن الجن تخبره بذلك .

وفسر بعضهم الكهانة بما يرجع لذلك فقال هي تعاطي الأخبار بالمغيبات في مستقبل الزمان ، وادعاء الغيب ، وزعم أن الجن تخبره بذلك .) (٢).

ويمكن أن نخرج من هذه التعريفات بأن الكاهن هو كل من يدعي العلم بالغيب سواءً كان ممن يتلقاه من مسترقي السمع ؛ أو من غيرهم من الذين يخبرون الكاهن بما يقع في الأرض ، أو قد يكون الكاهن يتلقى ذلك عن طريق الشعوذة كالخط في الأرض ونحوه ، أو عن طريق النظر في النجوم وادعاء علم الغيب من خلال ذلك .

فكل من ادعى علم الغيب فهو من الكهان ؛ سواء كان ممن يأخذ ذلك عن مسترقي السمع أوكان من المنجمين ، أو الرمالين ، أوممن يدعي معرفة الغيب عن طريق قرآءة الفنجان أو الكف ونحوها .

ونقل صاحب الدين الخالص عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - قوله : (المنجم كاهن والكاهن ساحر والساحر كافر .) (٣).

وقال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في بيان الكهان وذكر أصنافهم : (فمنهم من يأخذ عن مسترقي السمع ومنهم من يكون له شياطين يخبرونه بما يقع في أقطار الأرض ، ومنهم المنجمون والعرافون ومن يزجر الطير ويطرق الحصى . وهؤلاء كلهم كهان قد أكذبهم الشرع ونهى عن تصديقهم .) (٤).

وقال الأصفهاني - رحمه الله تعالى - : (الطرق بالحصى والخط في

١- شرح الفقة الأكبر ص٢٣١ .

٢- الزواجر ٢٩/١ .

٣- الدين الخالص ٢٤٢/٢ .

٤- انظر شرالنووي على مسلم ٢٢٣/١٤ . بتصرف .

التراب ونحو ذلك . . ضرب من التكهن . . .) (١).

وقال ابن الأثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (الكاهن يشمل الذي يتعاطى الخبر من الكائنات في مستقبل الزمان . والعراف والمنجم .) (٢).

وقال ابن عابدين ـ رحمه الله تعالى ـ : (الكاهن هو من يدعي معرفة الغيب بأسباب مختلفة فلذا انقسم إلى أنواع متعددة ، كالعراف والرمال والمنجم . . والذي يضرب بالحصى ، والذي يدعي أنه له صاحب من الجن يخبره عما سيكون . والكل مذموم شرعاً محكوم عليهم وعلى مصدقيهم بالكفر .)(٣).

وقال الشيخ حافظ حكمي ـ رحمه الله تعالى ـ : (إعلم أن الكاهن يطلق في الأصل على من يأتيه الرئى من الشياطين المسترقة للسمع ، ولكنه عام في كل من ادعى معرفة المغيبات ولو بغيره كالرمال الذي يخط في الأرض أو غيرها ، وكالمنجم والطارق بالحصى وغيرهم ممن يتكلم في معرفة الأمور الغائبة كالدلالة على المسروق ومكان الضالة ونحوها . أوالمستقبلة كمجيء المطر ، أو رجوع الغائب ، أو هبوب الرياح ونحو ذلك مما استأثر الله عز وجل بعلمه مما لايعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل . . فمن ذا الذي يدعي علم ماستأثر الله بعلمه .) (٤).

١ـ المفردات ٣٠٣ .

٢ـ انظر النهاية في غريب الحديث ٢١٤/٤ ـ ٢١٥ بتصرف .

٣ـ حاشية ابن عابدين ٢٤٢/٢ .

٤ـ انظر معارج القبول ٥٣١/١ ، ٥٣٦ .

الكهانة في العرب قبل الإسلام :

كان الكهان منتشرون في العرب قبل الإسلام ، وكانت لهم مكانة عندهم يلجأون إليهم للتعرف على الأمور المعضلة التي تعتريهم ، ويسألونهم عن أمور الغيب والأحداث التي تقع في مستقبل الزمان . ويتحاكمون إليهم في خصوماتهم ومنازعاتهم .

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ : (كانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب ؛ لانقطاع النبوة فيهم .) (١).

وروى البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه تعليقاً عن جابر بن عبدالله قال : كانت الطواغيب التي يتحاكمون إليها ، في جهينة واحد وفي أسلم واحد وفي كل حي كهان ينزل عليهم الشياطين .) (٢).

وقد كان العرب يعتقدون أن الكهان يعلمون الغيب ، فكانوا يسألونهم عَمَّا سيقع في مستقبل الزمان ، كما وقع ذلك لملك اليمن ربيعة بن نصر حينما رأى رؤيا هالته ففزع إلى الكهان واستدعى أشهر كاهنين في ذلك الوقت وهما : شق بن صعب بن أنمار ، وسطيح بن ربيع بن ربيعة ، والقصة مشهورة (٣).

وأيضاً ما وقع لأهل اليمن من رحيلهم عن ديارهم حينما أخبرت طريفة الكاهنة ـ امرأة عمرو بن عامر ـ ببلاء سيصيب اليمن ، فباع زوجها مايملك وباع الناس أملاكهم ورحلوا عن تلك الديار (٤).

وأيضاً حينما ذهب عبد المطلب إلى كاهنة الحجاز لتحكم فيما وقع فيه عبدالمطلب حينما نذر أن يذبح أحد أبنائه فحالت قريش دونه ، وعرضوا عليه التحاكم إلى تلك الكاهنة والواقعة أشهر من أن تذكر (٥).

١ـ فتح الباري ٢١٦/١٠.

٢ـ وقال الحافظ : (وصله ابن أبي حاتم من طريق وهب بن منبه قال : سألت جابر عن الطواغيت فذكر مثله وزاد " وفي هلال واحد " فتح الباري ٢٥١/٨ .

٣ـ انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٤٢/١.

٤ـ انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٤٢/١ .

٥ـ المصدر السابق ١٥٤/١.

ولم يكن عمل الكهان مقصوراً على هذا بل كانوا يداوون الناس من الأمراض والأسقام وفي هذا يقول أحد شعرائهم :

فقلت لعراف اليمامة داوني فإنك إن داويتني لطبيب .

وقال الآخر :

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد إن هما شفياني

فقالا شفاك الله والله مالنا بما حملت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة ، وعراف نجد هو الأبلق الأسدي (١).

وقد كان الكهان منتشرين في العرب وغير العرب .

ومن أشهرهم في الجاهلية عند العرب : شق بن أنمار وسطيح بن مازن وخنافر بن التوأم الحميري ، وطريفة الخير امرأة عمر بن عامر القحطاني التي أنذرت زوجها بخراب سد مأرب كما سبق ذكره . وكاهنة بني الأسهم ، وكاهنة خثعم فاطمة بنت مر وغيرهم كثير (٢).

ومن الملاحظ أن الكهانة في العرب لم تقتصر على الرجال بل شاركهم بذلك النساء ، وأن الكهان كانوا ينتسبون إلى بلدانهم وقبائلهم .

وبهذا يتبين أن الكهانة كانت منتشرة بين الناس في الجاهلية «لانقطاع النبوة فيهم » (٣). فلما جاء الإسلام أبطلها وحاربها .

١ـ مقدمة ابن خلدون ١٨٩/١ ، ١٩٠ ومروج الذهب ١٧٤/٢.

٢ـ انظر مروج الذهب ٢/ ١٨٦ .

٣ـ انظر فتح الباري ٢١٧/١٠ .

أنـواع الـكـهـــانـــه

لـلـكـهـــانـــة ثـلاثـــة أنـــــواع :

الأول : مايتلقاه الكهان عن الجن من أمور الغيب المستقبلية .

الثاني : مايتلقاه الكهان عن الجن مما يطر أويقع في الأرض مما قرب أوبعد مما لايطلع عليه الإنسان البعيد عنه غالباً .

الثالث : المنجمون وما يستندون فيه إلى الظن والتخمين والحدس .

وقد يستندون فيه إلى التجربة والعادة ، فيستـدلون على الحادث بما وقع قبله (١).

فالقسم الأول : هو مايتلقاه الكهان عن شياطين الجن ، وذلك أن الجن يصعدون إلى السماء يركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى منهم من السماء ؛ بحيث يسمع كلام الملائكة فيسترقه ثم يلقيه إلى الذي تحته إلى أن يتلقاه الأخير فيلقيه على الكاهن ، فيزيد الكاهن فيه مائة كذبة كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ في حديث عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : (سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان فقال : (إنهم ليسوا بشيء . فقالوا يارسول الله : إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً ؟ . قال : فقال النبي ﷺ تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة) (٢).

وعند مسلم : (قال : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة) (٣).

وفي رواية للبخاري : (قال : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة .) (٤).

ولما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين وأرسلت

١- انظر شرح النووي على مسلم ١٤/٢٢٣ ، وفتح الباري ١٠/ ٢١٧ .

٢- رواه البخاري (ح٧٥٦١) .

٣- مسلم (ح٢٢٢٨) .

٤- البخاري (ح٥٧٦٢) .

عليهم الشهب ، فلم يبق من استراقهم السمع إلا ما يخطفه الأعلى فيلقيه على الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب ، وإلى ذلك أشار الله تعالى في كتابه بقوله : ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب . ﴾ .(١).

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره لهذه الآية : (أي إلا من اختطف من الشياطين الخطفة وهي الكلمة يسمعها فيلقيها إلى الذي تحته ويلقيها الآخر إلى الذي تحته ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها بقدرة الله قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكاهن .)(٢).

وقوله تعالى : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ۞ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً . ﴾ (٣).

وقوله تعالى : ﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب ۞ وحفظاً من كل شيطان مارد ۞ لايسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب . ﴾ (٤).

وقوله تعالى : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير . ﴾ (٥).

وقد ورد في السنة مايدل أيضاً على ذلك ، كما في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسة على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترقُ السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحتة حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ؛

١ـ الصافات ١٠ .
٢ـ تفسير القرآن العظيم ٤/٧ .
٣ـ الجن ٨ ـ ٩.
٤ـ الصافات ٧ ـ ٨ .
٥ـ الملك (٥).

فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعها من السماء .) (١).

قال الخطابي - رحمه الله تعالى - : (بين ﷺ أن إصابة الكاهن أحياناً إنما هي لأن الجني يلقى إليه الكلمة يسمعها إستراقاً من الملائكة ، فيزيد عليه أكاذيب فيقيسها على ماسمع فربما أصاب نادراً وخطأه الغالب .) (٢).

وهذا في غير الوحي أما الوحي فلا يمكن للشياطين أن تسمع منه شيئاً لقوله تعالى : ﴿ إنهم عن السمع لمعزولون . ﴾ (٣).

وإذا استمع الشياطين إلى غير الوحي فإنهم يقذفونه إلى الكهنة في أسرع من طرفة عين ثم تتبعهم الشهب فتقتلهم أو تخبلهم . ذكره الحسن وابن عباس (٤).

وقد أنكر ابن خلدون - رحمه الله تعالى - على من قال إن الكهانة إنقطعت بعد بعثة النبي ﷺ وبطلت لكون الشياطين منعوا من استراق السمع فقال : (إن الآيات إنما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بالبعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك ، وأيضاً إنما كان ذلك الإنقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها عادت إلى ما كانت عليه ، وهذا هو الظاهر ؛ لأن هذه المدارك تخمد في زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرج عند وجود الشمس ؛ لأن النبوة هي النور الأعظم الذي يخفى معه كل نور ويذهب .) (٥).

والذي يظهر من الآيات والأحاديث أن السماء قد حرست من الشياطين منذ بعثة نبينا محمد ﷺ إلى الأبد ، وهو الذي تدل عليه النصوص ،

١- رواه البخاري (ح ٤٨٠٠) .
٢- الفتح ٢٢٠/١٠ .
٣- الشعراء ٢١٢ .
٤- القرطبي ١٠/١٠ .
٥- مقدمة ابن خلدون ١٧٦/١ ، ١٧٧ .

فالنصوص عامة لم يأت مايخصصها بزمن النبوة ، فتبقى على عمومها مالم يرد مخصص ، ولا مخصص .

وماذكره ابن خلدون ـ رحمه الله تعالى ـ ما هو إلا أدلة عقلية ، والأدلة العقلية لاتخصص الأدلة النقلية . بل لاتقوم مع وجود الأدلة النقلية ؛ فضلا عن أن النصوص دلت ـ كما ذكرت سابقاً ـ على أن من الشياطين من يسترق السمع وربما لايدركه الشهاب ـ وهو القليل النادر ـ فيخبر به الكهان كما دلت عليه النصوص السابقة .

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ : (وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً كما جاء في أخبار شق وسطيح ونحوهما ، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جداً حتى كاد يضمحل ولله الحمد .) (١).

القسم الثاني : هو مايتلقاه الكاهن عن الجن من أخبار مايطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما بعد أوقرب .

وقد يستندون إلى مقدمات يستدلون بها على على الحوادث .

وهذا في الأمور التي مضت وانقضت أو التي لازالت قائمة في الأماكن البعيدة .

ومعرفة مثل هذه الأمور أمر ممكن ومقدور عليه ، وليس من الغيب في شيء ؛ لأن هؤلاء يكون لهم أعوان ومخبرون من الجن أو من غيرهم يخالطون الناس ويأتونهم بأخبارهم ، ثم يكاشفون الناس بها ، فيظن من لا علم عنده أنهم يعرفون الغيب .

ويدخل في هذا القسم العرافون ؛ لأن العرافين هم الذين يدعون معرفة الأمور بمقدمات يستدلون بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك (٢).

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (العراف هو الحازر والمنجم الذي يدعي علم الغيب ، وهي من العرافة وصاحبها عراف ، وهو الذي يستدل على

١- فتح الباري ٢١٧/١٠ .

٢- انظر شرح السنة للإمام البغوي ١٨٣/١٢ .

الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها ، وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة في ذلك ، وهذا الفن هو العيافة ؛ وكلها يطلق عليها اسم الكهانة ؛ قاله القاضي عياض .) (١).

وقال ابن قاسم (٢) - رحمه الله تعالى - معلقاً على هذا التعريف : (وظاهر كلامه أن العراف هو الذي يخبر عن الواقع كالسرقة وسارقها ، والضالة ومكانها ، وغير ذلك بأسباب ومقدمات ، بأقيسة فاسدة يدعي معرفتها بها ؛ وخيالات شيطانية ، وربما تنزلت عليه الشياطين ومازجت أنفاسه الخبيثة أنفاس إخوانه من الشياطين فإنها تنزل على الكاهن والمنجم والرمال والساحر ونحوهم ، وكل من ادعى شيئاً من هذه الأمور لقوله تعالى ﴿ تنزل على كل أفاك أثيم ﴾ (٣).(٤).

فالعراف يعتبر من أدعياء الغيب الذين يموهون على عقول بعض السذج من الناس . وهذا يعد نوع من أنواع الكهانة كما سبق بيانه .

وأما القائف - الذي يعرف الرجل من المرأة بالنظر إلى الأثر ، ويعرف الأنساب بالنظر إلى الأشخاص ، ومعرفة الجاني من غيره ونحو ذلك مما يعرفه القافة غالباً - فلا يعتبر من أدعياء الغيب ؛ لأنه يستدل على ذلك بعلامات وأمارات تدل على مايخبر به ، ففعله هذا من جنس قولهم : البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير . وليس من معرفة الغيب ؛ لأن الله سبحانه وتعالى أعطاهم القدرة على معرفة تلك الأمور عن طريق الحواس التي جعلها الله فيهم ، كما أن لبعض الحيوانات كالكلاب مثلا القدرة على التعرف على

١- الجامع لاحكام القرآن (٣/٧).

٢- هو عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عثمان بن قاسم من ال عاصم احدى بطون قحطان الصغرى التي هي من قحطان الكبرى . ولد في " البير " قرية من قرى المحمل عام ١٣١٩ هـ . انصرف إلى طلب العلم فدرس على كبار مشايخ زمانه ، ولما تمت له أداته وصلبت قناته انصرف إلى التأليف والبحث والتحقيق فجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ؛ وفتاوى ورسائل علماء نجد ؛ وألف عدة كتب . توفي - رحمه الله - في عام ١٣٩٢ هـ . علماء نجد خلال ستة قرون ٢/٤١٤ .

٣- الشعراء ٢٢٢ .

٤- حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (٢٠٦) .

الجناة ومعرفة ما معهم عن طريق الحواس التي أودعها الله فيها .

القسم الثالث : المنجمون

المنجمون صنف من أصناف الكهان كما ذكر ذلك النووي وغيره من العلماء الذين سبق ذكرهم وفيما يلي تعريف بالتنجيم وأقسامه وعلاقته بالكهانة .

تعريف التنجيم :

(النجم : الكوكب والجمع أنجم ونجوم وهو أحد الأجرام السماوية المضيئة والنجم علم على الثريا خاصة ، والمنجم والمتنجم الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها يستطلع من ذلك أحوال الكون .) (١).

وعرفه الخطابي بقوله : هو مايدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع أو ستقع في مستقبل الزمان ، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر ، وظهور الحر والبرد ، وتغير الأسعار ، وماكان في معناها من أمور يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وبإجتماعها وافتراقها ويدعون أن لها تأثيراً في الشكليات وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها .) (٢).

وعرفه ابن خلدون بقوله : (المنجمون القائلون بالدلالات النجومية ومقتضى أوضاعها في الفلك ، وآثارها في العناصر ، وما يحصل من الإمتزاج بين طبائعها بالتناظر ويتأدى من ذلك المزاج إلى الهواء .) (٣).

أقسام علم النجوم :

ينقسم علم النجوم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : عملي وهو : الذي يقولون عنه إنه تأثير القوى السماوية بالقوى

١- انظر اللسان ٥٦٩/١٢ مادة نجم ، والعجم الوسيط ٩١٢/٢ مادة نجم ، ومختار الصحاح ٢٠٣٨/٥ مادة نجم .
٢- معالم السنن مع مختصر المنذري (٣٧١/٥).
٣- مقدمة ابن خلدون ١٩٥/١ .

المنفعلة الأرضية كالطلاسم ونحوها .

الثاني : علمي وهو : الإستدلال بحركات النجوم على الحوادث .

الثالث : تعلم منازل النجوم للإستدلال على القبلة ، وأوقات الصلوات والفصول ، وأوقات الزروع ونضج الثمار ؛ والحر والبرد وغير ذلك (١).

أما القسم الأول : فهو مايعتقده عَبَّاد النجوم من أن لها تأثيراً فَعَّالا مستقلا بالحوادث الأرضية ، فما يحدث في الأرض يزعمون أنه بسبب الكواكب الروحانية فالكواكب فاعلة مختارة .

وهذا قول الصابئة المنجمين الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل - عليه السلام - ولهذا كانوا يعظمون الشمس والقمر والكواكب ، ويسجدون ويتذللون لها ، ويدعونها من دون الله ، ويبنون لكل كوكب هيكلا لعبادتة ؛ ويصورون فيه ذلك الكوكب ، ويزعمون أن روحانية ذلك الكوكب تنزل فتخاطبهم وتقضي حوائجهم . وتلك الروحانيات ماهي إلا شياطينٌ تَنَزَّلت عليهم وخاطبتهم وقضت حوائجهم (٢).

قال الله تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تَنَزَّلُ الشياطين ۞ تنزل على كل أفاك أثيم ۞ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . ﴾ (٣).

وأما القسم الثاني فهو : الإستدلال بمسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها وافتراقها على الحوادث الأرضية ، من جنس الإستسقاء بالأزلام ، فيخبرن بأحداث لم تقع ويدعون أنها ستقع في مستقبل الزمان ، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وتغير الأسعار ، وما كان في معانيها .

ويَدَّعُونَ أن من ولد في برج كذا فهو سعيد ، ومن ولد ببرج كذا فهو شقي وسيحصل له كذا وكذا ، وأنه في برج كذا سيحدث لفلان كذا وكذا

١- انظر معالم السنن ٣٧١/٥ وشرح السنة للبغوي ١٨٣/١٢ .

٢- انظر معالم السنن مع مختصر المنذري (٣٧١/٥) ، الفتاوى لابن تيمية (١٧١/٣٥ ، ١٨١) وتيسير العزيزالحميد (٣٨٧) ، وحاشية ابن قاسم (٢٢٣) .

٣- الشعراء (٢٢١ - ٢٢٣).

أو تنقضي الدنيا وتقوم القيامة بيوم كذا كما زعم يعقوب بن اسحاق الكندي (١) الذي يسمونه : (فيلسوف الإسلام) أن هذه الملة ستنقضي عام ثلاث وتسعون وستمائة ؛ ووافقه على ذلك من زعم أنه استخرج بقاء هذه الملة من حساب الجمل للحروف التي في أوائل السور ، وهي مع حذف التكرار أربعة عشر حرفاً وحسابها في الجملة ستمائة وثلاث وتسعون .

ومن هذا أيضاً ما روي من أن الله لما أنزل : ﴿ ألم ﴾ قالوا إن بقاء هذه الملة احدى وثلاثون ، فلما أنزل بعد ذلك : ﴿ ألر ﴾ و ﴿ ألم ﴾ قالوا : خلط علينا (٢)٠(٣)٠

وأما القسم الثالث : فهو علم التسيير الذي يدرك بالمشاهده من معرفة النجوم للإستدلال بها على الزروع والحر والقر ، وحساب منازل القمر وحساب الإيام والشهور والسنوات . ومعرفة الكسوف والخسوف ؛ وذلك بمعرفة الأفلاك والكواكب وصفاتها ومقاديرها وحركاتها وما يتبع ذلك ٠(٤).

التنجيم في العصر الحديث :

كان التنجيم والمنجمون منتشرين قبل الإسلام انتشاراً كبيراً ، وكان الناس يسألونهم عن أمور الغيب فَيَصْدُقُون مرة ويكذبون مائة ، واشتهرت بلاد الإسلام بالمنجمين حتى صار التنجيم علماً يُدَرَّس .

ولما جاء الإسلام حارب المنجمين وحذر منهم ونهى عن الإتيان إليهم ،

١- اسمه يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي الاشعثي ، أبو يوسف من ولد الاشعث بن قيس ، كان يقال له فيلسوف العرب ، نشأ في البصرة وانتقل إلى بغداد . قربه المأمون ثم المعتصم من بعده ونال = = عندهما منزلة كبيرة . كان متهماً في دينه ، له مصنفات كثيرة في المنطق والنجوم والفلسفة والموسيقى والهندسة والطب والفلك . ذكر ابن حجر في اللسان عن ابن النجار أن أصحاباً له قالوا له : اعمل لنا مثل القرآن فقال : نعم ، فغاب عنهم طويلا ثم خرج فقال : والله لايقدر على ذلك أحد . انظر لسان الميزان ٣٠٥/٦ . وانظر السير ٣٣٧/١٢ . والأعلام ١٩٥/٨ .

٢- رواه ابن اسحاق في المغازي ، وضعف إسناده الحافظ ابن كثير . انظر تفسير القرآن العظيم (٥٩/١) .

٣- انظر في هذا التقسيم الفتاوى (١٨٩/٣٥) ، ومعالم السنن مع مختصر المنذري (٣٧٢/٥) ، وتيسير العزيز الحميد (٣٨٧) ، وشرح السنة للبغوي (١٨٣/١٢) .

٤- الفتاوى لابن تيمية (١٨١/٣٥) ومعالم السنن على مختصر المنذري (٣٧٣/٥) ، وتيسير العزيز الحميد (٣٩٢ - ٣٩٣) ، وشرح السنة للبغوى (١٨٣/١٢) .

فقل المنجمون في بلاد الإسلام ولكنهم لم ينقرضوا ، بل كانوا يظهرون بين الفينة والأخرى . فلما ضعف الإسلام في نفوس المسلمين إنتشر مثل هذا وكثر المنجمون والمدعون للغيب ، وذلك لكثرة من يصدقونهم ويأتون إليهم .

وقد ظهر في كل عصر ومصر كذب هؤلاء المنجمين ومن هو على شاكلتهم ، فمن المفتريات التي بقيت وصمة عار في جبين المنجمين : كذبهم في دعواهم أن المعتصم لايمكنه فتح عمورية قبل نضج التين والعنب ؛ ونصحوا المعتصم بعدم الخروج للحرب ولكنه توكل على الله وخرج ، فنصره الله - سبحانه وتعالى - . وسجل ذلك الحديث أبوتمام في قصيدة له (١) قال فيها :

السيف أصدق أنباءاً من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخمسين لافي السبعة الشهب

أين الرواية بل أين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

تخرصاً وأحاديثاً ملفقة ... ليست بنبع إذا عدت ولاغرب .

وفي هذا العصر كثر المنجمون وتعددت وسائلهم وطرقهم ، وتفننوا في نشر التنجيم بين الناس حتى عمت بلواهم بين كثير من المجتمعات ، إلى درجة أننا نراهم يأتون لنا مع بداية كل عام بتنبآت وتوقعات وتخرصات بما سيحدث خلال عام قادم فيدعون أن حرباً ستنشب بين بلد كذا وكذا ، وأن المنطقة الفلانية ستشهد قلاقل واظطرابات ونحو ذلك . ومن الأمثلة على ذلك مايلي :

أُعْلِنَ في أوربا عن استعانة الرئيس الأمريكي السابق « ريجان » وزوجته «نانسي» بالمنجمة « جوان كو بجلي » في تحديد جدول الأعمال واتخاذ بعض القرارات مما كان له الأثر الكبير في ازدياد شعبية المنجمين

١- شرح ديوان أبي تمام لمحمد محيي الدين عبد الحميد ص ١٥ .

بوجه عام ، كيف لا ورئيس أكبر دولة في العالم المتحضر ؟ ! ! (١) يلجأ إلى الإستعانة بالمنجمين .

ولقد استغل الكثيرون ذلك فعلقوا صورة ذلك الرئيس وزوجته والعرافة على واجهات محلاتهم .

ولم يكن « ريجان » وحده الذي كان يلجأ إلى المنجمين ، بل غيره كثير فراجيف غاندي فعل ذلك عندما يئس من موجة الجفاف التي حلّت ببلاده بلاد الهند .

كما استشار السياسيون في تايوان المنجمين لتحديد أفضل الأيام لدفن الرئيس الهالك « سيانج سنج كو » .

وكذلك كان « سوهارتوا » رئيس اندنوسيا كان يجتمع بانتظام بالروحانيين والمشعوذين ، بل إن أحدهم كان يقيم إقامة شبه مستمرة في قصره .

ومثله « انديراغاندي » كانت تستشير المنجمين ، وأيضاً «جيسكاروستان » الرئيس الأسبق لفرنسا استشار المنجمين في انتخابات الرئآسة عام (١٤٠١هـ) .

وهذا الأمر ليس مقتصراً على العالم الغربي فحسب بل إن العالم الإسلامي ليعج بمثل هؤلاء ، ففي المغرب مالا يقل عن ستة عشر ألف قارئة كف .

وبيوت السحرة والمشعوذين في كل قرية ، وكذلك الحال بالنسبة لمصر وغيرها من البلدان الإسلامية فضلا عن الكافره لأنه لا ذنب بعد الكفر (٢).

ولم يقف الأمر عند هذا الحال ؛ بل تطور إلى حد أنهم صمموا آلة الكترونية تحدد الزواج السعيد من غيره ، والزوجة المناسبة من غيرها ،

١- المتحضر صناعيا المتخلف فكريا وخلقيا واجتماعيا فضلا عن تخلفهم عقائديا ودينيا .

٢- انظر صحيفة المسلمون عدد (٢٠٥) في (٢٨) جمادي الأولى (١٤٠٩هـ) وانظر عالم السحر والشعوذة (ص٢٨٧).

وتحديد أيام التكامل العصبي والإستقرار الذهني . . . الخ والكلام في هذا يطول .

مايلحق بالكهانة :

ومن الأشياء التي يمكن أن تلحق بالكهانة ما يدعيه بعض الناس من استخدامهم لأمور يزعمون أنهم يعلمون الغيب من خلالها ، ومن هذه الأمور مايلي :

الخط على الرمل والطرق بالحصى والنوى ونحوها ، وزجر الطير وقرآءة الكف والفنجان وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها ، والنظر في المرآة والمنديل وغير ذلك من أنواع الشعوذة والدجل الذي يأكلون بها أموال الناس بالباطل .

أما الخط فهو مايفعله الذي يحرز الأشياء ويدعي معرفتها ؛ وذلك بأن يأمر غلاماً له بخط عدة خطوط في الأرض بسرعة ؛ في يأمره أن يمسح منها اثنين اثنين فإذا بقي واحد فهو علامة الخيبة والخسران وإن بقي اثنان فهو علامة النجاح والفلاح .

قال الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ : (صورة الخط ماقاله ابن الأعرابي ذكره أبو عمر عن ابن العباس أحمد بن يحيى عنه قال : يقعد الحازي (١) ويأمر غلاماً له بين يديه ، فيخط خطوطاً على رمل أوتراب ويكون ذلك في خفة وعجلة كيلا يدركها العد والإحصاء ؛ ثم يأمره فيمحوها خطين خطين وهو يقول : إبني عيان أسرعا البيان . فإن كان آخر مايبقى منها خطين فهو آية النجاح ، وإن بقي خط واحد فهو الخيبة والحرمان .) (٢) .

وقد جاء في السنة أن نبياً من الأنبياء كان يخط . فعن معاوية بن الحكم السلمي ـ رضي الله ـ قال : (قلت يارسول الله ومنا رجال يخطون ؟ قال

١- الحازي هو الذي ينظر في الأشياء ويقدرها بظنه وتخرصه . وهو نوع من أنواع الكهانة . انظر اللسان مادة حزا ج١٤/١٧٥ .

٢- معالم السنن مع مختصر المنذري (٣٧٤/٥).

كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك .) (١).

فدل الحديث على تحريم الخط لأنه لايباح إلا إذا تيقن صاحبه أن هذا الخط موافق لخط ذلك النبي - عليه السلام - ولا طريق لنا إلى العلم بالموافقة فلا يجوز حينئذ الخط . ولم يقل النبي ﷺ إن الخط حرام لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه النبي الذي كان يخط (٢).

وأما الزجر فهو مايعرف بالعيافة ومايفعله بعض الناس من التشاؤم أو التفائل بالحيوان والطير وأسمائها وأصواتها وممرها ، وكان هذا مشهوراً عند العرب فإذا أراد شخص أن يخرج لحاجته زجر الطير فإن ذهبت يميناً تفائل ، وإن ذهبت شمالا تشاءم ورجع وتنبأ بأن هذا وذاك خير له أو شر .

وزعم ابن خلدون - رحمه الله تعالى - أن الزجر هو مايحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طائر أو حيوان ، والفكر فيه بعد مغيبه ، وهي قوة نفسية تبعث على الحرص والفكر فيما زجر فيه من مرئي أومسموع ، وتكون قوته المُخَيِّلَةُ قوية في البحث ، مستعيناً بما رآه أو سمعه ، فيؤدي ذلك إلى ادراك ما . . . الخ (٣).

فهذا ليس على إطلاقه بل إن مايتكلّمون به من الغيب فهو ادعاء مبني على التكهن والرجم بالغيب ، وقد يكون لهم من شياطين الجن من يوحي إليهم بذلك .

قرآءة الكف والفنجان ونحوهما :

أما قرآءة الكف فهي تعتمد على الخطوط الموجودة في كل كف إنسان يدعي المشعوذ أنه يعرف مستقبل السائل وما سيحدث له من خير أو شر من خلال قراءته لخطوط كفه وتحليلها تحليلات يموه بها على عقول سخفاء الناس.

ومثله قرآءة الفنجان ، حيث يأتي المشعوذ أو المشعوذة فيأخذ فنجان

١- رواه مسلم (ح ٥٣٧) وأبو داود (ح ٣٧٥٧) .

٢- انظر الخطابي مع مختر المنذري ١/٥٣٥ ، ٣٧٤) والنووي في شرح مسلم (٥/٢٤) ومقدمة ابن خلدون (١/١٩٦) .

٣- انظر مقدمة ابن خلدون (١/١٨٧).

القهوة من السائل بعد أن يشربه ويكفأ على حافته بعد أن يديره عدة مرات ، ثم يرفع الفنجان برفق وينطلق في معرفة مستقبل ذلك الشخص السائل إلى ما ترسمه خطوط القهوة على جدران وقاع الفنجان .

ومثلها قراءة قلوب الحيوان وأكبادها وما يرتسم عليها من الدم ، ومثلها أحشاء الماعز وغيرها من الطرق التي كانت منتشرة بين العرب وغيرهم قديماً وجاءتنا اليوم بأسماء جديدة حتى تنطلي على كل أهل عصر ؛ وتأتي لهم بما يناسبهم وينطلي عليهم .

وقد تنوعت طرق التنبؤ بالغيب في العصر الحديث حتى أنها لاتكاد تحصى من كثرتها بل وصل بهم الأمر إلى استخدام آلآت من صنع الإنسان يدعون معرفة الغيب بواسطتها ، فقد نشرت صحيفة [الأخبار] خبراً جاء فيه : انتشرت في الأسواق لعبة تشبه تحضير الأرواح ، اللعبة تتحرك بقوة خفية ، بعد أن يضع الشخص سؤالا مركزاً تبدأ اللعبة بالتحرك على كرتون أملس عليه أحرف وأرقام لاتينية ، بعد جمع الأحرف التي تقف عليها اللعبة يمكن تجميع الإجابة ، وقد أدت هذه اللعبة إلى انصراف كثير من الطلبة عن المذاكرة . ! ! (١).

وكل هذه الأمور مبنية على التكهن والرجم بالغيب ، ولم ينتشر مثل هذا بين المسلمين إلا بسبب ضعف إيمانهم بالله ـ عز وجل وبالقدر خيره وشره ، وجهلهم بدينهم . وهذه الأمور واضحة البطلان لكل ذي لب . فلا تجد عاقلا يصدق بأن فنجان القهوة أوأحشاء الماعز وأكباد الحيوان وعظامها والنجوم والحصى والرمل ومايخترعه الإنسان من جمادات لاعقل لها ، تعطي صورة عن المستقبل . ومن اعتقد ذلك فلا شك في كفره لأن هذه الأمور من الغيب الذي لايعلمه إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

قال الله تعالى : ﴿ و لله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده

١- صحيفة الأخبار في عددها الصادر في يوم ٢٩ مارس عام ١٩٨٤م ، نقلا عن كتاب قرآءة النجوم والخط والطالع بين الحقيقة والخيال (ص ٤١) .

علم الغيب

وتوكل عليه ومابك بغافل عما يعملون . ﴾ (١).

وما هذه الوسائل إلا حبائل شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ليصطادوا بها أموال الناس .

١ـ هود (١٢٣).

علم الغيب

حكم المدعين للغيب :

قد ذكرت فيما سبق (١) أن الغيب من خصائص الله تعالى لايعلمه أحد سواه .

وقد أجمع العلماء على أن مدعي الغيب كافر خارج من الملة ، لأن علم الغيب من صفات الله التي إختص بها فمن إدعى علم الغيب فقد نازعه في صفة من صفات ربوبيته .

وقد ذكرت فيما سبق أن الغيب لله وحده لاشريك له وذكرت الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وسأشير هنا إلى بعض الأدلة :

قال الله تعالى : ﴿ قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله . ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلا هو . . . ﴾الآية (٣).

فالغيب من خصائص الله لايعلمه ملك مقرب ولانبي مرسل .

قال تعالى عن الملائكه : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكه فقال أنبوئني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ۞ قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم . ﴾ (٤).

وأخبر أن الرسل لايعلمون من الغيب إلا ماخصهم الله به .

قال الله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من إرتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً . . ﴾ (٥).

وكذلك الجن الذين هم مصدر التلقي عند الكهان لايعلمون من الغيب إلا ما إسترقوه من السمع .

قال تعالى : ﴿ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابه الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب

١- انظر إلى الباب الثاني
٢- سورة النمل ٦٥.
٣- الأنعام ٥٩ .
٤- البقرة ٣٢ .
٥- الجن ٢٧ .

المهين . ﴾ (١).

فقد قبض الله روح سليمان ـ عليه السلام ـ وظل واقفا متكأ على عصاه والجن يقومون بالأعمال الشاقه ظانين أنه لايزال حياً ، فلما أكلت الأرضة عصاه وسقط تبينت الجن موته ، وظهر للناس أن الجن لايعلمون الغيب .

فتبين من هذا أنه لاأحد يعلم الغيب إلا الله ، فمن نازعه إياه وادعى معرفة الغيب ، فقد نسب إلى نفسه صفة من صفات الله ـ سبحانه وتعالى ـ وادعى لنفسه من العلم ماإختص به الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (قال علمائنا : أضاف ـ سبحانه وتعالى ـ علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده ، فمن قال إنه ينزل الغيث غداً وجزم فهو كافر ، أخبر عنه بأماره إدعاهاأم لا . وكذلك من قال إنه يعلم مافي الرحم فهو كافر . . ومن إدعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر ، أوأخبر عن الكوائن المجملة أو المفصله في أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة في كفره أيضاً . . .) (٢).

حكم الكهانه وما يتعلق بها :

لقد ذم الشرع الكهان وسماهم بالجبت ، والطاغوت وحرم الكهانه وعظم جرم من يأتي إلى الكهان وقد دل على ذلك الكتاب والسنة :

أولا : من الكتاب مايلي :

قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوابما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً ﴾ (٣) .

فهذه الآية نزلت فيمن تحاكم إلى كاهن جهينة ولم يرض بالتحاكم إلى

١ـ سبأ ١٤ .
٢ـ الجامع لأحكام القرآن ٢/٧.
٣ـ النساء (٦٠) .

رسول الله ﷺ (١).

ويدخل في الكهان كما قلت سابقاً العرافون ، والمنجمون الذين يعبدون الكواكب أوالذين يعتقدون أن لها تأثيراً في الحوادث ، وكذلك الذين يضربون على الحصى أوالرمل وغيرهم من الذين يدعون أنهم يعلمون المغيبات. فكل هؤلاء يعتبرون من أدعياء الغيب ، ومن ادعى معرفة الغيب فهو كافر .

قال ابن عابدين ـ رحمه الله تعالى ـ : (دعوى علم الغيب معارضة لنص القرآن فيكفر بها إلا إذا أسند إلى ذلك صريحاً أو دلالة إلى سبب من الله تعالى كوحي . . أو أسنده إلى أمارة عادية بجعل الله تعالى .) (٢).

وقال أيضاً : (الكاهن من يدعي معرفة الغيب بأسباب وهي مختلفة فلذا انقسم الى أنواع متعددة كالعراف والرمال والمنجم . . والكل مذموم شرعاً محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر . وفي البزارية يكفر بادعاء علم الغيب وبإتيان الكاهن وتصديقه .

وفي التتارخانية يكفر بقوله أنا أعلم المسروقات أو أنا أخبر عن إخبار الجن إياي .) (٣).

وقد حكم الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه على الكهان بالكفر في آيات كثيرة منها مايأتي .

قال تعالى ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم . . ﴾ (٤).

فالكاهن ولي للشيطان لأن الشيطان لايوحى إليه إلا بعد أن يتخذه ولياً من دون الله . ثم إن الشيطان لايتولى إلا الكفَّار كما قال تعالى : ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونم من النور إلى الظلمات . ﴾ (٥).

١- أنظر الجامع لإحكام القرآن ٢٦٣/٥.
٢- حاشية ابن عابدين (٢٤٣/٣) .
٣- حاشية ابن عابدين (٣٦٣/٤).
٤- الأنعام (١٢١) .
٥- البقرة (٢٥٧) .

فالشياطين يخرجون أولياءهم من نور الهدى إلى ظلمات الكفر والضلالة ، وقد حكم الله تعالى على أولياء الشيطان بالخسران ودخول النيران. قال الله تعالى : ﴿ ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ❁ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ❁ أولئك مأواهم جهنم ولايجدون عنها محيصاً ﴾ (١) فحكم ـ سبحانه وتعالى ـ على أتباع الشيطان بالكفر والضلال (٢).

هذا فضلا عن الآيات التى تقدم ذكرها والتي تدل على أن الغيب من خصائص الله سبحانه وتعالى وأنه صفة من صفاته وأن من نازعه إياها فقد كفر .

ثـانيـــاً : الأدلـة مـن الـسنـــــة :

أما الأدلة من السنة في كثيرة أيضاً منها مايلي :

مارواه مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ عنه أنه قال : ((من أتـى عرّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة .)) (٣).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : ((من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً ، فقد كفر بما أنزل على محمد .)) (٤).

وعن أبي هريرة والحسن ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال : (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بمايقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .)(٥).

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ له شاهد عند البزار عن جابر بن عبد

١ـ النساء (١١٩ ـ ١٢١) .

٢ـ انظر معارج القبول (٥٣٤/١).

٣ـ رواه مسلم (ح ٢٢٣٠) ، وأحمد ٦٨/٤ ، ٣٨٠/٥ بزيادة فصدقه .

٤ـ رواه أبو داود وسكت عنه (ح٣٩٠٥) والترمذي (ح١٣٥) وقال : لانعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم بن الاثرم عن ابي تيمية الهُجَيمِيّ عن أبي هريرة ، ورواه أيضاً ابن ماجة (ح٦٣٩) وأحمد ٤٠٨/٢ ، ٤٧٦ ، وقال أحمد شاكر له متابعات جيدة تؤيد أنه حديث صحيح انظر سنن الترمذي ٢٤٤/١ .

٥ـ رواه الإمام أحمد (٤٢٩/٢) ، والبيهقي ١٣٥/٨ ، والحاكم وصححه ٨/١ ، وقال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب : هذا اسناد صحيح على شرط البخاري . . قال العراقي في أماليه حديث صحيح ، وقال الذهبي اسناده قوي . انظر تيسير العزيز الحميد ٤٠٩ .

الله وعمران بن حصين بسندين جيدين ولفظهما : ((من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد .))(١).

وعن عمران بن حصين - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : (ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له . . ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .) (٢).

فدلت هذه الأحاديث على كفر من أتى الكهان وصدقهم بما قالوا واعتقد أنهم يعلمون الغيب . وإذا كان هذا حكم من أتى إليهم فكيف بهم ؟ فإنهم يدخلون في الكفر من باب أولى ، وقد جاء الحكم عليهم صريحاً في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ((لايدخل الجنة صاحب خمس مدمن خمر ولامؤمن بسحر ولا قاطع رحم ولاكاهن ومنَّان .)) (٣).

وقد سئل النبي ﷺ عن الكهان فقال : ((ليسوا بشيء)) . فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : سأل أناس رسول ﷺ عن الكهان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ليسوا بشيء . قالوا يارسول الله : فإنهم يحدثوننا أحياناً بالشيء يكون حقاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة)) (٤).

١- الفتح ٢١٧/١٠ . وانظر كشف الأستار (ح ٣٠٤٤ و ٣٠٤٥) وقال البزار بعد سياقه لحديث جابر لا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه . وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن الكبرى ١٣٥/٨ . وقال المنذري بعد سياقه لحديث جابر : رواه البزار بسند جيد قوي . وقال الهيثمي في المجمع : رجاله رجال الصحيح خلا عقبة بن سنان وهو ضعيف . ١٢٠/٥ .

٢- رواه البزار انظر كشف الأستار (ح٣٠٤٤) وقال قد روي بعضه من غير وجه ، فأما بتمامه ولفظه فلا نعلمه إلا عن عمران بهذا الطريق . وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنده جيد ورواه الطبراني بإسناد حسن عن ابن عباس دون قوله ومن أتى الخ . انظر تيسير العزيز الحميد ٤٠٤ . وقال المنذري اسناد الطبراني حسن وإسناد البزار جيد ٣٣/٤ . وقال ابن حجر الهيثمي رجاله رجال الصحيح خلا اسحاق بن الربيع وهو ثقة .انظر مجمع الزوائد ١٢٠/٥ .

٣- رواه أحمد (١٤/٣ - ٨٣) . وقال الألباني رجاله رجال البخاري غير عطية العوفي وهو ضعيف .) لكن الاحاديث المتقدمة والتي سيأتي ذكرها تشهد له .

٤- تقدم تخريجه انظر (ص ٢٤٧) .

وورد النهي عن اتيان الكهان وتحريم سؤالهم وتصديقهم ، فقد روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((من أتى عَرَّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة .)) (١).

(وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن مسعود لكن لم يصرح برفعه ، ومثله لايقال بالرأي .)(٢) ولفظه : ((من أتى عرافاً أوساحراً أوكاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .)) (٣).

وعن معاويه بن الحكم قال قلت يارسول الله إني حديث عهد بجاهليه وقد جاء الله بالإسلام وإن منا رجالا يأتون الكهان قال : ((فلا تأتيهم .))(٤).

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ : (قال العلماء إنما نهى عن إتيان الكهان لأنهم يتكلمون في المغيبات وقد يصادف بعضها الإصابة فيخاف الفتنة على الإنسان بسبب ذلك ، لأنهم يلبسون على الناس كثيراً من أمر الشرائع ، وقد تظافرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن إتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون .) (٥).

وروى الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : (من أتى كاهناً أوعرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .)(٦).

١ـ رواه مسلم (ح ٢٢٣٠) وقد تقدم انظر ص٢٦٣ .

٢ـ فتح الباري (٢١٧/١٠)

٣ـ مسند أبو يعلى (ح٥٤٠٨) . وقال ابن حجر سنده جيد . الفتح (١١٧/١٠) . وقال ابن حجر الهيثمي رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، خلا هبيرة بن مريم وهو ثقة . مجمع الزوائد (١١٨/٥) .

٤ـ رواه مسلم (٢٢٣/٥) وقد تقدم تخريجه انظر (ص ٢٤٨) .

٥ـ شرح النووي على مسلم (٢٢/٥).

٦ـ رواه أحمد والحاكم واللفظ لأحمد ، انظر المسند المسند (٤٢٩/٢) وانظر المستدرك (٧/١ ـ ٨) وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وقال المناوي : . . قال الحافظ العراقي في أماليه حديث صحيح . . وقال الذهبي اسناده قوي . انظر فيض القدير (٢٣/٦) (ح٨٨٨٥) .

وصححه ابن كثير في التفسير ١٤٣/١ . وصححه الألباني أيضاً انظر المشكاة (ح٤٥٩٩) .

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : ((من أتى عرافاً لم تقبل له صلاة أربعين ليلة .)) (١).

فمن أتى الكهان وسألهم عن شيء من المغيبات وصدقهم بما يقولون فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ . أما من أتاهم وسألهم ولكن لم يعتقد أنهم صادقون فيما زعموه من معرفة الغيب فهذا لاتقبل له صلاة أربعين ليلة كما دلت علية الأحاديث . السابقة ويدل على ذلك صريحاً حديث واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من أتى كاهناً فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فإن صدقه بما قال كفر .)) (٢) قال المنذري ضعيف (٣).

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : ((من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل على محمد ﷺ ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل له صلاة أربعين ليلة .)) (٤).

(فلو ثبت هذا الحديث لكان نصاً في المسألة ؛ لكن ماتقدم من الأحاديث يشهد له ، فإن الحديث الذي فيه الوعيد بعدم قبول الصلاة أربعين ليلة ليس فيه ذكر تصديقه ، والأحاديث التي فيها اطلاق الكفر مقيدة بتصدقه) (٥) والله تعالى أعلم .

وفصل ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في حكم سؤال الكهان والعرافين ومن نحا نحوهم فقال : (إن كان السائل يسأل الكهان على وجه التصديق لهم

١- رواه الطبراني في الأوسط وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات مجمع الزوائد ١٢١/٥ . وتقدم مايشهد له عند مسلم انظر ص ٢٦٣ .

٢- رواه الطبراني في الكبير ٦٩/٢١ (٦٩) . والهيثمي في مجمع الزوائد وقال : فيه سليمان بن أحمد الواسطي وهو متروك (١٢١/٥) .

٣- ذكره سليمان بن عبد الوهاب في تيسير العزيز الحميد ص ٤٠٩ ، وانظر الترغيب ٣٥/٤ حيث قال ورُوِيَ بصيغة التضعيف .

٤- رواه البيهقي لي السنن الكبرى ١٣٥/٨ ، ١٣٦ . وقال الحافظ في الفتح رواه الطبراني بسند لين . وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وفيه رشدين بن سعد وفيه توثيق أحاديث الرقاق ، وبقية رجاله ثقات ، مجمع الزوائد ١٢١/٥ .

٥- تيسير العزيز الحميد (٤٠٩) .

في كل ما يخبرون والتعظيم للمسؤل فهو حرام ؛ كما ثبت ذلك في حديث معاوية بن الحكم (١) وحديث من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً .) (٢).

وأما إن كان يسأل المسؤول ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره وعنده مايميز به صدقه من كذبه فهذا جائز ؛ كما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ سأل ابن صياد فقال : (مايأتيك ؟ فقال : يأتيني صادق وكاذب قال ماترى ؟ قال : أرى عرشاً على الماء قال : فإني قد خبأت لك خبيئاً ، قال الدخ الدخ . قال: إخسأ فلن تعدواقدرك فإنما أنت من أخوان الكهان) (٣).

وكذلك إذا كان يسمع مايقولونه ويخبرون به عن الجن ، كما يسمع المسلمون مايقوله الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم فيعتبروا به ، وكما يسمع خبر الفاسق ويَتَبَيَّن وَيَتَثَبَّت فلا يجزم بصدقه ولابكذبه إلا ببينة كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإٍ فتبينوا ﴾ . وكما يجوز للمسلمين سماع مايقوله أهل الكتاب عن كتبهم فلا يصدقونهم ولايكذبونهم .) (٤) فهذا كله جائز .

وقال المناوي : (إن سأله معتقداً صدقه كفر ، ولو فعله استهزاءً معتقداً كذبه فلا يلحقه الوعيد . . فمصدق الكاهن إن اعتقد أنه يعلم الغيب كفر ، وإن اعتقد أن الجن تلقي إليه ما سمعته من الملائكة فصدقه من هذه الجهة لايكفر . (٥).

١- تقدم ذكره انظر ص ٢٤٧ .

٢- تقدم تخريجه انظر (ص ٢٦٣).

٣- رواه البخاري (١٣٥٥) . ومسلم (ح ٢٩٣٠) ، وأبوداود (ح ٤٣٢٩) ، والترمذي (ح ٢٢٤٦) ، وأحمد : (٣٨٠/١ ، ٤٨/٢، ٣٦٨/٣) ، وقوله : (قال أرى عرشاً على الماء) ليست عند أحمد في الموضع الثالث فقط .

٤- انظر مجموع الفتاوى (٦٢/١٩، ٦٣) .

٥- فيض القدير ٢٣/٦ .

وقد سئل الشيخ محمد بن ابرهيم (١) - رحمه الله تعالى - عن حديث (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) هل هذا هو الكفر الناقل من الملة ؟ .

فأجاب بقوله : اختلف أهل العلم فيه فقيل : إنه لايخرجه من الإسلام بل هو من العصاة من أهل الإسلام المتغلظة معاصيهم وإلا لوكان كافراً لما قيد بأربعين .

وقيل : إن هذا من أحاديث الوعيد فَيُمَرُّ كما جاء ولا يتعرض له بتأويل . وهذا هو قول أحمد وعامة السلف ، لأن ذلك أبلغ في الردع عن الجرائم .

فالأول : ليس هو من التأويل وهو تأدب في المعنى مع اللفظ .

والثاني : تأدب مع اللفظ ، وكل مصيب .

ولكن الأولى أن يقال لمن يظن أنه يرى مذهب الخوارج : لاينقل فإنه بيان لحكمه ، فإن الخوارج زعموا أنه وأشباهه دليل على تكفير العصاة من أمة محمد ﷺ . وإن كان الحال مأمون من أن ينزع به أحد إلى تكفير العصاة قيل كما في النص ، أطلق كما أطلق النص .) (٢).

مسألة : هل يقتل الكاهن والعراف ؟ .

للأمام أحمد - رحمه الله تعالى - في ذلك روايتان :

١- هو الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب ، ولد رحمه الله في الرياض محرم ١٣١١ هـ مفتي الديار السعودية في عصره نشأ في الرياض في بيت علم وفضل ، وتلقى العلم عن أكابر علماء نجد . تولى الرئاسة العلمية من التدريس والإفتاء = = والقضاء بعد وفاة عمه عبد الله بن عبد اللطيف . كان له جهود كبيرة في المساهمة في القضاء والتعليم والافتاء وغيرها . توفي - رحمه الله تعالى - في شهر رمضان ١٣٨٩ هـ وشيعت جنازته في اليوم الرابع والعشرين من بعد صلاة العصر وكان على رأس المشيعين الملك فيصل بن عبدالعزيز ال سعود ودفن في مقبرة العود . وبفقده فقدت البلاد السعودية شخصية كبيرة في علمها ومركزها ومقامها وفضلها .انظر علماء نجد خلال ستة قرون ٨٨ وما بعدها .

٢- فتاوى الشيخ ابن إبراهيم (١٦٤/١).

الأولى : أنه كالساحر يكفر بكهانته وعرافته ويقتل بها .
الثانية : لايقتل ولكن يعزر ويحبس لأن حكمه أخف من حكم الساحر .
اختار هذه الرواية ابن عقيل ورجحها ابن قدامة في المغني وهي

الصحيح من المذهب (١).
والتحقيق أن في المسألة تفصيلا :
فإن كان الكاهن ممن تنزل عليهم الشياطين ويدعون بذلك معرفة الغيب ويعتقدون إباحة ذلك فهم كفار مرتدون تنطبق عليهم أحكام الردة ، فيستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا .
قال تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . ﴾ (٢).
وقال تعالى : ﴿ ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد ضل ضلالا مبيناً ﴾(٣).
وقد ذكرت الأدلة في الدالة على كفره فيما سبق .
وإن كان من الذين يزجرون الطير ويضربون بالحصى ويقرأون الكف والفنجان ونحوهم ؛ ممن ذكرتهم آنفاً من الذين يُدَجِلُونَ على الناس ويقولون بالخرص والتخمين ؛ زاعمين أن لديهم القدرة على معرفة الغيب بذلك ، ولم يعتقدوا أنهم يعرفون الأمور الغيبية حقيقة ، فهم ضالون يؤدبون ويعزرون لإن فعلهم هذا معصية : (وللإمام قتل من فعل ذلك لسعيه بالفساد في الأرض.)(٤).
أما إن كانوا يعتقدون أن فعلهم ذلك مباح وأنهم يعلمون من خلاله الأمور الغيبية فيحكم عليهم بالكفر ؛ ويستتاب من فعل ذلك فإن تاب وإلا قتل (٥).

١- انظر المغني (١٥٧/٨) ، الفروع (١٧٧/٦) ، كشاف القناع (١٨٥/٦) .
٢- الشعراء (٢٢١ - ٢٢٣) .
٣- النساء (١١٩).
٤- الفروع لابن مفلح (١٧٨/٦) .
٥- انظر شرح منتهى الإرادات (٣٩٥/٣).

قال الشيخ محمد بن إبراهيم : (المنجم والضارب بالحصى والودع لايُكَفَّر الواحد منهما مالم يعتقد إباحته ، فإن اعتقد اباحته فهو مرتد ؛ لأن برهان ذلك ظاهر بالشرع ، لأنه معلق على الإستخذاء للشياطين واستمتاع الشياطين بهم . وكذلك مالم يدع أنه يعلم الغيب ؛ أو يدع التصرف في الوجود في بعض الأشياء ، وكثير منهم بل أكثرهم لاينفكون عن إدعاء المغيبات ، فيعزر أصحاب هذه الأمور تعزيراً يردعهم وأمثالهم ثم يكف عنهم . والتعزير يرجع إلى الأمام الناظر الشرعي ، فإن اقتضى القتل لاسيما من كان له شهرة في ذلك فإنه يقتل .) (١).

وقال سماحة الشيخ عبد الغزيز بن باز في بيان حكمهم ما نصه :

(الكاهن من يزعم أنه يعلم بعض المغيبات وأكثر مايكون ذلك ممن ينظرون في النجوم لمعرفة الحوادث ، أو يستخدمون من يسترقون السمع من شياطين الجن كما ورد في الحديث الذي روته عائشة - رضي الله عنها - قالت : سأل رسول الله ﷺ ناس عن الكهان فقال رسول الله ﷺ : (تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة .) (٢).

ومثل هؤلاء من يخط في الرمل أو ينظر في الفنجان أو في الكف ونحو ذلك وكذا من يفتح الكتاب ، زعماً منهم أنهم يعرفون بذلك علم الغيب ، وهم كفار بهذا الإعتقاد لأنهم بهذا الزعم يدعون مشاركة الله في صفة من صفاته الخاصة وهي علم الغيب ، ولتكذيبهم بقوله تعالى : ﴿ قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله . ﴾ (٣) وقوله : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمه إلا هو . ﴾ (٤) .

وقوله لنبيه ﷺ : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا

١- فتاوى ورسائل الشيخ ابن إبراهيم (١٦٤/١ - ١٦٥) .

٢- تقدم تخريجه انظر (ص ٢٤٨) .

٣- النمل (٦٥).

٤- الأنعام (٥٩) .

علم الغيب

أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي . ﴾ الآية (١).

ومن أتاهم فصدقهم بما يقولون من علم الغيب فهو كافر .) .

ثم ساق الأدلة من السنة على ذلك فاستدل بحديثي أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وحديث مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ ، وحديث عمران بن حصين ، وقد تقدمت كلها قريباً (٢).

ثم قال : (وبما ذكرناه من الأحاديث يتبين لطالب الحق أن علم النجوم ومايسمى بالطالع وقرآءة الكف وقرآءة الفنجان ومعرفة الخط وما أشبه ذلك مما يدعيه الكهنة والعرافون والسحرة كلها من علوم الجاهلية التي حرمها الله ورسوله ؛ ومن أعمالهم التي جاء الإسلام بإبطالها والتحذير من فعلها وإتيان من يتعاطاها وسؤاله عن شيء منها أو تصديقه فيما يخبر به من ذلك ؛ لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به .) (٣).

حكم التنجيم :

سبق أن ذكرت أن علم النجوم ينقسم إلى ثلاثة أقسام (٤) وسأذكر هنا حكم كل قسم منها على حدة :

فالقسم الأول : عملي وهو الذي يدعي فيه المنجمون أن للكواكب تأثيراً على الأرض . وأن الكواكب فاعلة مختارة . فمن يعتقد هذا فهو كافر ؛ لأنه قد جعل مع الله إلهاً آخر يخلق ويدبر في الكون فهذا لايشك مسلم في كفره ، والكفر في معتقده واضح بين (٥).

قال ابن رشد ـ رحمه الله تعالى ـ (إذا كان المنجم يزعم أن النجوم

١ـ الأنعام (٥٠) .

٢ـ انظر (ص ٢٦٤ ـ ٢٦٦) .

٣ـ مجلة البحوث الإسلامية العدد (٢٠ ص ٩ ـ ١١ لسنة ١٤٠٧ ـ ١٤٠٨ هـ) .

٤ـ انظر (ص ٢٥٣).

٥ـ انظر تيسير العزيز الحميد (ص٣٨٧) ، المقدمات والممهدات (٣/٤١٨).

واختلافها في الطلوع والغروب هي الفاعلة لذلك كله وكان مستتراً (١) بذلك فحضرته البينة قتل بلا استتابة ؛ لأنه كافر زنديق ، وإن كان معلناً غير مستتر به يظهره ويحاج عليه استتيب فإن تاب وإلا قتل كالمرتد سواءً .) (٢).

القسم الثاني : العلمي وهو الإستدلال بحركات النجوم على الحوادث التى تقع في الأرض ومعرفة الغيوب من خلال ذلك فهذا أيضاً كفر صريح (٣) لأن من زعم أنه يعرف ماسيقع في مستقبل الزمان من الحوادث وهبوب الرياح ومجيء المطر وتغير الأسعار ، وما سيحل بالبلدان أو الشعوب أو القبائل أو الأفراد من النعم أو النقم وغير ذلك وادعى أنه يعرف ذلك عن طريق النظر في النجوم والإستدلال بها فهو كافر واضح الكفر ، لأنه لايعلم الغيب إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ فمن نازع الله في صفة من صفاته وزعم أنه يعرف الغيب فهو كافر . (٤).

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ۞ إلا من ارتضى من رسول . . . ﴾ الآية (٥) قال: (قال العلماء : وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر الطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ماشاء من غيبه ، بل هو كافر بالله تعالى مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه .

قال بعض العلماء : وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان على اختلاف أحوالهم وتباين رتبهم ؛ فيهم الملك والصغير والسوقة ، والعالم والجاهل ، والغني والفقير ، والكبير والصغير ، مع اختلاف طوالعهم وتباين مواليدهم ، ودرجات نجومهم فعمهم الغرق في ساعة واحدة ؟ . فإن قال

١- لان المستتر يكون ـ غالباً ـ يعلم أن عمله باطل مخالف للشرع وإلا لاظهره للناس وأعلنه إن كان لايرى به بأس والله تعالى أعلم .

٢- المقدمات والممهدات (٤١٨/٣).

٣- انظر المقدمات والممهدات (٣١٨/٣)

٤- انظر معالم السنن مع مختصر المنذري (٣٧١/٥).

٥- الجن (٢٥ ـ ٢٦).

المنجم - قبحه الله - إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه فيكون على مقتضى ذلك أن هذا الطالع أبطل أحكام الطوالع الأخرى على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم ، وما يقتضيه طالعه المخصوص به ، فلا فائدة أبداً من عمل المواليد ولادلالة فيه على شقي ولا سعيد ، ولم يبق إلا معاندة القرآن العظيم، وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم.

ولقد أحسن الشاعر حيث قال :

حكم المنجم أن طالع مولدي يقضي على بميتة الغرق
قل للمنجم صحبة الطوفان هل ولد الجميع بكوكب الغرق

انتهى كلامه رحمه الله تعالى (١).

وقال ابن رشد - رحمه الله تعالى - (وأما شيء من المغيبات فلا يمكن أن يدركها أحد من ناحية النظر في النجوم وإن ادعى المنجم أنه يعلم بتنجيمة متى يقدم فلان أو متى ينزل المطر أوما في الأرحام أوما يستتر الناس به من الأخبار ، وما يحدث من الفتن والأهوال ، وما أشبه ذلك من المغيبات ، فهذا كفر يجب به القتل واختلف في استتابته فقيل لاتجب لقوله تعالى : ﴿ ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً . ﴾ (٢).

ولقول النبي ﷺ : ((قال الله عز وجل : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب .))(٣).

وقيل إنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل . . .) (٤).

ولا يصح أن يجتمع في قلب مسلم تصديق المنجم مع قوله تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله . ﴾ .

١- الجامع لاحكام القرآن (١٩/٢٨).
٢- الفرقان (٥٠) .
٣- متفق عليه ، البخاري (ح ١٠٣٨) ومسلم (ح ٧١) .
٤- المقدمات والممهدات (٣/٤١٧ - ٤١٨).

وقوله : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . . . ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث . . . ﴾ الآية . (١).

وقــــد جــــاءت الأحاديث عن النبي ﷺ والآثار عن السلف بإبطال التنجيم وذم أهله والتحذير منه . ومن هذه الأحاديث مايلي :

حديث زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - في الحديبية وقد تقدم (٢).

وحديث أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والإستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت . . .)) الحديث (٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((أخاف على أمتي خصلتين : تكذيباً بالقدر وصدقاً بالنجوم .)) .

وجاء من طريق آخر ((أخاف على أمتي بعدي تكذيباً بالقدر وصدقاً بالنجوم.))(٤).

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((من اقتبس علماً من النجوم إقتبس شعبة من السحر زاد مازاد .)) (٥).

فالمنجم كاهن والكاهن ساحر والساحر كافر (٦).

وعن ابن محجن مرفوعاً ((أخاف على أمتي ثلاثاً : حيف الأئمة وإيماناً بالنجوم وتكذيباً بالقدر .)) (٧).

١- انظر المقدمات والممهدات (٣١٨/٣) .

٢- انظر (ص ٢٧٣ - ٤٦) .

٣- رواه مسلم (ح ٩٣٤) والبخاري (ح ٣٨٥٠) عن ابن عباس موقوفاً .

٤- رواه ابو يعلى في مسنده (ح٤١٣٥) والخطيب في حكم الإشتغال بالنجوم (ص ٦/أ) مخطوط وصححه الألباني ، الصحيحة (ح ١١٢٧).

٥- أخرجه أبو داود (ح ٣٧٥٤) وابن ماجة (ح ٣٧٢٦) وأحمد (٢٢٧/١) والطبراني في الكبير (١٣٥/١١) ، وقال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : اسناده صحيح الفتاوى (١٩٣/٣٥) .

٦- انظر الدين الخالص (١٣٧/٢) ذكره عن ابن عباس - دضي الله عنه - .

٧- رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٩/٢) ، وقال الهيثمي : فيه ليث بن سليم وهو لين وبقية رجاله وثقوا . وقال الالباني ضعيف ، ولكن له شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة في نقدي =

وعن علي - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ : ((ياعلي أسبغ الوضوء وإن شق عليك ، ولا تأكل الصدقة ، ولا تنزا الحمير على الخيل ، ولا تجالس أصحاب النجوم .)) (١).

وعن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - قال أخذ رسول الله ﷺ بيدي حتى خرجنا من المدينة ، فلما خرجنا نظر إليها وقال : ((هذه جزيرة قد برأت من الشرك مالم تضلهم النجوم ، قال قلت يارسول الله وكيف تضلهم النجوم قال يقولون إذا أصابهم الغيث مطرنا بنجم كذا وكذا .)) (٢).

قال قتادة : (خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها بغير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به .) (٣).

وقد دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون . ﴾ (٤) .

وقال : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ (٥) .

وقال : ﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ۞ وحفظاً من كل شيطان مارد ﴾ (٦).

=وهي من حديث أبي محجن وأبي الدرداء وأنس . انظر السلسلة الصحيحة (١١٩/٣ ، ح ١١٢٧) .

١- رواه الإمام أحمد (٧٨/١) . وقال الهيثمي رواه عبد الله بن أحمد وفيه هارون بن مسلم صاحب الحناء لينه أبو حاتم ووثقه الحاكم وبقية رجاله ثقات . وقال أحمد شاكر الحديث ضعيف لانقطاع بين زين العابدين وعلى بن أبي طالب إذ أن زين العابدين لم يدركه فكانت الرواية عنه مرسلة انظر تحقيق أحمد شاكر للمسند ٥٨٢/٢ .

٢- رواه أبو يعلى في مسنده ٧٠/١٢ ، ٧٧ وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٣٩/٢ . الخطيب في حكم الإشتغال بالنجوم (ص ق/٦/ب) وقال الهيثمي فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وضعفه الناس وبقية رجاله ثقات . مجمع الزوائد ١١٦/٥ ، وقال في موضع آخر اسناد بن أبي يعلى حسن . (١١٤/٨) . وقال الاعظمي في المطالب العالية أخرجه أبو يعلى بإسنادين يشد كل منهما الآخر . انظر المطالب العالية ١٨٤/١ .

٣- البخاري كتاب بدء الخلق باب ٣ في النجوم انظر الفتح (٢٩٥/٦) .

٤- النحل (١٦) .

٥- الملك (٥) .

٦- الصافات (٦ - ٧) .

وأخرجه الخطيب عنه مطولا ، ولفظه :

قال : (إن الله تعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء ويهتدى بها وجعلها رجوماً للشياطين فمن تعاطى منها غير ذلك فقد أخطأ حظه وقال رأيه وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به . وإن ناساً جهلة بأمر الله تعالى قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة ؛ من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ولعمري مامن نجم إلا يولد فيه الطويل والقصير والأحمر والأبيض والحسن والذميم . قال : ماعَلِمَ هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب وقضى الله تعالى أنه لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ؛ وما يشعرون أيان يبعثون ، ولعمري لو أن أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله تعالى بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء ؛ وأسكنه الجنة فأكل منها رغداً حيث شاء ونهاه عن شجرة واحدة ؛ فما زال به البلاء حتى وقع بما نهي عنه . ولو كان أحد يعلم الغيب لعلمه الجن حين مات نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ فلبث الجن يعملون له حولا في أشد العذاب وأشد الهوان وهم لايشعرون بموته ، وما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن . . لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين . قال : قد كانت تقول قبل ذلك إنا نعلم فابتلاهم الله تعالى وجعل موت سليمان للجن والإنس عبرة .)(١) .

فتأمل رحمك الله تعالى ما أنكره الإمام مما حدث من هذه المنكرات في عصره فكيف بالعصور التي جاءت بعده ، فإنه مازال يزداد في كل عصر بعدهم إلى يومنا هذا وسيدوم في هذه الأمة ـ إلا أن يشاء الله ـ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ بقوله : ((أربع في أمتي

١- حكم الاشتغال بالنجوم (ق/٦) (مخطوط) وانظر معارج القبول (٢/٥٣٦).

من أمر الجاهلية وذكر منها الاستسقاء بالنجوم)) (١).

وقد ارتفعت الشكوى على ألسنة كثير من العلماء في قرون سلفت عَمَّ فيها ذلك الضلال ، قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى : (قال علماؤنا : وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان لاسيما بالديار المصرية فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين ، بل لقد انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاؤا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال واستخرجوا منهم الأموال ، فحصلوا من أقوالهم على السراب والآل .) (٢) ومن أديانهم على الفساد والضلال . وكل ذلك من الكبائر لقوله ﷺ : ((لم تقبل له صلاة أربعين ليلة .)) (٣) فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم . أهـ(٤).

فإذا كان هذا الإنتشار الواسع في زمن القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ فما بالك بزماننا الذي بلغ ذروته وتعددت وسائله وانجرف العامة والخاصة وراءه ، وصارت وسائل الإعلام تبثه ليل نهار وخصصت له أوقات في بعض الإذاعات يذاع فيها برامج معروفة ؛ وصارت بعض الصحف والمجلات تجعل له الصفحات الطوال ، بل لقد صدرت بعض المجلات المتخصصة بهذا المجال ، هذا فضلا عن الذين ينشرونه بين الناس من المنجمين والكهنة فهم كثير . وهذا مع قلة من ينكر ذلك ، بل منهم من ينصر هذا الإعتقاد الفاسد بنوع من التأويل الكاسد والتبرير البارد فعظمت المصيبة في الدين فإنا لله وإنا إليه راجعون .

القســـم الثـالـث :

وهوالاستدلال بالنجوم ومسيرها على الحساب ومعرفة القبلة والجهات

١ـ مسلم عن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ (ح٩٣٤) .

٢ـ السراب الذي يكون في منتصف النهار لاطئاً بالارض ملتصقاً بها كأنه ماء جار . والآل الذي يكون في الضحى كالماء بين السماء والأرض يرفع الشخوص ويزهاها .

٣ـ تقدم تخريجة انظر (ص ٢٦٦) .

٤ـ الجامع لاحكام القرآن (٣/٧) .

وأوقات الصلوات ، ومعرفة الفصول ووقت الزرع والحصاد ، والحر والقر ، ومعرفة الكسوف والخسوف ، ومعرفة أقدار الأفلاك والكواكب وصفاتها وأماكنها ومقاديرها وحركاتها ؛ وما يتبع ذلك من الأستدلال بها على حساب الأيام والشهور والسنوات . والفصول والجهات والأماكن (**فهذا في الأصل علم** صحيح لاريب فيه كمعرفة الأرض وصفتها ونحو ذلك .) (١).

ومما يدل على جواز هذا القسم مايلي :

قوله تعالى : ﴿ **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر**﴾(٢) .

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : (يقول تعالى ذكره : والله الذي جعل لكم أيها الناس النجوم أدلة في البر والبحر إذا ضللتم الطريق أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلا تستدلون بها على المحجة فتهتدون بها إلى الطريق والمحجة فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات ذلك ، كما قال جل ثناؤه ﴿ **وعلامات وبالنجم هم يهتدون** ﴾ أي من ضلال في الطريق في البر والبحر . . .) (٣).

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - بين سبحانه وتعالى كمال قدرته .

وفي النجوم منافع جمَّة ذكر في هذه الآية بعض منافعها ، وهي التي ندب الشرع إلى معرفتها . . .) (٤).

وقوله تعالى : ﴿ **وعلامات وبالنجم هم يهتدون .** ﴾ (٥).

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - بعد أن رجَّحَ شمول العلامات لكل علامة يستدل بها . قال : (وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهاراً على طرقكم في أسفاركم ونجوماً تهتدون بها ليلا في سبلكم .) (٦).

١- انظر الفتاوى (١٨١/٣٥) .
٢- الأنعام (٩٧).
٣- جامع البيان ٢٨٦/٧ .
٤- الجامع لاحكام القرآن ٤٦/٧ .
٥- النحل (١٦) .
٦- جامع البيان ٩٢/١٤.

وقوله تعالى : ﴿ وهو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾(١) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : (فبالشمس تعرف الأيام وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام .) (٢).

جعل الله الليل والنهار والشمس والقمر ليعلم الخلق عدد السنين والحساب وليستدلوا بها على الأيام والسنين .

قال تعالى : ﴿ فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم . ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا .﴾(٤).

فهذه الآيات وغيرها تدل على جواز هذا القسم وأنه لامحضور فيه إذا لم يتعدى ذلك . وفي هذه النصوص من الدلالة الصريحة على جوازه مايغني عن غيرها من الأدلة .

وقد وردت آثار تدل على جواز تعلمه فمن هذه الآثار ما يلي :

ورد عن أبي هريرة مرفوعاً بسند فيه ضعف (تعلموا من أنسابكم ماتصلون به أرحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية ماتعرفون به كتاب الله ثم انتهوا ، وتعلموا من النجوم ماتهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا .)(٥) .

١- يونس (٥) .
٢- تفسير القرآن العظيم ١٨٥/٤ .
٣- الأنعام (٩٦).
٤- الإسراء (١٢) .
٥- رواه حميد بن زنجويه وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (ح١٧٢٣)، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف

ومثل الأثر المروي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : (تعلموا من النجوم ماتهتدون به في بركم وبحركم ثم أمسكوا . . .) (١).

وقد أجازه كثير من العلماء وأجازوا تعلمه ومن ذلك مايلي :

روى ابن المنذر عن مجاهد أنه كان لايرى بأساً بأن يتعلم الرجل منازل القمر .) (٢).

قال ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ : (وكان النخعي لايرى بأساً ان يتعلم الرجل من النجوم مايهتدي به ، ورخص أحمد وإسحاق في تعلم منازل القمر ومن النجوم مايُهْتَدَى به .) (٣).

قال البغوي ـ رحمه الله تعالى ـ مبيناً جواز هذا القسم وأنه لامحظور فيه : (فأما ما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه . قال تعالى : ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر . ﴾ (٤).

وقال جل ذكره : ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون . ﴾ (٥).

فأخبر ـ سبحانه وتعالى ـ أن النجوم طرق لمعرفة الأوقات والمسالك ، ولولاها لم يهتدي النائي عن الكعبة إلى استقبالها .

روى عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : (تعلموامن النجوم ماتعرفون به القبلة والطريق ثم أمسكوا .) (٦).(٧).

وقال الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ : (فأما علم النجوم الذي يدرك عن

١ـ أخرجه بن عبد البر في جامع بيان العلم ٣٨/٢ . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٤/٣) ، والسمعاني في الأنساب (١١/١) ، وضعفه الألباني انظر ضعيف الجامع (٢٤٥٦) .

٢ـ أخرجه الخطيب في حكم الإشتغال بالنجوم ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٣٩/٣.

٣ـ فضل علم السلف على علم الخلف (٥٨ ـ ٥٩) . وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٤٩/٢) .

٤ـ الأنعام (٩٦) .

٥ـ النحل (١٦) .

٦ـ تقدم تخريجه انظر (ص ٢٧٩) .

٧ـ شرح السنة للبغوي (١٨٣/١٢) .

طريق المشاهدة والحس كالذي يعرف به الزوال ويعلم به جهة القبلة ؛ فإنه غير داخل فيما نهى عنه .

وذلك : أن معرفة رصد الظل ليس شيئاً بأكثر من أن الظل مادام متناقصاً ؛ فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي . وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي .

وهذا علم صحيح يصح دركه من جهة المشاهدة ؛ إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروه بما أتخذوا له من الآلة التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصده .

وأما مايستدل به من جهة النجوم على جهة القبلة : فإنما هي كواكب أرصدها أهل الخبرة بها من الأئمة الذين لانشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها ، وصدقهم فيما أخبروا عنها ؛ مثل أن يشاهدوها بحضرة الكعبة ، ويشاهدوها في حالة الغيبة عنها ، فكان إدراكهم : الدلاله عنها بالمعاينة . وإدراكنا لذلك بقبولنا لخبرهم إذا كانوا غير متهمين في دينهم ؛ ولا مقصرين في معرفتهم .) (١).

وقال ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ : (والمأذون في تعلمه على التيسير لاعلم التأثير فإنه محرم باطل والعمل به كالتقرب إلى النجوم وتقريب القرابين لها فهذا كفر .

أما علم التسيير فإذا تعلم منه مايحتاج إليه للإهتداء إلى معرفة القبله والطرق كان جائزاً عند الجمهور ، وما زاد عليه فلا حاجه إليه ، وهو يشغل عمّا هو أهم منه . وربما أدى التدقيق فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين في أمصارهم ، كما وقع ذلك كثيراً من أهل هذا العلم قديماً وحديثاً ، وذلك يفضي إلى اعتقاد خطأ الصحابه والتابعين في صلاتهم في كثير من الأمصار

١- معالم السنن مع مختصر سنن أبي داود (٣٧٢/٥) .

وهو باطل .)(١).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ وهو الصحيح إن شاء الله ويدل على ذلك الآيات والأحاديث المتقدمه (٢).

الكسوف والخسوف :

وأما علم الكسوف والخسوف فأمر ممكن ؛ لأن لهما أوقات مقدرة ، فالشمس لاتنكسف إلا في وقت الإستسرار والقمر لاينخسف إلا في وقت الإبدار ، ووقت إبداره هي الليالي البيض ، ووقت إستسراره عند غياب القمر ليلة تسع وعشرين وثلاثين ، والشمس لاتكسف إلا وقت إستسرار القمر ، وللشمس والقمر ليالي معتاده من عرفها عرف الكسوف والخسوف . كما أن من عَلِمَ كم مضى من الشهر يَعْلَمُ أن الهلال يطلع في الليلة الفلانيه أو التي قبلها . لكن العلم بالعادة في الهلال علم عام يشترك فيه جميع الناس . أما العلم بالعادة في الكسوف والخسوف فإنما يعرفه من يعرف حساب جزئياتها ، وليس خبر الحاسب بذلك من باب علم الغيب ؛ بل هو من طريق معرفة الحساب فقط لا غير (٣).

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ عن حكم تصديق من يخبر بالكسوف والخسوف فقال : (هو من قبل خبر بني اسرائيل لايجوز تصديقه إلا أن يعلم صدقه ، ولايكذب إلا أن يعلم كذبه ، كما قال ﷺ : (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، فإما أن يحدثونكم بحق فتكذبوهم وإما أن يحدثونكم بباطل فتصدقوهم .) (٤).

١- فضل علم السلف على علم الخلف ٦٤-٦٦ .

٢- تيسير العزيز الحميد ٣٩٤ .

٣- انظر الفتاوى لابن تيمية (٢٤/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) .

٤- رواه أحمد عن أبي نملة الأنصاري ولفظه : ((إذا حدثكم أهل الكتاب فلاتصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وملائكته ورسله فإن كان حقاً لم تكذبوهم وإن كان باطلا لم تصدقوهم)) . (١٣٦/٤) ولفظ أبي داود قريب منه (ح ٣٤٩٧) . وأصله في البخاري عن أبي هريرة (ح ٧٥٤٢) .

لكن إذا تواطأ خبر أهل الحساب على ذلك فلا يكادون يخطئون ومع هذا فلا يترتب على خبرهم علم شرعي ، فإن صلاة الكسوف والخسوف لاتصلى إلا إذا شاهدنا ذلك . . .) (١).

وسئل الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ عن الذين يعلنون بكسوف الشمس وخسوف القمر فقال : (هم مخطئون في إعلانهم وجزمهم بذلك في الوقت الذي عينوه ، وإن كان ذلك يدرك بالحساب . لأن له أسباباً معلومة عند علماء الهيئة ؛ إلا أن الحَسَّاب يخطيء ويصيب ، وفرق بين من يُعْلِن ذلك ويجزم بهوبيين من يخبر عن أهل الحساب أنهم يقولون ذلك ، ولا سيما إذا لم يُخْبَر به العوام وإنما يخبر به الخواص . وقد أنكر المشايخ من أحفاد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب على من جزم بالكسوف أو الخسوف وتوضأ وركب دابته إلى المسجد لجزمه بذلك وإفشاءه للكسوف والخسوف بين الناس .)(٢).

وليس خبر المنجم عن الكسوف والخسوف كخبره عن الحوادث الأخرى ، كما يظن بعض العامة ، فإذا رأى المنجم قد أصاب في خبره عن الكسوف المستقبل ظن أن خبره عن الحوادث الأخرى من قبيل هذا النوع ، فإن هذا جهل . لأن خبره الأول بمنزلة إخباره بأن الشمس تغرب آخر النهار ، وأن الهلال يطلع إما ليلة الثلاثين أوإحدى وثلاثين ، فمن عرف منزلة الشمس والقمر ومجاريهما عرف ذلك (٣).

قال الخطيب البغدادى ـ رحمه الله تعالى ـ : (وهذا علم لاينفع الله به بوجه من الوجوه ولا يستدل به على أمر من الأمور ؛ وإنما الكسوف في شيء قدره الله تعالى بمسير الشمس والقمر ؛ فيكون باجتماعهما أو تقابلهما ،

١ـ الفتاوي (٢٤/٢٥٨) .
٢ـ فتاوى ورسائل الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله تعالى ـ (١٦٩/١ ـ ١٧٠) .
٣ـ انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٥/٣٥) .

وليس على من لم يعلم وقت الكسوف شيء يكون من عيب ولا نقص ...)(١).

فتبين من هذا أن العلم بالكسوف والخسوف أمر ممكن لكل من عرف الحساب ومنازل الشمس والقمر وليس من عرف ذلك يكون قد عرف شيئاً من الغيب والله تعالى أعلم.

(وللكسوف سبع فوائد :

الأولى : ظهور التصرف في الشمس والقمر وهما خلقان عظيمان .

الثانية : تغير شأن ما بعدهما بتغيرهما .

الثالثة : إزعاج القلوب الساكنة بالغفلة وإيقاظها . . وبهذه الحكمة صرح ﷺ في قوله : ((يخوِّف الله بهما عباده)) (٢) .

الرابعة : رؤية الناس أنموذجاً مما يقع في القيامة ، قال الله تعالى : ﴿وخسف القمر وجمع الشمس والقمر . ﴾ (٣).

الخامسة : التنبيه من خوف المكر ورجاء العفو فإنهما يكسفان في حال كمالهما ثم يلطف بهما بعودهما إلى حالهما .

السادسة : الإعلام بأنه قد يؤخذ بالذنب من لا ذنب له ليحذر المذنب .

السابعة : الإقبال على الله بالصلاة وفعلها بانزعاج وخوف (٤) والله تعالى أعلم .

١- حكم الإشتغال بالنجوم (ص ٧) مخطوط .

٢- أخرجه البخاري (ح١٠٤٨) ولفظه : ((إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لاينكسفان لموت أحد ولكن الله يخوف بهما عباده)) .

٣- القيامة ٧ ـ ٨ .

٤- انظر العدة شرح العمدة ١٧٩/٢ .

الفصل الثاني : علم الغيب عند الصوفيه

انتشرت طوائف الصوفيه (١) في العالم بأسماء مختلفة ورايات متعددة، ولكل منها طريقة ومنهجاً لايقل عن الباقي انحرافاً وفساداً ، سواء في السلوك أو الإعتقاد .

والذي يعنينا في هذاالفصل هو عرض موقفهم من علم الغيب ومدى ادعائهم له أو تبرئهم منه .

وبالنظر إلى كتبهم نجد أنهم ينصون فيها على أن أولياءهم يعلمون الغيب ، وأنه لا يخفى عليهم شيء من أحوال العالم أجمع . بل إنهم جعلوا علم الغيب شرطاً في الولاية ، فمن لم ينله شيء من ذلك فلا يعد من العارفين ، بل إنهم يعتبرون ذلك نقصاً في ولايته وقدحاً في مرتبته.

وهذا أصل من أصول غالب الصوفية إن لم نقل أجمعها ، فلا تكاد تخلوا طريقة من الطرق الصوفية من هذاالمعتقد على كثرتها وانتشارها . بل إنه لا يكاد يخلو كتاب من كتب طبقاتهم وكراماتهم عن ذكر شيء من ذلك . وإنك لتجد في بعض كتبهم الشيء العجيب من ذلك ، فقد تجاوزوا الحد حتى إنهم نازعوا الله في صفات الربوبية فزعموا أن باستطاعة الولي أن يثبت ويمحو مايشاء فيجعل الشقي سعيداً والسعيد شقياً ، والغني فقيراً والعكس .

كما أنهم زعموا أيضاً أن أولياءهم يعلمون بمافي الصدوركما سيأتي بمشيئة الله تعالى ذكره .

كيف تتم معرفة الغيب عند الصوفية :

لايكاديخلو كتاب من كتب الصوفية من ذكر الكشف وعلم الغيب وماجرى للأولياء من ذلك .

---

١ - أعني بالصوفية هنا الصوفية المتأخرة التي انحرفت عن منهج الصالحين منهم . كابن عربي والحلاج وغيرهما من الذين ظهرت لهم شطحات كفرية كالقول بالحلول والإتحاد ووحدة الوجود . ومعلوم أن غالب طرق الصوفية المتأخرة كالشاذلية والتيجانية والنقشبندية وغيرها ممن يقولون بقولهما أو ببعضه ، فهم قد ابتدعوا في الدين مالم ينزل به الله سلطان .

ولايدخل فيها المتصوفة الاوائل أمثال : الجنيد وعبدالقادر الجيلاني والفضيل بن عياض ومعروف الكرخي وأبو سليمان الداراني وبشر الحافي وأحمد الرفاعي وغيرهم ممن كان تصوفهم في حدود العبادات الشرعية ، مع التزامهم بالنصوص الشرعية ونهيهم عن الإبتداع في الدين .

وفيما يلي نماذج من أقوالهم :

قال الحلاج : إذا تخلص العبد إلى مقام المعرفة أوحى الله إليه بخواطره ، وحرس سره أن يسبح فيه غير خاطر الحق .) (١).

وكان يقول : (من أسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عبارة التجريد ، بل من أسكرته أنوار التجريد نطق عن حقائق التوحيد ؛ لأن السكران هو الذي ينطق بكل مكنون .) (٢).

ومما ينسب إلى الرفاعي : (٣) قوله :

(إذا أراد الله أن يتخذ ولياً أنعم عليه بأربع :

الكفايه ، والحماية ، والرعاية ، والهداية . فإذا تحققت هذه الأربع أكرمه الله بأربع أيضاً :

يقرأ ماعلى الجباه ويصافح الملائكة ويصافحونه ويكلم الموتى ويكلمونه ويدخل القبور فيعرف المنعم من المعذب .) (٤).

وينسب عنه أيضاً قوله : (لاتستقر نطفة في رحم أنثى إلا ينظر الولي إليها ويعلم بها ، فاعترض عليه خادمه يعقوب بقوله ياسيدي هذه صفات الرب جل وعلا . فقال الشيخ : يايعقوب استغفر الله تعالى فإن الله إذا أحب عبداً صرفه في جميع مملكته وأطلعه على ماشاء من علم الغيب وإذا كان الحق تعالى

١- الطبقات الكبرى ١٠٨/١

٢- الطبقات الكبرى ٤٣/١ - الفجر المنير ٢٠ - قلادة الجواهر ١٤٧.

٣- هو الإمام العابد الزاهد أبو العباس أحمد بن أبي الحسين علي بن يحيى الرفاعي المغربي ثم البطائحي ، قدم أبوه من المغرب وسكن في البطائح - قرية بين واسط والبصرة في العراق - تزوج بأخت منصور الزاهد ورزق منها بأحمد وإخوته . كان زاهداً ورعاً معرضاً عن الدنيا وزينتها كثير الإستغفار . انظر السير ٧٧/٢١ . (ولد رحمه الله سنة ٥٠٠ هـ وتفقه قليلا على مذهب الشافعي كان إليه المنتهى في التواضع والقناعة والإنكسار والإزراء على نفسه ، وسلامة الباطن ، ولكن أصحابه فيهم الجيد والردي، وقد كثر الزغل فيهم وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحياة ، وهذا لايعرفه الشيخ ولا صُلَحاء أصحابه نعوذ بالله من الشيطان .) العبر ٢٣٣/٤ .

٤- قلادة الجواهر ٧٦١ - الفجر المنير ٥١ .

مع عبده كمايريد صار كأنه صفة من صفاته .) (١).

وينسب إليه أيضاً قوله : (. . . والولي إذا أصلح سره مع الله تعالى كلفه مابين السماء والأرض ثم لايزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث ، ثم ترتفع صفته إلى أن يصير صفة من صفات الحق فيطلعه الله على غيبه حتى لاتنبت شجرة ولا تخضر ورقة إلا بنظره ، وهناك يتكلم عن الله تعالى بكلام لاتسعه عقول الخلائق .) (٢)

سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، أي شيء يبقى لله بعد هذا ؟ .

ويقول الصيادي - الرفاعي طريقة - عن نفسه : (أقامني الله تعالى في هذه المنزلة إماماً واختارني لرتبة هذه الخصوصية ختاماً وكشف لي مخبآت الغيب باطلاع من كرمه . . .) (٣).

ويصف أبو حامد الغزالي (٤) كيفية تلقى القلب علم مافي اللوح المحفوظ فيقول : (وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تتجلى فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها ، وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها (٥) فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ ، الذي هو منقوش بجميع ماقضى الله به إلى يوم القيامة ، وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب ، يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها ، والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول

١- قلادة الجواهر ٦٨ - لطائف المنن والاخلاق ٤٧٠، ٤٧١ .

٢- الطبقات الكبرى ١/ ١٠٨.

٣- الدرة البيضاء ضمن المجموعة النادره ٣٧ .

٤- الجدير بالذكر أن الغزالي - رحمه الله تعالى - رجع عن التصوف في آخر عمره كما ذكر ذلك في رسالة التي سماها المنقذ من الضلال . كما أنه رجع قبل ذلك عن علم الكلام وذمه وذم تعلمه في رسالته إلجام العوام عن علم الكلام . والله تعالى أعلم .

٥- الأسباب الخمسة التي أشار إليها ذكرها قبل هذا الكلام وهي : ١ - نقصان في ذات القلب كقلب الصبي . ٢ - تكدر القلب بالمعاصي والشهوات . ٣ - انصراف القلب عن التأمل في حضرة الربوبية . ٤ - وجود عقائد تكون سبباً فيحجب القلب عن التعلق بالله . ٥ - الجهل بالجهة التي يحصل بها المطلوب . انظر الإحياء ٣/١٢، ١٣.

بهبوب الرياح تحركه ، وكذلك تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فيتجلى فيها بعض ماهو مستور في اللوح المحفوظ ، ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به مايكون في المستقبل . وتمام ارتفاع الحجاب بالموت ، فيه ينكشف الغطاء ، وينكشف أيضاً في اليقظة ؛ حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى ؛ فيلمع في القلوب من وراء سترِ الغيب شيء من غرائب العلم ؛ تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما ، ودوامه في غاية الندور . . .) (١).

ويضيف معللا عزوف الصوفية من دراسة العلوم وتحصيل ماصنفه العلماء بقولهم : إن (الطريق هو تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم ، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة ، وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر ، وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب العزة بلطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية ، فليس على العبد إلا الإستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الإنتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة . فالأنبياء والأولياء إنكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لابالتعلم والدراسة والكتابة للكتب ؛ بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها . . .) (٢).

فنرى في هذه المقولة كيف يقرر الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ أن الأولياء بمقدورهم الإطلاع على الغيب . فما على الإنسان إلاتصفية قلبه من الذنوب وشواغل الدنيا ؛ وبعد ذلك يتشرف بالنظر في اللوح المحفوظ أو بالتلقي عن الله تعالى مباشرة .

ثم أخذ يدلل بعد ذلك على إمكان اطلاع القلب على مافي اللوح

١ـ الإحياء ١٨/٣.
٢ـ نفس المصدر ١٨/٣ .

المحفوظ ويضرب لذلك مثالا يقول فيه : (القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة بالحواس وتارة من اللوح المحفوظ ، كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها ؛ وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها « فمتى » (١) ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه ؛ فاستغنى عن الإقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض [ومتى] أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات ، كان ذلك حجاباً له عن مطالعة اللوح المحفوظ ، كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع من ذلك التفجر في الأرض ، وكما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس لايكون ناظراً إلى نفس الشمس .) (٢).

هذا إذا كان اعتقادهم في الأولياء فكيف بالأنبياء . إنهم يعتقدون أن الأنبياء يعلمون الغيب بل ويشاهدون كل ما كان وما يكون .

يقول البريلوي أحمد رضا - من زعماء طائفة البريلوية - :

(إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعلمون بل ويشاهدون جميع ما كان وما يكون من أول يوم إلى آخره .) (٣).

ويقول الآخر : (إن الأنبياء يعلمون الغيب منذ ولادتهم .) (٤).

هذا بالنسبة للأنبياء عموماً ، أما بالنسبة لنبينا محمد ﷺ فيعتقدون أنه لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، بل إنهم رفعوه فوق منزلته حتى وصفوه بصفات رب العالمين .

يقول البوصيري (٥) مخاطباً النبي ﷺ :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علمك علم اللوح والقلم.

١- في الأصل : فمهما ولعل الصحيح : فمتى .

٢- الإحياء ٣/٢٠.

٣- الدولة المكية بالمادة الغيبية ٥٨ نقلا عن البريلوية عقائد وتارخ ٧٦ .

٤- مواعظ نعيمية ١٩٢ . نقلا عن البريلوية عقائد وتاريخ ٨٧ .

٥- انظر البردة ضمن مجموعة المتون ص ١٠ .

ويقول أحمد رضا البريلوي :

(إن علم اللوح وعلم ماكان وما يكون جزء واحد من علوم النبي ﷺ .)(١) وأنه (عليم بجميع الأشياء من سنوات الإلهية ، وأحكام صفات الحق والأسماء والأفعال والآثار وأحاط بجميع العلوم الظاهرة والباطنة والأولى والآخرة .)(٢).

وقال آخر :

(لم يحجب عن روح النبي ﷺ شيء من العالم ، فهو مطلع على عرشه وعلوه وسفله ودنياه وآخرته ، وناره وجنته ؛ لأن جميع ذلك خلق لأجله ﷺ .)(٣).

وزعموا أن النبي ﷺ يعلم كل شيء بما في ذلك الأمور الخمسة التي اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها وحده دون من سواه ، مخالفين بذلك النصوص الصريحة من الكتاب والسنة والتي قد ذكرت بعضاً منها فيما سبق (٤).

وقال أحمد رضا :

(لم يخرج رسول الله ﷺ إلا بعد أن أعلمه الله تعالى بهذه الغيوب الخمس .) فقد أوتيها في آخر الأمر ولكنه أمر فيها بالكتمان .)(٥).

ولم يكتفوا بذلك بل زعموا أن النبي ﷺ يعطي علم تلك الغيوب لم شاء من خدمه .

قال البريلوي :

(إن النبي ﷺ لم يكن يعلم هذه الغيوب فحسب ؛ بل كان يعطي العلوم

١- الدولة المكية ٣٨ ، نقلا عن البريلوية ٨٧ .
٢- المصدر السابق ٢١٠ ، نقلا عن البريلوية عقائد وتاريخ ٨٧ .
٣- الكلمة العليا لاعلام علم المصطفى ١٤ نقلا عن البريلوية .
٤- تقدم في الفصل الأول من الباب الأول .
٥- الدول المكية بالمادة الغيبية ٥٦ ، ١٤٤ نقلا عن البريلوية ٩٠ .

من شاء من خدمه .) (١).

فالأقطاب يعلمون الأمور الخمسة هذا فضلا عن الغوث .

قال البريلوي :

(إن النبي لايخفى عليه شيء من الخمس المذكورة في الآية الشريفة وكيف يخفى عليه ذلك والأقطاب السبعة من أمته الشريفة يعلمونها وهم دون الغوث ؟ فكيف بسيد المرسلين والآخرين الذي هو سبب كل شيء .) (٢).

وأقوال الصوفيه واعتقاداتهم في ذلك أكثر من أن تذكر وما هذا إلا فيض من غيض نسأل الله العافية والسلامة .

ومما يؤكد أن علم الأولياء بالغيب أصل من أصول الصوفية ماقرره الغزالي - رحمه الله تعالى - من أن حصول الكشف - الذي هو أعم من الغيب - للأولياء أمر لاجدال فيه حيث يقول : (إعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لايدري فقد صار عارفاً بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فإن درجة المعرفة عزيزة جداً ، ويشهد لذلك الشرع والتجارب والحكايات .) ؟! (٣).

ثم أخذ يذكر بعض الآيات والأحاديث التي لا تصح له دليلا ، فمن هذه الآيات مايلي :

قوله تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . ﴾ (٤). قال الغزالي فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإهام .

وقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ﴾ قال الغزالي أي : من الإشكالات والشبه - ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب . ﴾ (٥). قال : يعلمه علماً من

١- خالص الإعتقاد ١٤ .

٢- المصدر السابق ٥٣ ، ٥٤ .

٣- إحياء علوم الدين ٢٢/٣ .

٤- العنكبوت (٦٩) .

٥- الطلاق (٣) .

غير تعلم ويفطنه من غير تجربة .

أما الأحاديث التي استدل بها فمنها مايلي :

١ - (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله .) (١).

٢ - (إن من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم .) (٢).

وقرأ ابن عباس - رضي الله عنهما - ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبي ولا محدث . ﴾ (٣) يعني الصديقين ، والمحدث هو الملهم ، والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة .

والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم.)(٤).

ثم قال : أما التجارب : فقول أبي بكر لعائشة - رضي الله عنهما - عند موته (إنما هما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتاً فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت .(٥).

وقول عمر - رضي الله عنه - : (ياسارية الجبل الجبل ، إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته إليه . .) (٦).

وقصة أنس مع عثمان - رضي الله عنهما - وقد تقدمت (٧).

واستطرد في ذكر حكايات عن بعض المشايخ إلى أن قال :

(وما حكي من تفرس المشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر ، بل ماحكي عنهم من مشاهدة الخضر - عليه

١- تقدم تخريجه انظر الفراسة ص ١١١ .

٢- تقدم تخريجه انظر الإلهام ص ١٣١ - ١٣٢ .

٣- سيأي تخريجه قريباً انظر ص ٣١٧ .

٤- ليس هناك علم بغير تعلم البتة إلا عن طريق الوحي للأنبياء ، وقد انقطع بموت المصطفى ﷺ ، إلا اللهم الوحي الذي من الشياطين ، وهذا باق إلى ماشاء الله . أما الكتاب الكريم فلا يمكن معرفة مافيه من العلوم إلا عن طريق التعلم الحسي لا الإدعاء الباطني .

٥- رواه الإمام مالك في الموطأ برواية محمد بنْ الحسن الشيباني ص ٢٨٥ ، في باب النحلة ، وسنده صحيح .

٦- تقدم انظر ص ٢٢١ وسيأتي زيادة تخريج له انظر ص ٣٦١ .

٧- انظر ص ١٢٠ - ٣٢٣.

السلام - والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ، ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر ، والحكاية لاتنفع الجاحد مالم يشاهد ذلك من نفسه ، ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل .

والدليل القاطع الذي لايقدر أحد على جحده أمران :

١ - عجائب الرؤيا الصادقة فإنه ينكشف بها الغيب ، فإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل في اليقظة . . . !

٢ - اخبار رسول الله ﷺ عن الغيب وأمور المستقبل كما اشتمل عليه القرآن وإذا جاز ذلك للنبي ﷺ جاز لغيره ، إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق وهذا لايسمى نبياً بل ولياً .).! (١)،(٢).

فالغزالي يرى أن ماجاز للأنبياء جاز للأولياء ، وهذا تقرير خطير قد يهلك صاحبه ؛ إذ الأنبياء قد خصهم الله عز وجل بأمور لايصل إليها أحد من البشر لأنها لاتحصل بالاجتهاد كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

وقد ورثت الفرق الصوفية هذه العقيدة جيلا عن جيل حتى أصبحت تعتقد في زعمائها أنهم يعلمون الغيب .

قال محمد الأمين الكردي في ترجمة الشيخ الراميتني مانصه :

(. . وهو علم ما أرفعه ومنهل فضل ما أنفعه ، فتح من كنوز القلوب أقفالها وأوضح من سنن الغيوب أغفالها ، كم جبر بكسر شهوات النفوس أحوالها ومحا عنها بما أوحي لها أوحالها . .) (٣).

وقال في ترجمة الشيخ محمد السماسي : (. . عالم الأولياء وولي العلماء تفرد في علمي الظاهر والباطن ، وعمت بركته كل المواطن ، طالما

١- الإحياء ٣/٢٢،٢٣،٢٤.

٢- هذا القياس فاسد وسيأتي الرد على هذه الشبه بعد قليل إن شاء الله تعالى .

٣- المواهب السرمدية ٩٦.

أثار بهمته من المعارف كل كامن ، كيف لا ؟ وهو خلاصة خاصة القرن الثامن وفي الإسراء بأسرار الغيوب إلى الحرم الأقصى من القلوب آية لاينتهى إلى أحد عن هداها .)(١).

وقال عن الشيخ سيد أمير بحلال : (. . وسدرة منتهى مايشتهى من المقامات . . وصاحب أذيال الفيوضات والأمداد ، كفئ مخدرات الأسرارالغيبية ، والمربي بأنفاسه الزكية أوابد النفوس الأبية . .) (٢).

وقال عن يعقوب الجرخي (. . وسلك في طريق القوم أقوم طريقة وورث علوم الغيوب كما ورث النبوة يعقوب . .) (٣).

ونجد أن الصوفية قد تمادوا في الغلو في الأولياء إلى درجة أنهم جعلوا لأوليائهم علم مافي الكون أجمع ، فيعلمون مافي السماوات ومافي الأرض ومايدور فيهما .

يقول محمد الأمين الكردي في ترجمة عثمان الكردي الراقي مانصه :

(. . وأخذت يد العناية الإلهية بيمين الهمة الخالدية تحرق له حجب الظلمات ، وتكشف له عن ملكوت الأرض والسماوات ، حتى لقد سمعت عن بعض الثقات الذين تشرفوا بصحبته ،وكان من السابقين لخدمة سدته قال : سمعت الشيخ يقول : كنت وأنا مشتغل بالنفي والإثبات ؛ ينكشف لي مما تحت الثرى إلى مافوق العرش الأعلى عند النطق بكلمة لا ، فأنظر إليه بنظر الفناء ، وأجعله داخلا تحت النفي ، ولا تسأل عمّا يتجلى عند الإثبات . ولم يثنني شيء عن طلبه عز وجل .) ! ! (٤).

ويقول الدهلوي في شرحه لأصول الطريقة النقشبندية : (.. وللنقشبندية تصرفات عجيبة من جمع الهمة على مراد ؛ فيكون وفق الهمة ... والتصرف في قلوب الناس والأشراف غلى خواطر الناس « ومايختلج

١- المصدرالسابق ٩٦ .

٢- المواهب السرمديه ١٠٥.

٣- المواهب السرمدية ١٥١.

٤- المصدر السابق ٢٨٣.

في الصدور» وكشف الوقائع المستقبلية . .) (١).

هذه بعض أقوال الصوفية في نسبتهم علم الغيب إلى علمائهم ولايكاد يحصر كلامهم في ذلك (٢).

ولا غرابة فيما زعموه ونسبوه لأنفسهم إذا عرفنا أن من أصولهم أن الكشف يطغى على النبوة فيكون أقوى منها اتصالا بالملأ الأعلى ؛ لأنه حين ذاك يكون بلا واسطة بخلاف الأنبياء فهم يأخذون علمهم بواسطة (٣).

ولما كان ادعاء علم الغيب يتعارض مع النصوص الشرعية فإن أتباع الفرق الصوفية يحاولون تأويل الأدلة بما يدفع التعارض كما ورد عن ابن عطاء الله السكندري في ذلك حيث يقول :

(اعلم أن اطلاع أولياء الله على بعض الغيوب لايحيله العقل وقد ورد به النقل) . ثم استدل بقصة أبي بكر مع عائشة ـ رضي الله عنهما ـ (٤) وقصة عمر مع سارية ـ رضي الله عنهما ـ (٥) وقصة عثمان مع أنس بن مالك ـ رضي الله عنهما ـ (٦) وقول علي ـ رضي الله عنه ـ حينما بلغه قول القائل «المرجف » مات معاوية ـ رضي الله عنه ـ قال : (والله مامات ولن يموت حتى يملك ماتحت قدمي هاتين وإنما أراد ابن هند أن يستثير علمي فيه .) قال السكندري : فمن يومئذ كاتب أهل الكوفة معاوية وعلموا أن الأمر صائر إليه .)

ثم قال : (وحكايات الأولياء في كل عصر ومصر تتضمن ثبوت ذلك بما بلغ حد التواتر فلا يمكن جحده . .

واعلم أن اطلاع العبد المخصوص على غيب من غيوب الله ليس بجثمانيته ولا وجود صورته ، وإنما بنور الحق فيه . دليل ذلك :

١ـ شفاء العليل ترجمة القول الجميل ١٠٤.

٢ـ إذا أردت الإستزادة فراجع كتاب : شفاء العليل المواهب السرمدية - الانوار القدسية - جامع كرامات الأولياء ففيها ماتقشعر من ذكره الابدان ويضحك منه الصبيان .

٣ـ انظر الإحياء ١٧/٣.

٤ـ تقدمت انظر ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

٥ـ تقدم في الفراسة ص ٣٢١ ، وانظر ص ٣٢١ .

٦ـ تقدم في الفراسة ص ١٢٠ وانظر ص ٣٢٣ .

قوله ﷺ : (اتقوا فراسة المؤمن .) (١) .

فكيف يستغرب أن يطلع مؤمن على غيب من غيوب الله بعد أن شهد الرسول ﷺ أنه إنما ينظر بنور ربه لابوجود نفسه ؟ .

وكذلك في قوله ﷺ : (. . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به فبي يسمع . . الحديث .) (٢).

فمن كان الحق بصره فليس الاطلاع على الغيب بمستغرب فيه ، ففي بعض طرق هذا الحديث : (كنت له سمعاً وبصراً وقلباً وعقلا ويداً ومؤيداً .).

ثم أورد قوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلامن ارتضى من رسول. . ﴾ الآية (٣) وأجاب عن إستثناء الرسول فقط دون الولي بقوله : (اعلم أني سمعت شيخنا أبا العباس . . يقول وفي معناه صديق أو ولي ، فإن قلت هذا زيادة على ما تضمنه الكتاب العزيز ، فاعلم أنه إذا قيل إن السلطان لم يأذن اليوم إلا للوزير وحده ربما دخل مماليك الوزير وكان الإذن لمتبوعهم إذن لهم ، كذلك الولي إذا أطلعه الله بصدق المتابعة فما رأى ذلك بنفسه وإنما رآه بنور متبوعه .

(وأيضاً أن سبب اطلاع الله لغيب من غيوبه لرسله ؛ لكونه رضي عنهم . واكتفى بذكر الرسول ولم يذكر النبي ولا الصديق ولا الولي وإن كان كل منهم ممن ارتضى ؛ لأن الرسول أولى بذلك مما سواه ، ثم إن قُدْرَةَ الله ـ سبحانه وتعالى ـ هي التي أظهرت هذه الكرامات في الولي .) (٤).

ثم قال : (اعلم أن الذي أعطاه الله ـ سبحانه ـ لإولىيائه من الإيمان واليقين مما أنت مصدق به ومثبت له أعظم مما استغربته وأنكرته من اطلاع على غيب أوطير في الهواء أو مشي على الماء ، فمثلك مثل من أعطاه الملك سفطاً

١ـ تقدم في الفراسة ص ١١١ .

٢ـ تقدم في الإلهام انظر ص ١١٨ ـ ١١٩ .

٣ـ الجن٢٧،٢٨ .

٤ـ هذا المقطع بتصرف .

مملوءاً ياقوتاً كل ياقوتة تساوي ألف دينار ، ثم أعطاه مائة دينار فاستغربت أنت ذلك ؛ فهل يستصوب استغرابك هذا ذو فهم ولب ؟ .

فالإيمان وما يتبعه ويتظمنه أعظم من اطلاع على الغيب ، بل إن الإطلاع على الغيب ناتج من نتائج الإيمان وأثر من آثاره .) (١).

هذه بعض التأويلات والتعليلات الغريبة والمتهافتة التي أوردها ابن عطاء الله السكندري والتي سأخصص للرد عليها بمشيئة الله تعالى مبحثاً خاصاً بها في نهاية هذل الفصل (٢).

صور من ادعاء الصوفية للغيب :

بعد أن ذكرت أقوال الصوفية التي يزعمون فيها أن أوليائهم وشيوخهم يعلمون الغيب أورد هنا نماذج من تلك الإدعاءات مما ادعاها المشايخ أو نسبت إليهم في مجالات متعددة :

١ - ولي يصعد إلى السماء كل يوم فيمحو ويثبت مايشاء :

ذكر الصيادي عن الرفاعي قوله : (أيها الفقراء : الشيخ عثمان السالم أبادي - قدس الله سره - يصعد كل يوم عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية وينظر ديوان ذريته فما يجد من سيئة يمحها ويكتب «عوضها » بلا معارضة ، ثم التفت إلى ابن اخته - ابراهيم الأعزب - وقال : يا إبراهيم لايكون الرجل ممكناً من سائر أحواله حتى يعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلامذته فيمحو منها مايشاء ويثبت منها مايشاء .) (٣).

وكان يقول : (كل شيخ لا يغير صفات تلميذه ويكتب الشقي سعيداً

١- لطائف المنن ١٢٤ ، ١٣٠.

٢- انظر ص ٣٢٨ .

٣- قلادة الجواهر ١٩٣.

فماهو عندي برجل .) (١).

٢ ـ ولي يعلم الغيوب المستقبلية والماضية :

قال أبو العباس المرسي : (. . والله وبالله الذي لاإله إلا هو مامن ولي كائن أوهو كائن إلا وقد أطلعني الله على اسمه ونسبه وكم حظه من الله .) (٢).

وقال في شاب : (لن يموت هذا الشاب حتى يكون داعياً يدعو إلى الله فكان كذلك .) (٣).

وقال النبهاني في ترجمة ابراهيم الخواص : (جاءته امرأة فشكت تغيراً وحدة في قلبها وحالها ، فقال : عليك بالتفقد . فقالت : تفقدت فما رأيت شيئاً ، قال أتذكرين ليلة المشعل ؟ فهذا التغير منه ، فبكت وقالت نعم كنت أغزل فمر مشعل السلطان فغزلت فيه خيطاً ونسجت من الغزل قميصاً فلبسته. ثم إنها نزعته فتصدقت به فعاد صفاء قلبها .) (٤).

ترى من أين علم ذلك ؟ أهو عن طريق الوحي ؟ فلا وحي بعد رسول الله ﷺ . أم هو إلهام ؟ فإذاكان كذلك فهل هو من الرحمن أم من الشيطان ؟ ! .

وقال البريلوي : (إن أبا المجد يقول : كنت عند الشيخ مكارم ـ رضي الله تعالى عنه ـ بداره على نهر الخالص فخطر في نفسي لو رأيت شيئاً من كراماته فالتفت إلي مبتسماً وقال : سيدخل علينا خمسة أنفار ، أحدهم عجمي أبيض اللون أحمر ، نجده الأيمن شامة ، بقي من عمره تسعة أشهر ، ثم يفترسه أسد في البطائح ومن ثم يبعثه الله تعالى .

والآخر عراقي أبيض اللون أشقر بعينه ، برجله عرج يمرض عندنا شهر ثم يموت .

والآخر مصري أسمر ، في كفه الأيسر ست أصابع وبفخذه الأيسر طعنة رمح أصيب بها منذ ثلاين سنة ويموت بأرض الهند تاجراً بعد عشرين سنة .

١ـ قلادة الجواهر ٩٤.
٢ـ لطائف المنن ١٦٨.
٣ـ لطائف المنن ١٩٢.
٤ـ جامع كرامات الأولياء ١/١٩٢.

والآخر شامي آدمي اللون ، شثن الأصابع ، يموت بأرض الحريم على باب دارك بعد سبع سنين وثلاثة أشهر وسبعة أيام .

والآخر من أرض اليمن ، أبيض اللون ، هو نصراني وتحت ثيابه زنار ، خرج من بلاده منذ ثلاث سنين ولم يعلم به أحد ليمتحن المسلمين من يكشف منهم حاله .) ثم أخذ يذكر ما ذا اشتهي كل واحد منهم من الطعام . ثم قال : (ستأتينا أرزاقهم وشهواتهم رغداً من كل مكان والحمد لله رب العالمين .

قال أبوالحمد - رحمه الله تعالى - : فوالله لم نلبث إلا يسيراً حتى دخلوا خمسة كما وصف الشيخ - رضي الله عنه - لم يخل من أو صافهم بشيء .. ثم جاء رجل ومعه تلك الأصناف التي اشتهوها فوضعها بين يدي الشيخ - رضي الله عنه - ، فأمره فوضع بين يدي كل واحد منهم شهوته وقال لهم : كلوا ماشتهيتم ، فأغمي عليهم ، فلما أفاقوا قال : اليمني للشيخ : ماوصف المطلع على أسرار الخلق ؟ قال : أن يعلم أنك نصراني وتحت ثيابك زنار ، فصرخ الرجل وقام إلى الشيخ وأسلم . فقال له : يابني كل من رآك من المشايخ فقد عرف حالك ولكن عرفوا عن اسلامك على يدي فأمسكوا عن كلامك .

قال ولقد جرت الحال في وفاتهم كما أخبر الشيخ - رضي الله عنه - في الوقت الذي ذكره والمكان الذي عيَّنه من غير تقديم ولا تأخير ، ومات العراقي عند الشيخ في الزاوية بعد أن مرض شهراً ، وكنت ممن صلى عليه ، ومات الشامي عندنا بالحريم على باب طريح ونودي له فخرجت فإذا هو صاحبنا الشامي ، وبين موته وبين الوقت الذي اجتمعت به عند الشيخ - رضي الله تعالى عنه - سبع سنين وثلاثة أشهر وسبعة أيام رحمه الله تعالى ، فانظر إلى هذا الذي هو خادم من خدم خدام رسول الله قد أخبر في نفس واحدة بإثنين وسبعين غيباً فيها ما في الصدور وأمكنة الموت وأزمنة الموت وأسباب الموت

وما يكسب غداً إلى غير ذلك .) (١).

سبحانك هذا بهتان عظيم . ما أجرأهم على الله سبحانه وتعالى .

٣ ـ ولي يعلم بوقت وكيفية موته ومصيره بعد موته .

لقد خاض المتصوفة في جميع أنواع الغيب وتفننوا في تلفيق الحكايات والقصص وادعو أنها كرامات ليضللوا السذج من الناس حتى يجعلوا للولي هيبة بين أتباعه فلا يفعلون فعلا إلا بعد أن يأذن لهم الولي لأنه يعلم السر وأخفى - حسب زعمهم - .

دخل ابراهيم بن فاتك على الحلاج يوماً في بيت له فدار بينهما حديث ومنه قول ابراهيم : (ثم قال لي : وكيف أنت ياابراهيم حين تراني وقد صلبت وقتلت وأحرقت وذلك أسعد يوم من أيام عمري جميعه . .) (٢).

قال محقق الكتاب تعليقاً على هذه المقوله : (هذا من كرامات الحلاج حيث عرف مصيره قبل حصوله .) (٣)قلت : هذا قول رجل معاصر مما يؤكد أن الأتباع يرثون عقائد متبوعيهم بدون تحقق ولاتثبت ، بل يأخذونها على علاتها تعصباً وجهلا ، لاسيما وقد قال الحلاج بعد صفحات من هذه المقولة مخاطباً العزيز الجبار : (فلا فرق بيني وبينك إلا في الإلهية والربوبية . .) (٤) فإذا كان هذا حال الكتاب والمتعلمين فما بالك بالأتباع العوام .

وفي حكاية أخرى أن أبا الحسن المرسي قال لولد الشيخ أبي العباس يوماً وهو يلعب : (اطلع لا أطلعك الله ، فسمعه الشيخ أبو العباس فنزل وقال : يا أبا الحسن حَسِّن خُلُقَكَ مع الناس ، بقي لك عام وتموت فمات إلى تمام العام .)(٥).

١ـ الدولة المكية ١٦٢ ومابعدها ، نقلا عن البريلوية ٩٤ .

٢ـ أخبار الحلاج ١٣ .

٣ـ نفس المصدر.

٤ـ أخبار الحلاج ١٨.

٥ـ لطائف المنن ١٨٧ .

أين هذا من قوله تبارك وتعالى : ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وماتدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير . ﴾ (١).

وأقوالهم في هذا لاتنتهي . (٢).

٤ ـ ولي يعلم بمافي الصدور :

عن أبي سعيد الخزاز قال : (دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان فقلت في نفسي : هذا وأشباهه كَلٌّ على الناس ، فناداني وقال : ﴿ والله يعلم مافي أنفسكم فاحذروه . ﴾ فاستغفرت الله في سري ، فناداني وقال : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده . ﴾ ثم غاب عني ولم أره .) (٣).

وقال زكريا بن داود : (دخل أبو العباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب يعيش به ، قال : فلما قمت قلت في نفسي : من أين يأكل هذاالرجل ؟ فصاح بي أبو العباس رد هذه الهمة الدنية فإن لله ألطافاً خفية .) (٤).

ويروى عن ابراهيم بن سمعان أنه قال : رأيت الحلاج في جامع المنصور وكان في تكتي ديناران شددتهما لغير طاعة الله وسئل سائل . فقال الحسين : يابراهيم تصدق عليه بماشددت في تكتك فتحيرت فقال : لاتتحير التصدق بهما خير مما نويت فقلت ياشيخ هذه من أين ؟ فقال : كل قلب تخلى عن غير الله يرى في الغيب مكنونه وفي السر مضمومه . .) (٥).

وذكر السكندري عن عبد العزيز المديولي قال : أتيت الشيخ فوجدته يأكل لحماً بِخَلٍّ فقلت في نفسي : ليت الشيخ يطعمني لقمة من يديه فما استتمت الخاطر إلاوقد دفع في فمي لقمة في يده .)(٦).

١ـ لقمان ٣٤ .

٢ـ انظر لطائف المنن ١٨٨، ١٨٩ ، الطبقات الكبرى ٢٠٣/١ ، قلادة الجواهر ٦٨ ، الواهب السرمدية ١٠٧ .

٣ـ الإحياء ٢٤/٣ . وجامع كرامات الأولياء .

٤ـ الإحياء ٢٤/٣ . نذكر حكايات غيرها

٥ـ أخبار الحلاج ٤٠ .

٦ـ لطائف المنن ١٨٩.

رأى أحدهم حال الشيخ الرفاعي من الجوع والفقر فقال في نفسه ؛ أولاد المشايخ يركبون الخيل ويلبسون الناعم والسيد أحمد لايركب الخيل المليح ولا يشبع من الطعام ، فعلم الشيخ فيما خطر في نفسه وقال له : ياولي استغفر الله فيما خطر لك ، فلولم يجع سيدك ماشبع أحد من المسلمين ولا ركب فرساً ولاحماراً.) (١).

وذكر الشعراني عن أحمد الخزاز أنه قال في قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لأيات للمتوسمين . ﴾ (٢) : (المتوسم هو الذي يعرف الوسم وهو العارف بما في سويداء القلوب . . فَيُمَيِّزُ أولياء الله تعالى من أعدائه . .) (٣).

والحكايات في هذا كثيرة متعددة أكثر من أن تذكر (٤).

وكثيراً ما يدعي الصوفية أنهم يعلمون بمافي صدور المريدين ؛ لكي يتمكنوا من اذلالهم وغرس عبوديتهم وخضوعهم لهم ، بحيث لا يخرجون عما يريدون .

ولم يقتصرادعائهم على معرفة مافي صدور مريديهم فقط بل تعداهم إلى غيرهم من الناس فظاهئوا الله بمعرفة مافي صدور العالمين ، قال الله تعالى : ﴿ قل إن تخفوا مافي صدوركم أو تبدوه يعلمه الله .)(٥) .

وقال تعالى : ﴿ فإن تجهر بالقول فإنه يعلم السروأخفى .) (٦) .

وقوله : ﴿ وإن ربك ليعلم ماتكم صدوهم ومايعلنون . ﴾ (٧).

وقال تعالى : ﴿ يعلم مايسرون ومايعلنون إنه عليم بذات الصدور . ﴾(٨)

١- روضة الناظرين ٥٩ .

٢- الحجر ٧٥ .

٣- الطبقات الكبرى ٩٢/١ .

٤- للإستزادة راجع كتب التراجم والكرامات لاهل التصوف ، فهي تعج بمثل هذه الاشياء ؛ فلا تكاد تخلوصفحاتها من تسويدها بمثل هذه الخرافات المحبوكة المفتراه .

٥- ال عمران ٢٩ .

٦- طـه ٧ .

٧- النمل ٧٤ .

٨- هود ٥ .

والآيات في هذا كثيرة .

فهؤلاء ادعوا أنهم شاركوا الله في صفاته التي تفرد بها . مع العلم أن النبي ﷺ وهو أفضل منهم لم يكن يعلم بما في صدور أصحابه ، حتى أنه لم يكن يعرف المنافقين الذين كانوافي صفوف أصحابه إلا بعد أن أطلعه الله عليهم كما سبق ذكره(١) بل إن الخصمين كانوا يأتون إليه فيخبرهما أنه إنما يحكم بما يظهر له من الأدلة ولا يعلم عما في صدريهما . ثم إن الشريعة الغراء إنما جاءت في الحكم على الناس في الظاهر دون البحث عن معرفة الباطن لأن ذلك غير ممكن ، ولو كانت معرفة الباطن ممكنة لما قبل النبي ﷺ من المنافقين تظاهرهم بالإسلام . والأدلة والشواهد أكثر من أن تذكر في أنه لا يعلم بما في صدور العالمين سوى الله سبحانه وتعالى ، ولم يخالف في ذلك إلا المبتدعة من المتصوفة ومن شاكلهم .

٥ - ولي يعلم بما يقع بعيداً عنه :

قال السكندري : وأخبرني سيدي جمال الدين ولد الشيخ - رضي الله عنهما - قال : ورد رسول الأفرنج إلى الأسكندرية فذهبت لأنظرة ولم أعْلِم الشيخ فلما جئت قال اين كنت ؟ قلت هاهنا . قال : بل ذهبت تنظر رسول الأفرنج ، أتظن أن شيئاً من أحوالك تخفى على ؟ كان الرسول لابساً كذا وكذا ، راكباً على كذا ، عن يمينه فلان وعن يساره فلان ، فوصف الحال على ماكنت عليه (٢).

وذكر الشعراني أن إبراهيم الجعبري كان له مريدة تسمع وعظة وهو بمصر وهي بأرض أسوان من أقصى الصعيد ، فبينما هو يعظ الناس وهم يبكون أنشد :

قاعده في الطاقة والكلب يأكل العجين
ياكلب كل وتهنى ما للعجين أصحاب

١- انظر الفصل الثالث من الباب الثالث ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
٢- لطائف المنن ١٨٨.

فالتفتت المريدة فإذا الكلب يأكل في عجينها . وأرخو الحكاية فجاء الخبر بذلك . . (١) .

وأراد أحدهم أن يرسل جرتي عسل من تونس إلى مصر ، فذهب إلى بحر تونس فدلاهما فيه ، وفي نفس الوقت كان الآخر الذي في مصر في إستقبالهما بعدما علم أن صاحبه عزم على إرسالهما (٢).

وأنواع ادعائهم للغيب كثيرة جداً يصعب حصرها ، فتارة يدعون أن المغيبات تكشف لهم (٣) .

وتارة يدعون أنهم يعرج بهم إلى السماء ويطلعون على الغيب ! (٤) .

ومنهم من يدعي أن الله أطلعه على قبور الأنبياء في الهند (٥) وآخر يتصرف في بواطن المريدين (٦) وإذا رأى أحدهم إنساناً فإنه يعلم مافي نفسه وماهو عليه وماهو مرتكبه من الفواحش (٧) وآخر لاتحجزه الخواطر عن معرفة ما في باطنها(٨).

والحكايات كثيرة متعددة تتنافس فيها الطوائف لتدلل على أن شيخها هوالمفضل وهو الأولى بالإتباع .

الجواب على استدلالات الغزالي :

تقدم في الباب الثاني ذكر الأدلة من الكتاب والسنة في بيان أن علم الغيب من خصائص الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأنه لايطلع عليه أحد سواه ، ومن ذلك مايلي :

١ـ الطبقات الكبرى ٢٠٣/١ .
٢ـ انظر إلى القصة في لطائف المنن ١٧٣ .
٣ـ انظر المواهب السرمدية ٢١٣ .
٤ـ انظر المواهب السرمدية ٢٠٩ .
٥ـ المواهب السرمدية ١٨٥ .
٦ـ انظر المواهب السرمدية ٤٩٢ .
٧ـ الطبقات الكبرى ٨٦/٢ .
٨ـ الطبقات الكبرى ١٨٤/٢.

وله تعالى : ﴿ قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله.﴾(١).

وقوله تعالى : ﴿ ولله غيب السموات والأرض . . . ﴾ الآية (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب . ﴾ (٣).

وقوله تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر. ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ فقل إنما الغيب لله . . . ﴾ (٥).

وقال تعالى على لسان أول رسله نوح ـ عليه السلام ـ : ﴿ ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب . . . ﴾ (٦).

وقال على لسان آخر رسله محمد ﷺ : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب . . . ﴾ (٧).

وقال على لسان ملائكته ـ عليهم السلام ـ : ﴿ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتناإنك أنت العليم الحكيم . ﴾ (٨).

فإذا كان أفضل خلق الله وهم الرسل والملائكة قد تبرؤا من معرفة الغيب فكيف بمن دونهم ، قال تعالى عن الجن : ﴿ فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين . ﴾ (٩)

هذه بعض الآيات القرآنية في هذا الموضوع .

وأما أدلة الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ فيتبين عدم صحتها إن شاء الله تعالى فيما يلي :

١- النمل ٦٥ .
٢- هود ١٢٣ والنحل ٧٧ .
٣- ال عمران ١٧٩.
٤- الأنعام ٥٩ .
٥- يونس ٢٠ .
٦- هود ٣١ .
٧- الأنعام ٥٠ .
٨- البقرة ٣٢ .
٩- فلا الرسل ولا الملائكة ولا الجن يعلمون الغيب فهل يعقل أن يعلمه هؤلاء المنحرفون .

الجـواب علـى استـدلالـه الأول :

استدل بقوله تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ (١).

استدل بهذه الآية على أن من واظب على العبادة فإن الحكمة تظهر على قلبه بطريق الكشف والإلهام فيطلع على أمور غيبية . والجواب على ذلك كما يلي:

هذه الآية اشتملت على عدة قضايا منها :

١ - معنى الجهاد .

٢ - مقصد المجاهد .

٣ - ثمرة الجهاد ، « وهي الهداية ».

فالجهاد في هذه الآيه يشتمل على جميع أنواع الجهاد من قتال الكفار ونصر الدين بجميع أشكاله من الرد على المبطلين ، وقمع الظالمين ، وعظمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومجاهدة النفس (٢) وترويضها على عبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ على وفق ماشرعه المصطفى ﷺ لا على ماشرعه هؤلاء القوم .

هذا هو معنى الآية ولم يرد عن أحد من المفسرين خلاف ذلك .

قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ يقول الله تعالى ذكره : والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذباً من كفار قريش المكذبين بالحق لما جاءهم ، مبتغين بقتالهم علو كلمتنا ونصرة ديننا ﴿ لنهدينهم سبلنا ﴾ يقول لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم .) (٣).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (أي الذين جاهدو الكفار في طلب

١ـ العنكبوت ٦٩ .

٢ـ قاله سليمان الداراني انظر تفسير القرطبي ٣٦٤/١٣ .

٣ـ جامع البيان ١٥/٢١ .

مرضاتنا .) (١).

وقال ابن كثير نحو قولهما (٢).

فهذا هو المعنى المراد من الآية لا تلك العبادات التي تعتمد على الخلوة والسهر والجوع .

فهؤلاء قد شابهوا أهل الكتاب الذين ذمهم الله - سبحانه وتعالى - في كتابه حيث قال جل من قائل عليماً : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها . ﴾ (٣).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في معناها : (أي ما شرعناها لهم وإنما التزموها من قبل أنفسهم .

وقوله : ﴿ إلا ابتغاء رضوان الله ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم قصدوا بذلك رضوان الله . قاله سعيد بن جبير وقتادة .

والآخر : ماكتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم رضوان الله .

وقوله : ﴿ فما رعوها حق رعايتها ﴾ أي فما قاموا بما التزموه حق القيام وهذا ذم لهم من وجهين :

أحدهما : في الإبتداع في دين الله مالم يأمر به الله .

والثاني : في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموه أنه قربة يقربهم إلى الله - عز وجل - (٤).

فهم بهذه الرهبنة قد حملوا أنفسهم على المشقات بالإمتناع عن المطعم والمشرب والنكاح والتعلق بالكهوف والصوامع ، وذلك أن ملوكهم غيروا وبدلوا وبقي قليل فترهبنوا وتبتلوا .) (٥).

١- الجامع لاحكام القرآن ٣٦٤/١٣ .

٢- تفسير القرآن العظيم ٣٠٣/٦ .

٣- الحديد ٤٧

٤- تفسير القرآن العظيم ٥٤/٨ ، وانظر الجامع لاحكام القرآن ٣٣٨/٢٧ .

٥- انظر الجامع لاحكام القرآن ٢٦٣/١٧ .

وورد عن النبي ﷺ قوله : ((إن الرهبانية لم تكتب علينا .)) (١) .

وهؤلاء المتصوفة شابهوهم حينما ابتدعوا تلك العبادت القائمة على الرهبنة من الخلوات وغيرها .

وفي الحقيقة أن الذي يظهر بهذه العبادة من اهتلاس ، و هو مايزعمون أنه حكمه ، ليس من الغيب في شيء ، بل هو من إيحاءات الشياطين الذين يوحون إلى أولياءهم كما قال تعالى : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾(٢).

الجواب على استدلاله الثاني :

وهو قوله : (كل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام .) .

واستدل بقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب ﴾ قال : يعلمه من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة .) .

فالجواب على هذا من وجهين :

أحدهما : أن المعنى الصحيح لهذه الآية كما فسرها علماء السلف وأوجزه ابن جرير بقوله : (إن من يخف الله فيعمل بما أمره به ويجتنب ما نهى عنه ، ﴿ يجعل له من أمره مخرجاً ﴾ بأن يعرفه بأن ماقضى الله فلا بد أن يكون . . . ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ يقول : ويسبب له أسباب الرزق من حيث لا يعلم . . .) (٣).

قال سهل بن عبد الله في معناها : ﴿ ومن يتق الله ﴾ في اتباع السنة ﴿ يجعل له مخرجاً ﴾ من عقوبة أهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لايحتسب.)(٤)

وقال الشوكاني - رحمه الله تعالى - في معناها : (أي ومن يتق عذاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه والوقوف على حدوده التي حدها لعباده ،

١- مسند الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - ٢٢٦/٦ .

٢- الأنعام ١٢١ .

٣- جامع البيان ١٣٧/٢٨ ، وانظر تفسير القرآن العظيم ١٧/٨ .

٤- الجامع لأحكام القرآن ١٦٠/١٨ .

وعدم مجاوزتها ، يجعل له مخرجاً مما وقع فيه من الشدائد والمحن ﴿ ويرزقه من حيث لايحتسب ﴾ أي من وجه لايخطر بباله ولايكون في حسبانه .) . . ثم ذكر نحو هذا عن أئمة السلف (١).

الثاني : أن هذا الكلام يحتمل ثلاثة معان :

١ ـ إما أنه يريد أن القلب يحصل فيه علوم شرعية من القرآن أو السنة بدون تعلم وإنما ذلك بسبب المجاهدة .

٢ ـ وإما أنه يريد أن القلب يحصل فيه علوم جديدة تعلمها من اللوح المحفوظ مما ليس في الكتاب والسنة .

٣ ـ وإما أنه يريد أن القلب يحصل فيه فهم الشيء من القرآن والسنة التي تعلمها العبد كما يتعلمها غيره .

فإن أراد المعنى الأول واعتقد أنه يحصل من مجرد الخلوة والسهر والجوع والذكر والرياضة ونحوها له تعلم من غير أن يطلب العلم ؛ فهذا ولاشك غير صحيح فإن ذلك لم يحدث لخيرة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، بل كان أحدهم يتعلم ما جاء فيهما من النبي ﷺ أو من إخوانه من الصحابة حيث كانوا يتناوبون على حضور مجالس النبي ﷺ كما كان يفعل ذلك عمر بن الخطاب وغيره .

وقد كان أحدهم يَسْأل عما لايعرفه عندما يَجِدُّ له أمر من الأمور ، وسيرتهم مملوءة بذلك .

وقد بلغ الحد بالمتصوفة أنهم زعموا أن من اختلى بنفسه في زاوية وانقطع عن الدنيا وأشغل نفسه بالفرائض والرواتب فقط ، وجلس فارغ القلب مجموع الهم لايفرق فكره بقرآءة قرآن ولا بالتأمل بتفسير ولا حديث ، ولايخطر بباله غير الله مردداً بلسانه الله الله فقط إلى أن ينتهي إلى حالة يترك فيها لسانه ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ، ثم يصير عليه حتى يمحى

١ـ فتح القدير ٥/٢٤٢ .

أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظباً على الذكر ؛ إلى أن يمحى عن القلب صورة الذكر وحروفه ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه ؛ حاضراً فيه ، لازم له لا يفارقه ؛ إلى أن ينتهي باستدامة هذه الحالة إلى دفع الوسواس ، فعند ذلك يكون متعرضاً لنفحات الله ، فتظهر الحكم والعلوم والمعارف الغيبية بدون تعلم .)(١).

فهل هذا هو طريق حصول العلم ؟ ولو كان كذلك لكان هؤلاء هم أعلم الناس ؛ والمعروف أنهم من أجهل الناس بالشرع ، ولما احتاج الناس إلى الأنبياء ولاكتفوا بالتلقي عن الله بهذه الطرق .

٢ ـ وإن أراد أن القلب يحصل فيه علوم جديدة من اللوح المحفوظ فهذا أشد من الأول ، إذ يلزم من قوله هذا أن المجاهدة تؤدي ألى درجة أعلى من درجات الأنبياء الذين كانوا يتلقون علومهم من الوحي عن طريق الملائكة ، وكان رسول الله ﷺ كثيراً مايقول : أخبرني به جبريل آنفاً أو نحو ذلك ؛ كما جاء في حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : (بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه فقال : إني سائلك عن ثلاث لايعلمهن إلا نبي ، قال : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أخواله؟. فأجاب على ذلك النبي ﷺ ثم قال : ((خبرني بهن آنفاً جبريل .))(٢).

وكذلك حديث جبريل المشهور وفيه : هذا جبريل أتاكم يعلم الناس أمر دينهم)(٣).

وفي رواية لمسلم : (. . فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .) وغير ذلك كثير.

٣ ـ وإن أراد المعنى الثالث فهو حق .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : (لاريب أن الله يفتح على قلوب

١- انظر الإحياء ١٨/٣ .

٢- البخاري (ح٣٣٢٩) ، ومسلم (ح ٣١٥) .

٣- البخاري (ح٥٠) .

أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم ما يحبه ، مالا يفتح به على غيرهم . .) (١) .

فالله يجعل في قلب المؤمن قوة إيمانية ونوراً يُبَصِّرُهُ بالمراد من كلام الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ ، وقد دل على هذا القرآن الكريم في آيات عديدة منها :

قوله تعالى : ﴿ ففهمناها سليمان . . . ﴾ (٢) .

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : ﴿ ففهمناها ﴾ يقول : فهمنا القضية في ذلك سليمان دون داود ﴿ وكلا آتينا حكما وعلماً ﴾ (٣) .

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - بنحو ما قال (٤) .

ودل على ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً ۞ وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ۞ ولهديناهم صراطاً مستقيماً ﴾ (٥) .

فمن تمسك بهدي الله دله الله على الصراط المستقيم وأنجاه من عذابه ، ومن سلك غير طريقه يلتمس به القرب منه لم يزدد من الله إلا بعداً ؛ كما دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم . ﴾ (٦) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في معناها : (أي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله عن قلوبهم الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون . ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير

١- الفتاوى ٢٣/ ٢٤٥ .
٢- الأنبياء ٧٩ .
٣- جامع البيان ١٧/٥١ .
٤- الجامع لأحكام القرآن ١١/٣٠٧ .
٥- النساء ٦٦ - ٦٨ .
٦- الصف ٥ .
٧- الأنعام ١١٠ .

سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً . ﴾ (١) ولهذا قال الله تعالى في هذه الآية : ﴿ والله لايهدي القوم الفاسقين . ﴾ . أهـ (٢).

ومن الآيات الدالة أيضاً على ماذكرته قوله تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وءآتاهم تقواهم . ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ إنهم فتية ءامنو بربهم وزدناهم هدى . ﴾(٤) . وقوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . ﴾ (٥) وغيرها كثير .

وينبغي أن يعرف أن هذا التقى والصلاح سبب من الأسباب التي يفتح الله بها على قلوب بعض أوليائه المتقين ، وليس هو وحده كافياً في حصول العلم بل لابد من العلم والفهم للقضايا والأحكام (٦) وهذا أمر معلوم قد حصل لكثير من علماء السلف ، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : (نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .)) الحديث (٧).

الجواب على استدلاله الثالث :

أما استدلاله بقوله ﷺ : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله.)(٨).

فالجواب عليه من وجهين :

الوجه الأول : أنه إ ن أراد أن للمؤمن فراسة ناتجة من معرفة الله تعالى والإخلاص له في القول والعمل وباتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والإئتمار بأمره والإنتهاء عن نهيه ، فبسبب ذلك يقذف الله في قلب العبد المؤمن نوراً

١- النساء ١١٥ .

٢- تفسير القرآن العظيم ٨/١٣٥ .

٣- محمد ﷺ ١٧ .

٤- الكهف ١٣ .

٥- البقرة ٢ .

٦- انظر مجموع الفتاوى ١٢/٢٤٦ ، ٢٤٧ .

٧- أخرجه الترمذي (ح ٥٦٣٦) وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجة في المقدمة (ح ٢٣١ ، ٢٣٢) . وأحمد في المسند ٤/٨٠ ، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند اسناده صحيح ، انظر (ح ٤١٥٧) وأخرجه غيرهم . والحديث صحيح وقد استوفاه دراسة الشيخ عبد المحسن العباد في كتاب عنون له بالحديث .

٨- تقدم تخريجه انظر الفراسة ١١١ .

يفرق به بين الحق والباطل والصادق والكاذب (١) فيقع في قلبه من جراء ذلك النور تصورات ظنية ، كما قد يحدث فتقع الأمور حسب ماظنه وتصوره وتخيل وقوعه ، فهذا ليس من الغيب الذي أخبر الله - سبحانه تعالى - أنه اختص بعلمه ؛ لأن هذا ظن وليس بعلم والظن لا يغني من الحق شيئاً .

الوجه الثاني : أما إذا أراد أن يستدل به على أن الفراسة تحصل من ممارسة الرياضة والخلوة والذكر ونحو ذلك ، وبواسطتها يمكن للمرء أن يعرف أموراً من الغيب فهذا غير مسلم وغير صحيح لعد أمور :

١ - أن هذا ليس المراد من الحديث ؛ لأن النور المذكور في الحديث هو النور الناتج عن اتباع شرع الله - سبحانه وتعالى - بامتثال أوامره واجتناب نواهيه(٢) وقد تقدم ذكر كلام العلماء على هذا الحديث .(٣).

٢- أن هذه الكيفية من العبادة مبتدعة ولم يرد بها الشرع ، وكل ما خالف الشرع فهو باطل وكل مانتج عن الباطل فهو باطل ، ولا يكون الحديث دليلا على الباطل . فما يظهر من الخلوة والسهر والرياضة ونحوها من ادعاء الكشف ومعرفة الغيب فهو من وسوسة الشيطان وإيحائه ، وقد دل على ذلك قوله تعالى ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم . ﴾ (٤) .

وكل من خالف شرع الله فهو ولي للشيطان عدو للرحمن .

والشياطين تظهر لهم بعض الأمور الغائبة عنهم تضليلا لهم .(٥).

٣ - ماقاله ابن القيم - رحمه الله تعالى - : (بأن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها ، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ولا تدل على إيمان ولا على ولاية ، وكثير من الجهال يغتر بها . وللرهبان وقائع منها معلومه ، فهي لاتكشف عن حق نافع ولا عن

١- انظر مجموع الفتاوى ٢٥٦/١١ ، ٢٥٨ ذكر ذلك عن الكرماني .

٢- انظر تحفة الأحوذى ٥٥٥/٨ (ح ٣٣٣٣) .

٣- انظر الفراسة ص ١١٨ .

٤- الأنعام ١٢١

٥- انظر الفراسة ص (١٢١) ومابعدها

طريق مستقيم ؛ بل كشفها جزئي من جنس فراسة عَبَّارَة الرؤيا والأطباء ونحوهم . .) (١).

الجـواب علـى استـدلالـه الرابـع :

وهو قوله ﷺ : (إن من أمـتي محدثـين ومعلمـين ومكلمـين وإن عـمر منهم .) (٢).

فالجواب على هذا هو : الجواب على الحديث الذي قبله . ويجاب عنه أيضاً منه أيضاً بما يأتي :

١ ـ أنه لادليل في الحديث يدل على أن الولي يستطيع أن يعلم الغيب . وعلى فرض أن التحديث والإلهام يعرف به الغيب ؛ فهو غيب نسبي غاب عن الملهم والمحدث ؛ وعلمه غيرهما من الخلق ، فالغيب ينقسم إلى أربعة مراتب:

أ ـ مالا يعلمه إلا الله كعلم الساعة ونحوها .

ب ـ ما علم به بعض الملائكة .

ج ـ ما علم به غير الملائكة من الخلق .

هـ ـ ماعليه قرائن ودلالات إذا تنبه إليها الإنسان عرفه ، ومن أمثلة ذلك ماحكى عن إياس والشافعي وغيرها ، مما تقدم ذكره في الفراسة .

والإلهام والتحديث يتعلق بالمرتبة الثالثة .

وعلم الله يتعلق بها كلها ويختص بالأولى (٣).

فتبين من هذا التقسيم أنه لا دليل في الحديث على إمكان العلم بالغيب.

٢ ـ أما إن كان الإستدلال بالحديث على إمكان معرفة الغيب المطلق من معرفة ما في اللوح المحفوظ ، وآجال الناس ونحوهما ، فهذا إغراق في الباطل، ولاشك أن ادعاء مثل هذا من رعونات النفس وايحاء الشيطان وإلا فقد علم من النصوص الشرعية أنه لايعلم الغيب إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

٣ ـ أن عمر رضي الله عنه الذي أخبر النبي ﷺ بأنه من المحدثين في

١ـ مدارج السالكين ٥٠٧/٢ .

٢ـ تقدم تخريجه انظر ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

٣ـ انظر التنكيل ٢٤١/٢

هذا الحديث لم يقل في يوم من الأيام بأنه يعلم الغيب وحاشاه أن يقول مثل هذا ، فكيف يجوز لهؤلاء أن يدعوا التحديث ويدعوا أنهم يعرفون الغيب من خلاله .

٤ ـ على فرض أن في أمة محمد ﷺ محدثين وملهمين فمن يستطيع أن يجزم بتعيينهم وقد تقدم قوله ﷺ (. . فإن يكن في أمتي أحد فعمر .)(١).

وعلى هذا فإنه لايمكن تعيينهم إلا عن طريق الوحي ؛ والوحي لم يعين لنا إلا عمر ـ رضي الله عنه ـ فقط ، وقد تقدم مزيد بيان في معنى الحديث والمراد منه في مبحث الإلهام (٢).

٥ - وعلى فرض أن عمر ـ رضي الله عنه ـ كان يعلم شيئاً من الغيب عن طريق التحديث والإلهام ، فإن الوقائع التي وقعت له تخالف ذلك ، كما وقع له في الحديبية وحرب الردة وإنفاذ جيش أسامة ـ رضي الله عنه ـ مما يؤكد عدم معرفته بالغيب .

٦ - أنه ليس كل ولي محدث ، فالصديق ـ رضي الله عنه ـ أفضل هذه الأمة بعد رسولها ﷺ وهو أجل أولياء الله ومع هذا فإن الرسول ﷺ قال : (فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم .) (٣) ولم يقل ذلك في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ولا ينقص ذلك من مكانة الصديق لإن مرتبة الصديقية أعلى درجة .

الجواب على استدلاله الخامس :

وهو : استدلاله بقراءة ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبي ولا محدث . ﴾ (٤).

وجه استدلاله هو : الإستدلال بها على أن المحدث ملهم والملهم هو

١ـ انظر الإلهام (ص ١٣١ ـ ١٣٢) .

٢ـ انظر الإلهام (ص ١٣٢) .

٣ـ تقدم انظر ص (١٣١ ـ ١٣٢) .

٤ـ هذه القراءة لم ترد إلا عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ، وقد أخرجها البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه تعليقاً بعد ذكره للحديث رقم ٣٦٠٩ .

وقال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ : (أخرجه سفيان بن عيينة في أواخر جامعه ، وعبد بن حميد من طريقه ، وإسناده إلى ابن عباس صحيح . .) الفتح ٥١/٧.

الذي ينكشف له الغيب من باطن قلبه من جهة الداخل لامن جهة المحسوسات الخارجية بسبب التقوى وهذا علم من غير تعلم .

والجـــــواب علـى هـــــذا كمايلــــي :

الأول : يجاب عن القرآءة من وجهين :

أ- أن هذه القراءة ليست متواترة ، فلم ترو إلا عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ فقط (١) فلا يصح الإستدلال بها على ما ذكر الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ.

ب - وعلى فرض صحة الإستدلال بها فإنها تعني المحدثين الذين كانوا فيمن قبلنا ؛ لأنهم كانوا يحتاجون إليه ، أما أمة محمد ﷺ فلا تحتاج إليه . وقد دلت الآية على ذلك فقد نزلت مُسَلّيَة للنبي ﷺ ؛ ذكر الله فيها صفات الأمم السابقة .

قال الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : (هذه القرآءة ليست متواترة ولا معلومة الصحة ولا يجوز الإحتجاج بها في أصول الدين ، وإن كانت صحيحة فالمعنى أن المحدث كان فيمن قبلنا ؛ وكانوا يحتاجون إليه ؛ وكان ينسخ مايلقيه الشيطان إليه كذلك ، وأمة محمد ﷺ لاتحتاج إلى غير محمد ﷺ . ولهذا كانت الأمم قبلنا لا يكفيهم نبي واحد ؛ بل يحيلهم هذا النبي في بعض الأمور على النبي الآخر ، وكانو يحتاجون إلى عدد من الأنبياء ويحتاجون إلى المحدث (٢).

الثاني : قد تقدم أن المحدث هو الملهم وأن الإلهام ليس هو علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه وكل مافي الأمر أنه قد يقع له العلم الظني بأمور حدثت كما وقع ذلك لابي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ والظن لايسمى علماً (٣).

كما سبق أنه لايمكن أن يكون هناك علم من غير تعلم مطلقاً بل لابد من

١- العقيدة الاصفهانية ١٣٢ .

٢- العقيدة الاصبهانية ١٣٢ .

٣- انظر مبحث الإلهام ص ١٣١ ـ ١٤١ .

التعلم (١).

فتبين من هذا أنه لادليل في هذه القرآءة على إمكانية الإطلاع على الغيب .

الجواب على الإستدلال السادس :

وهو استدلاله بقول أبي بكر لعائشة ـ رضي الله عنهما ـ عند موته (إنما هو أخوك وأختاك . .) (٢).

فالجواب على هذا من عدة أوجه :

الوجه الأول : أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ حينما سألته وقالت : من الأخرى ؟. قال : (ذو بطن بنت خارجة أراها جارية .) .

قال الزرقاني : (أراها أي : أظنها .) (٣) فعلى هذا المعنى لم يكن أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ جزم بأنها بنت ، فيكون ليس من علم الغيب لأنه ظَنَّ وخَمَّنَ أنها جارية لعلامات قد يكون رآها والتَّخْمِيْنُ والظَّنُ ليس من علم الغيب.

الوجه الثاني : أنه قد يكون علم بذلك لرؤيا رآها في منامه أن هذا الحمل أنثى ، وهذا من باب الرؤيا الصادقة التي أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ ، وليست من باب الغيب المجرد .

قال ابن مزين : قال بعض فقهائنا : [في شرحهم للحديث] وذلك لرؤيا رآها أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ . (٤)

الوجه الثالث : وعلى فرض أنه لم يحدث شيء من ذلك فيكون إطلاعه من باب إلهام الله له أنها بنت ، وهذا ليس بغريب على الصديق لما عرف من تقواه وفضله حتى كان أفضل الناس بعد النبي ﷺ ؛ ولكن ينبغي أن ينبه أنه لم يجزم بذلك فقال أراها ، وأهل السنة لايمنعون مثل ذلك كما تقدم (٥).

١ـ انظر ص ٣١١ .
٢ـ تقدم تخريجه انظر ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ .
٣ـ شرح الزرقان على الموطأ ٤٤/٤
٤ـ شرح الزرقاني ٤٤/٤ .
٥ـ انظر الإلهام ١٤٣ ـ ١٤٤ .

وعلى هذا فتكون هذه كرامة من قبيل الكشف الصحيح كشفها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأبي بكر الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ بفضل اتِّبَاعِه للرسول ﷺ .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : (وأما المعجزات لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم مثل قول عمر ـ رضي الله عنه ـ في قصة سارية وإخبار أبو بكر أن في بطن زوجته أنثى .) (١).

وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : (الكشف الرحماني . . مثل كشف أبي بكر لما قال لعائشة ـ رضي الله عنهما ـ إن امرأته حامل بأنثى ، وكشف عمر ـ رضي الله عنه ـ لما قال ياسارية الجبل .) (٢).

وسيأتي بيان الكشف وما يصح منه ومالا يصح إن شاء الله في فصل مستقل .

الجواب على الإستدلال السابع :

وهو : قصة عمر ـ رضي الله تعالى ـ عنه مع سارية ، وقصة عثمان مع أنس ـ رضي الله عنهما ـ .

فالجواب عليه كما يلي :

١ ـ قول الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ : قول عمر أثناء خطبته : ياسارية الجبل الجبل (٣) إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك . ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة .

فالجواب عليه من عدة أوجه :

الوجه الأول : قال الألباني : إن الرواية التي فيها ذكر ان عمر ـ رضي

١ـ مجموع الفتاوى ٣٦٨/١١ .

٢ـ مدارج السالكين ٣٣٨/٣ .

٣ـ رواه ابن عساكر في تاريخه ١/٦/٧ ، ٢/١٣ عن ابن وهب : قال أخبرني يحيى بن أيوب عن خالد بن عجلان عن نافع أن عمر بعث سرية فاستعمل عليهم رجلا يقال له سارية فبينما عمر قائماً يخطب يوم الجمعة فقال : (ياسارية الجبل ياسارية الجبل .) فوجدوا سارية قد أغار إلى الجبل في تلك الساعة في يوم الجمعة وبينهما مسيرة شهر . وقال الألباني : (رواه البيهقي في دلائل النبوة ، وأبو بكر بن خلاد في الفوائد). وذكره ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في البداية والنهاية ١٣١/٧ ، وقال اسناده جيد حسن . ووافقه الألباني انظر الصحيحة ١٠١/٣ ح ١١١٠ وقد أفاض في تخرج الحديث .

الله عنه ـ حينما سئل عن ذلك قال : وقع في خلدي أن المشركين هزموا اخواننا فركبوا أكتافهم ؛ وإنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا وقد ظفروا ، وإن جازوا هلكوا . . .) (١) رواية لاتصح . ولم يصح إلا منادات عمر لسارية وسماع الجيش في رواية ابن وهب عن ابن عجلان (٢) .

وعلى هذا فالإستدلال به على ما يزعمه بعض المتصوفة من الكشف للأولياء واطلاعهم على الغيب ، وعلى مافي الصدور ونحوه باطل لايصح ؛ لاسيما وأن الأدلة دلالتها صريحة على اختصاص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعلم الغيب دون من سواه .

الوجه الثاني : على فرض صحة هذه الرواية والتسليم بأن الأمر كشف (٣) لعمر ـ رضي الله عنه ـ فإنه أيضاً لا يكون فيه دليل على إمكان الأولياء الإطلاع على الغيب ، بل يكون الكشف لعمر ـ رضي الله عنه ـ من قبيل الكشف الرحماني كشفه الله له على جهة الكرامة ، وألهمه النطق بما نطق به وأبلغ صوته إلى جيش سارية ؛ فهي واقعة وقعت لأمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ من قبيل الكرامة ، والكرامة لادخل للإنسان فيها لامن جهة العلم ولامن جهة القدرة ، خلافاً للمتصوفة الذين يدعون أن علم الغيب يحصل بقدرة الإنسان وعلمه .

ومن هنا يتبين أن الإستدلال بهذا الأثر على أن بإمكان الإنسان الإطلاع على الغيب باطل ، فإنه لو حصل وأن كوشف شخص ما بنحو ماكوشف به عمر ـ رضي الله عنه ـ فإنه لايدري حينما يكشف له الشيء هل هو صدق أم كذب حتى يقع ، فإن وقع كما كوشف به فهو صحيح ولكنه لايدل على أنه من الرحمن أو أنه كرامة ، بل قد يكون الشيطان خيل له تلك الحادثة التي وقعت له فرأى صورة مثلها . لأن الشيطان بأمكانه أن يفعل ذلك بل بإمكانه أن يمثل

١- رواه ابن الأثير في أسد الغابة ٦٥/٥ . وقال الألباني سنده لا يصح ؛ لان في رواة فرات بن السائب وهو منكر الحديث كما قال البخاري ، ومتروك كما قال الدارقطني .انظر السلسلة الصحيحة ٣/ ١٠٢ .

٢- انظر السلسلة الصحيحة ١٠٢/٣ .

٣- تقدم قول ابن تيمية وابن القيم بأنه قد كوشف في الرد على الدليل السادس انظر ص ٣١٩ وما بعدها.

أشخاصاً معينين بصفاتهم وصورهم.

ومن هنا يتبين أنه ليس كل كشف يكون من الله ، بل قد يكون من الشيطان ، كما أنه لايدل على كرامة أو قرب من الله ؛ لاسيما وأن مثل هذا يحصل للطغاة ؛ كما يحصل في آخر الزمان للدجال (١).

الوجه الثالث : أن عمر ـ رضي الله عنه ـ هو الذي وقعت له هذه الحادثة وهو سيد المحدثين وإمامهم قد حصل له الكثير من ذلك ولاسيما وأنه قد وافق القرآن في أكثر من قضية (٢) ومع هذا فهو لم يقل في يوم من الأيام بأنه يعلم الغيب ، بل إنه كان يعرض كل شيء يحصل له على الكتاب والسنة فما وافقهما أخذ به وإلا رده كما أنه أيضاً عرف عنه أنه قال رأياً في أكثر من قضية ثم رجع عنه لما تبين خطأه ومن ذلك ما وقع منه في صلح الحديبية وما وقع له بعد وفاة الرسول ﷺ وارتداد الناس عن الدين ، وغيرها كثير .

قال ابن تيمة ـ رحمه الله تعالى ـ : (كان عمر ـ رضي الله عنه ـ يفعل ماهو الواجب عليه فيعرض مايقع له على ما جاء به الرسول ﷺ فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر ، كما نزل القرآن بموافقته غير مرة ، وتارة يخالفه فيرجع عمر من ذلك . . فأي من ادعى ـ أو ادعى له أصحابه ـ أنه ولي لله، أو أنه مخاطب يجب على أتباعه يقبلوا ما يقوله ولايعارضوه ، ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة ؛ فهو وهم مخطئون ، ومثل هذا من أضل الناس ، فعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أفضل منه وهو أمير المؤمنين ؛ وكان المسلمون ينازعونه فيما يقوله وهو وهم على الكتاب والسنة ، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ (٣).

٢- أما استدلاله الثاني وهو : ما ذكر عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : (دخلت على عثمان ـ رضي الله عنه ـ وكنت قد لقيت امرأة في طريقي فنظرت إليها شزراً وتأملت محاسنها فقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ لما

١- وسيأتي بيان هذا في مبحث الكشف أن شاء الله تعالى .

٢- وسيأتي بيان هذا في مبحث الكشف إن شاء الله تعالى .

٣- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ٣٩-٣٦ . وانظر الإلهام (ص ١٣٨ ـ ١٣٩) .

دخلت : يدخل علي أحدكم وأثر الزنى ظاهر على عينيه ، أما علمت أن زنا العين النظر ، لتتوبن أو لأعزرنك . فقلت : أوحي بعد النبي ؟ . فقال لا ، ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة .) (١).

فالجواب عليه كما يلي :

أولا : لم يروه أصحاب كتب الحديث ولو كان صحيحاً لذكروه لاسيما وأن القشيري ذكره بصيغة التمريض .

ثانياً : وعلى فرض صحته فإنه يجاب عليه بما أجيب على الأثر الذي قبله ، وزيادة على ذلك يقال إنه لا دليل فيه على معرفة الغيب ؛ لأن عثمان ـ رضي الله عنه ـ فسر قوله بأنه بصيرة وبرهان وفراسة صادقة ، ونفى أن يكون وحياً . وعلى هذا فليس فيه أنما اطلع عليه غيب ، ويدل على هذا إنكار أنس قوله ، وسؤاله بقوله : أوحي بعد رسول الله ؟ مما يدل على أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يعتقدون أن معرفة الغيب تكون بالوحي دون غيره ؛ ولذلك نفى عثمان أن يكون وحياً ؛ وبين أنه فراسة صادقة ، والفراسة تدرك بالتجربة والمعرفة وما يظهر من آثار يُعْرَف فيها حال المتفرس فيه فيستدل بها على ما يظنه حصل ، فالفراسة مبنية على الظن والتخمين. وقد تكون بسبب النور الذي يقذفه الله في قلب عبده المؤمن كما جاء في الحديث : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله . .) (٢).

وعلى هذا فلا دليل فيها على إمكان معرفه الغيب المطلق ، وقد سبق بيان هذا (٣).

الجواب على الإستدلال الثامن :

قوله : (والدليل القاطع الذي لايقدر أحد جحده أمران :

١ـ هذا الاثر لم أقف عليه ، وقد ذكره القشيري في الرسالة القشيرية بصيغة التضعيف فقال : ذكر أن أنسا قال .. إلخ ص ١٠٨ . وذكره الغزالي في الإحياء ٣٥/٣ وذكره أيضا ابن القيم في مدارج السالكين (٥٠٦/٢، ٥٠٧) . وفي الطرق الحكمية ص ٤٠ .

٢ـ تقدم انظر ص ١١١ .

٣ـ انظر (ص ٣١٥) وانظر الفراسة ص ١١٨ ومابعدها .

الأول : أن الرؤيا الصادقة ينكشف بها الغيب وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أن ينكشف في اليقظة .).

فالجوال على هذا من وجوه :

الأول : أن هذا قياس غير صحيح ؛ لأن قياس ما يقع في النوم من الرؤيا الصادقة على ما يخيل لأحدهم في اليقظة من تخيلات ونحوها قياس مع الفارق ، خصوصاً أن العِلّة في الأول غير موجودة في الثاني .

الثاني : لوجاز أن يكون الذي يقع في النوم يقع في اليقظة لجاز أن يمشي الإنسان بدون رأس ، أو أن يموت ثم يعود إلى الحياة ونحو هذا مما يحدث في المنام عادة وهذا مستحيل .

الثالث : أن هذا القياس أيضاً قياس فاسد لأن الأصل المقيس عليه غير متعين فالرؤيا لايعرف صدقها من عدمه إلا بعد مطابقتها للواقع . فصاحبها لايجزم بصدقها حتى تقع فتكون قبل وقوعها في مرتبة الظن بخلاف ما يزعمه الصوفية في ادعاء الغيب حيث أنهم يجزمون بوقوعها .

الجواب على على الإستدلال التاسع :

وهو قوله : (إذا جاز للنبي ﷺ الإخبار عن أمور الغيب فكيف لايجوز للولي ذلك ؛ إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشغل بإصلاح الخلق .)

فالجواب عليه من وجوه :

الأول : هذا قياس فاسد فكيف يقاس من ليس بنبي على النبي ؟ .

فهناك فروق بين النبي والولي منها مايلي :

« أن من سب نبياً من الأنبياء قتل وكان كافراً مرتداً بخلاف

الولي»(١).

والإيمان بالرسل واجب لايتم الإيمان إلا بهم ، قال تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق يعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . ﴾(٢).

وقال ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً .﴾(٣).

فدلت هاتان الآيتان وغيرهما على وجوب الإيمان بالرسل . ويكون ذلك باتباع خاتمهم ﷺ بالإئتمار بأمره والإنتهاء عن نهيه وليس ذلك للولي مما يدل على بطلان ذلك القياس .

الثاني : أن هذا القول مأخوذ من قول الفلاسفة الذين يزعمون أن مايخبر به النبي مأخوذ من العقل الفعال الذي يفيض على الأنبياء وغيرهم ، ومبني أيضاً على قول من يقول : « إن النبوة مكتسبة » كالمتصوفة وغيرهم (٤).

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - مجيباً على مثل هذه المقوله : (ليست النبوة قوة تدرك بها الأمور وإنما يشبه هذا أصول الفلاسفة الذين يزعمون أن الفيض دائم من العقل الفعال ، وإنما يحصل في القلوب بسبب استعدداد الأشخاص فأي عبد كان استعداده أتم كان الفيض عليه أتم ، من غير أن يكون من الملأ الأعلى سبب يخص شخصاً دون شخص بالخطاب والتكليم . وليس هذا مذهب المسلمين ولا اليهود ولا النصارى ، بل هؤلاء كلهم إلا من ألحَدَ منهم متفقون على أن الله - سبحانه - خص موسى بالتكليم دون هارون وغيره ، وأنه يخص بالنبوة من يشاء من عباده ؛ لا أنه بمجرد استعدادد تفيض عليه العلوم من غير تحصيص إلهي)(٥).

١- انظر العقيدة الاصفهانية (١٣٢) ومجموع الفتاوى (٢٩٠/١٠) .

٢- البقرة (١٣٦) .

٣- النساء (١٣٦) .

٤- انظر مجموع الفتاوى (٦٠٦/١١ - ٦٠٧) والعقيدة الاصفهانية (١٢٣) .

٥- العقيدة الاصفهانية (ص ١٢٣) وانظر درء تعارض العقل والنقل (٣٤٩/٥) .

والغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ دخل في الفلسفة وخبرها وتأثر بها فلما تبين له بطلانها وعزم على تركها لم يستطع أن يتخلص من جميع ماتعلمه وعرفه عن الفلسفة والفلاسفة ، ولعل هذا يكون قد علق بذهنه من جراء دراسته للفلسفة وتعلمه لها . وهذا واضح في أغلب كتبه . (١).

الثالث : أن النبي إنما عرف بعض أمور الغيب عن طريق الوحي الإلاهي بخلاف الولي فإنه ليس كذلك (فليس في الأولياء من شاهد ما شاهده النبي ﷺ ليلة المعراج ، ولا شاهد الملائكة الذين كانوا ينزلون بالوحي على النبي ﷺ ، ولا سمع أحد منهم كلام الله الذي كلم به نبيه ليلة المعراج ، ولاسمع عامة الأنبياء فضلا عن الأولياء كلام الله كما سمعه موسى بن عمران فضلا عن أن يكون ذلك يحصل لأحد من الأولياء .) (٢).

الرابع : أن الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ وغيره من الأنبياء واجب فإنهم معصومون ، ولايجب الأيمان بكل مايقوله الولي بل لايجوز . فإنه مامن أحد من الناس إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .

الخامس : أن ما يخبر به النبي ﷺ من المغيبات معروف مصدره وهو الوحي الإلهي ، لذلك يجب تصديقه بدون تردد لعلمنا أنه يوحى إليه ، أما غيره من الأرلياء ونحوهم فما هو دليل صده على دعواه .

قال تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أومن وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليٌ حكيم . ﴾ (٣).

وقال اله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظر على غيب أحداً . إلا من اتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً . . . ﴾ (٤).

فمن الذي يقول إنه يوحى إلى الأولياء أو أنه استثنى الأولياء من الأنبياء ؟ .

١- انظر المنقذ من الضلال انظر ص ٨١ وما بعدها والقارئ لهذا الكتاب يرى ماذكرته .

٢- العقيدة الأصفهانية (ص ١٣٢) .

٣- الشورى (٥١) .

٤- (الجن ٢٦ ـ ٢٧) .

وأخيراً فإنه لايجوز أن يقاس أحد على الأنبياء في أى أمر من أمورهم لأجماع الأمة على تفردهم وتميزهم بالوحي واختصاصهم بخصائص لاتحدث لغيرهم . فضلا عن أن هذا القياس من الغزالي - رحمه الله تعالى - تصور خطير يؤكدما يدعيه الفلاسفة في اعتقادهم في النبوة والأنبياء كما تقدم ذكره من كلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - .

الجواب على استدلالات ابن عطاء الله السكندري .

سيكون الجواب هنا على الأدلة التي ذكرها وكانت زائدة على أدلة الغزالى فقط :

الجواب على دليله الأول وهو قوله :

(إعلم أن اطلاع أولياء الله على بعض الغيوب لايحيله العقل وقد ورد به النقل) [١].

فالجواب عليه كما يلي :

يقال له هذا كلام جدلي ، فإن أردت بأن العقل لايحيل الإطلاع على الغيوب النسبية إذا وجدت أسبابها ؛ فهذا صحيح فإن المرء قد يعلم مايقع بعيداً عنه بطريق الخبر أوالرؤية بالوسائل الممكنة أو بنحو ذلك .

وإن أردت أن العقل لايحيل الإطلاع على الغيوب المطلقة ومنها علم المستقبل فهذا كذب ودجل ، لأن الغيب المطلق لايمكن علمه إلا عن طريق الوحي المنزل على الرسل .

ثم إن العقل السليم يحيل معرفة الغيوب على العكس مما قاله وقد يجيز ذلك العقل السقيم ، أو عقل صاحب الهوى كبعض المتصوفة والرافضة ، وأما العقول التي تَربَّت على الكتاب والسنة فإنها لاتجرؤ على مثل هذا الإدعاء .

وأما قوله إن النقل ورد به فهذا غير صحيح . بل النقل ورد بخلاف ذلك. وأما ماذكره من أدلة فلا تصح متمسكاً حيث أنها لادلالة فيها على

١- انظر ص ٢٩٧ .

ماذكر كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الجواب على استدلاله الثاني وهو :

قول علي - رضي الله عنه - :

(والله ما مات ولن يموت حتى يملك ما تحت قدمي هاتين وإنما أراد ابن هند أن يستثير علمي فيه .)

فالجواب عليه كما يلي :

أولا : يقال لمن استدل به أثبت لنا صحة هذا الأثر ، فإن كثيراً من الأخبار ما يكون باطلا ومكذوباً على صاحبه، وخاصة على علي - رضي الله عنه - الذي كثر الكذب عليه وانتشر وأصبح ملتبساً بالحق . وقد بحثت عن هذا الأثر في مضانه فلم أقف عليه .

ثانياً : على فرض صحة هذا الخبر فإنه لايستبعد أن يكون علم بذلك عن طريق خبر جاء عن النبي ﷺ . أو أنه علم ذلك بمجموع روايات أحاديث الفتن ، وخاصة ماورد فيما وقع في عهده فإنه قد وردت أحاديث كثيرة في شأن الفتن .

أو أنه علم بذلك لما رأى شدة تفرق أصحابه عنه واختلافهم عليه . وشدة إلتفاف أصحاب معاوية - رضي الله عنه - عليه .

ثالثا : وعلى فرض أنه لم يحصل ذلك فإنه قد يكون علم بذلك من طريق الرؤيا الصادقة . وعلى هذا فلا يصح أن يكون دليلا على إمكان اطلاع العبد على الغيب ، وقد بينت فيما سبق أن مثل هذه الحوادث ليست من علم الغيب ولا دليلا على إمكانية معرفته .) (١).

الجواب على استدلاله الثالث وهو :

قوله : (وحكايات الأولياء في كل عصر ومصر تتظمن ثبوت ذلك ..).

هذا القول غير صحيح لعدة أمور :

١- انظر الرد على الدليل السادس والسابع من أدلة الغزالي رحمه الله تعالى ص ٣١٩ وما بعدها .

الأمر الأول : أن الحكايات ليست دليلا شرعياً ولم نُتَعَبَّد بها وإنما تعبدنا باتباع الكتاب والسنة ، فلاتثبت بها الأحكام فضلا عن العقائد .

الأمر الثاني : أن هذه الحكايات إن صحت فهي مخالفة للأدلة التي ذكرتها في الباب الثاث ، والتي تدل على اختصاص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعلم الغيب .

الأمر الثالث : أن أكثر هذه الحكايات ملفقة ومكذوبة على أصحابها ولا سيما ما نسب إلى عبد القادر الجيلاني والجنيد والرفاعي وغيرهم من الصوفية المتقدمين الذين كانوا على خلاف ماأحدثه المتأخرون من بعدهم .

الأمر الرابع : ليس كل من ادعى الولاية أو نسبت إليه يكون ولياً بل الولي كل من اتقى الله ـ جل وعلا ـ واتبع أوامره واجتنب نواهيه . وغالب المتصوفة المتأخرين على عِبَادَات مُخالفة للكتاب والسنة .

الأمرالخامس : ليس كل خارق للعادة يكون كرامة ؛ لأن مثل هذه الحكايات كما أنها تقع من المؤمن المتقى كذلك تقع من المسلم الفاسق ، وإضافة على ذلك فهي تقع من الكافر . فلاتصلح أن تكون دليلا على إمكان الإطلاع على الغيب ؛ لأن الكهان ومن هم على شاكلتهم يخبرون عن أمور غيبية بواسطة شياطينهم .(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : (أولياء الله هم المقتدون بمحمد ﷺ فيفعلون ما أمر به وينتهون عما عنه زجر ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه ، فيؤيدهم بملائكته وروح منه . ويقذف في قلوبهم من أنواره ، ولهم من الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين وكراماتهم

١ـ انظر الفرقان ٦٩ . وانظر الفصل السابق في الكهان ص ٢٤٨ .

إنما حصلت ببركة إتباع رسول الله ﷺ .) (١).

الجـواب علـى استـدلاله الرابـع وهو :

استدلاله بالحـديث القـدسي : (. . ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافلحتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي.)(٢).

الجـواب عليـــه مـن وجهـيـــن :

أولا : أن معنى الحديث كما قال ابن تيمية (أن الله تعالى يقرب العبد بالفرائض ، ولا يزال العبد يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه الله ، فيصير العبد محبوباً إلى الله كما قال تعالى : ﴿ قل إ ن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾(٣)وقال: ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . ﴾ (٤).

وقال : ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾(٥) فقد أخبر انه يحب المتبعين لرسوله ، والمجاهدين في سبيله ، وأنه يحب التوابين والمتطهرين فهو سبحانه يحب كل ما أمر به أمر إيجاب واستحباب .) (٦).

والمحبة مستلزمة بأن يحب المحب مايحبه محبوبه ويبغض مايبغض محبوبه ، ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه ، ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه ويأتمر بأمره وينتهى عما نهى عنه ، فهو موافق له في ذلك .

فهؤلاء هـم الذين يرضى الرب برضاهم ويغضـب لغضبهم لأنهم لايرضـون

١- الفرقان ٦٥ .
٢- تقدم تخريجه انظر ص ١١٨ ـ ١١٩ .
٣- آل عمران ٣١ .
٤- البقرة (٢٢٢) .
٥- الصف ٤ .
٦- الفتاوى ٥/٥١١ ـ ٥١٢ .

إلا بما يرضى به الرب ولا يغضبون إلا لما يغضب الرب وهذا معنى قوله : (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به . . فبي يسمع وبي يبصر ...) فالعبد لايبصر إلا مايحبه الله ولايسمع ولا يمشي ولايبطش إلابما يحبه الله ويرضاه ، ولهذا قال : « كنت سمعه الذي يسمع به بمعنى أنه لايسمع إلا مايرضي الله ـ سبحانه وتعالى ـ (١).

ثانياً : أن استدلاله مبني على فناء العبد بالرب حتى يكون العبد هو الرب والرب هو العبد ، وهذا اعتقاد الإتحادية والحلولية ، وليس في الحديث اتحاد الذاتين ، ذات العبد وذات الرب حتى يكون الله سمعاً وبصراً ويداً . الخ للعبد فإن هذا محال والقائل به كافر وهو قول النصارى والغالية من الرافضة (٢) والنساك كأتباع الحلاجية ونحوهم ، كما أنه لايدل على الإتحاد فكذلك لايدل على حلول الولي بالمولى سبحانه ، فكل هذا كفر .

وإنما دل الحديث على اتحاد نوعي وصفي ، وهو اتفاق واتحاد في المحبوب المرضي المأمور به والمبغض المكروه المنهي عنه فقط ، دون تعلق في الذات (٣).

ومن هنا يتبين بطلان مقولة السكندري بأن (من كان الحق بصره فليس الإطلاع على الغيب بمستغرب فيه . .) . وأن هذه المقاله مقاله أهل وحدة الوجود الذين يزعمون أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق ، فهذا تعطيل للخالق وجحود له (٤).

وهذه المقالة أيضاً قال بها أهل الفناء الذين تقع منهم المحبة لمحبوبهم حتى يغيب المحب بمحبوبه عن نفسه وحبه ، وبمذكوره عن ذكره وبموجوده عن وجوده، حتى لايشهد إلا محبوبه ، فيظن في زوال تمييزه ونقص عقله وسكره أنه محبوبه ، كما قيل إن محبوباً وقع في اليم فألقى المحب نفسه

١- راجع الفتاوى ٥١١/٥ ، ٦٠، ٥٨ ، ٦١. وراجع قاعدة في المحبة لابن تيمية ص ٧٢ ، ٩٠ وما بعدها .

٢- انظرمجموع الفتاوى ٧٤/١١ .

٣- الفتاوى ٥٩/١٠.

٤- انظر مجموع الفتاوى (٧٤/١١) .

خلفه فقال المحبوب : أنا وقعت فمن أوقعك ؟ . قال المحب غبت بك عني فظننتك أني (١).

وأنشدوا :

رقت الزجاجة وراق الخمر فتشاكلا فتشابه الأمر

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : (وقد يكون للمؤمنين العارفين بالله المحبين له من مقامات القرب ومنازل اليقين مالا تكاد تحيط به العباره ولايعرفه حق المعرفة إلا من أدركه وناله ، والرب رب ، والعبد عبد ، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا أحد من أهل المعرفة بالله يعتقد حلول الرب تعالى به أو بغيره من المخلوقات ولا اتحاده به .)(٢).

فتقع المحبة بين العبد والرب دون حلول ولا اتحاد بينهما ؛ فالله بائن من خلقه مستوي على عرشه .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : (قد بَيَّنَ في هذا الحديث أن المتقرب ليس هو المتقرب إليه بل هو غيره . . ففرق بين السائل والمسئول ، والمستعيذ والمستعاذ به ، وجعل العبد سائلا لربه مستعيذاً به . .) (٣) والرب مستعاذ به مسئولا .

ومن هنا يتبين لنا عدم صحة الإستدلال بهذا الحديث وما شابهه من إمكان اطلاع العبد على الغيب لعدم دلالة الحديث عليه وأن استدلال السكندري لايصح ؛ بل لايجوز أن يعتقد به مسلم ، لأن اعتقاد الحلول والإتحاد بين العبد والرب كفر مخرج من المله .

الجواب على استدلاله الخامس وهو :

استدلاله بقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من

١ـ انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥٩/١٠ .

٢ـ انظر مجموع الفتاوى ٧٤/١١ .

٣ـ انظرمجموع الفتاوى ١٣٤/١٧ .

ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً . ﴾ (١).

يقول :إن الولي ملحق بالرسول في الإطلاع على الغيب لإنطوائه في جاه النبوة ، ولم يذكر الولي أيضاً لإن الرسول أولى بذلك مما سواه فاكتفى بذكره .

فالجواب على هذا من عدة أوجه :

الوجه الأول : في بيان معنى الآية : قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - قوله : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه . . . ﴾ الآية يعني بعالم الغيب عالم ما غاب عن أبصار خلقه فلم يروه ﴿ فلايظهر على غيبه أحداً ﴾ فيعلمه أو يريه إياه ، ﴿ إلا من ارتضى من رسول فإنه ﴾ يظهره على ماشاء من ذلك ، وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل)(٢).

وقال ابن كثير بنحو ما قال (٣).

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - : (قال العلماء - رحمة الله عليهم - : لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لايعلم الغيب أحد سواه ، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأطلعهم على ماشاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقه على نبوتهم .)(٤).

الوجه الثاني : أن هذا هو معنى الآية الكريمة ولم يرد لها معنى آخر عند علماء الأمة ولا عامتها قبل أن تظهر ادعاءات الصوفية بما ادعوه ولا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقيد ما أطلق الله - عز وجل - أو يطلق ما قيده الله - سبحانه وتعالى - وإلا فإنه يكون بذلك مستدركاً على خالقه ، ولا ينزلق في هذا الدرك إلا من حرم الإيمان والعقل ، وإلا فمن يجرؤ أن يزعم أن الآيه القرآنية ليست مطابقة للواقع ؛ إذ أن الله خص بنص الآية الرسل من

١- الجن ٢٦ ، ٢٧ .

٢- جامع البيان ١٢١/١٩ .

٣- تفسير القرآن العظيم ٢٧٥/٨ .

٤- الجامع لاحكام القرآن ٢٨/١٩ .

بقية الخلق بمعرفة الغيب ، فإذا زعم أحد أن غير الرسل مستثنون من العموم مع الرسل كالأولياء أونحوهم ، فإن ذلك استدراك على الله ـ عز وجل ـ وهذا خذلان نعوذ بالله منه ، وتحريف الكلام عن مواضعه كما كانت أفعال اليهود . وقد ذم الله اليهود على فعلهم ذلك فقال . ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه . ﴾ (١).

وقال : ﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . ﴾ (٢).

الوجه الثالث : أن مثل هذا القول يفتح الباب لمن يريد هدم الشريعة الإسلامية ،فيصبح كل من خطرت له فكرة أو عنت له بدعة أخذ النصوص وحرفها ، أو صرف معانها إلى ما يريده من بدعة أوهوى أو شهوة . فالله المستعان .

أما قوله : إن سبب اطلاع الرسول على الغيب رِضَى الله عنه . والصديق والولي رضي الله عنهما ؛ واكتفى بذكر الرسول دون الولي ؛ لأن الرسول أولى بذلك منه .

فالجواب عليه أن نقول : إن الأمر ليس كذلك وإنما السبب الأكبر في ذلك هو الرسالة والنبوه والرضى سبب آخر ، فليس كل من رضي الله عنه أطلعه على الغيب وإلا لكان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يعلمون الغيب ، لأن الله قد رضي عنهم كما أخبر بذلك في قوله : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجره .. ﴾ (٣).

ولو كان الأمر كذلك لتواتر عنهم معرفة الغيب ، لكن الذي نقل عنهم القول بأن الغيب لا يعلمه إلا الله تمسكاً منهم بكتابه وسنة رسوله ﷺ .

وأما تعليلاته بأمثلة ضربها ليبرر بها ما ذهب إليه فهي تعليلات باطلة لايصح أن تبنى عليها العقائد ، لأن العقائد لا تؤخذ من الأمثلة والعقول ، فما

١- النساء ٤١ .
٢- البقرة ٧٥ .
٣- الفتح ١٨ ،

ورد عن الله ورسوله فهو شرع لنا لايجوز أن نتعداه وإن خالفه العقل السقيم ، وإلا فالعقل الصحيح لايخالف النقل الصحيح ، ولا أصح من هذه الآية ، وقد دلت دلالة صريحة على أن الغيب من خصائص الله لا يعلمه أحد سواه ؛ إلامن ارتضى من رسول فقط ؛ فإنه يطلعه على ما أراد من الغيب . والله تعالى أعلم .

الفصل الثالث : الكشف عند الصوفية :

علم الغيب

تعريف الكشف :

هو رفع الشيء عما يواريه ويغطيه ، يقال كَشَفَهُ يَكْشِفُهُ كَشْفاً ؛ وكشفه فانكشف وتَكَشَّفَ أي ظهر (١).

وفي الحديث : (لو تكاشفتم ما تدافنتم) (٢) أي لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه (٣).

وقد عرفه الغزالي - رحمه الله تعالى - بقوله : (هو علم الباطن وغاية العوالم . . وهو علم الصديقين المقربين . . فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة . . .

ثم قال : (فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحاً يجري مجرى العيان الذي لايشك فيه ، وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا .) (٤).

وعرفه القشيري بقوله : (هو حضوره بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل ، وتقلب السبيل ، ولامستجيراً من دواعي الريب ولا محجوب من نعت الغيب .) (٥).

وأشار ابن تيمية - رحمه الله تعالى - إلي الكشف بقوله : (فما كان من باب الخوارق من « باب العلم » فتارة بأن يسمع العبد مالا يسمعه غيره . وتارة بأن يرى مالا يراه غيره يقظة ومناماً . وتارة بأن يعلم مالا يعلم غيره وحياً وإلهاماً ، أو إنزال علم ضروري أو فراسة صادقة ، ويسمى كشفاً

١- لسان العرب (٣٠٠/٩) مادة كشف .

٢- يشهد له مارواه مسلم من حديثي أنس وزيد بن ثابت وفيه : « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر » صحيح مسلم (ح ٢٨٦٧) ، وأخرجه النسائي أيضاً في الجنائز باب عذاب القبر وأحمد ١٠٣/٣ ، ١١١ .

٣- النهاية في غريب الحديث (١٧٦/٤) .

٤- الإحياء (٣٦/١ - ٣٧) .

٥- الرسالة القشرية (٤٠) .

ومشاهدات ، ومكاشفات ومخاطبات فالسماع مخاطبات ؛ والرؤية مشاهدات والعلم مكاشفة ويسمى ذلك كله « كشفاً » أي كشف له عنه .) (١).

١- مجموع الفتاوى (٣١٣/١١) .

علم الغيب

أنواعـــه :

الكلام على الكشف مثل الكلام على التحديث والإلهام والرؤيا ، فمنه ماهو حق صحيح ، ومنه ماهو باطل غير صحيح .

قال ابن تيميه ـ رحمه الله تعالى ـ : (. . إن **المكاشفات يقع فيها من** الصواب والخطأ نظير ما يقع في الرؤيا وتأويلها والرأي والرواية ، وليس شيء معصوم على الإطلاق إلا ماثبت عن الرسول ﷺ .) (١).

فالنوع الأول : الكشف الصحيح وهو الموافق المطابق للحق الذي بعث به رسول الله محمد ﷺ وأنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل . والباطل هو المخالف لذلك .

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : (الكشف الصحيح : أن يعرف الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه . . ويجرد إرادة القلب له فيدور معه وجوداً وعدماً ، هذا هو التحقيق الصحيح وماخالفه فغرور قبيح .) (٢).

فهذا القسم من الكشف يقع لأولياء الله الصالحين ، فإنه يتجلى للمطيعين أمور يكشفها الله ـ عز وجل ـ لهم يكون فيها تأييد لهم على التمسك بدينه ، وإظهار الحجة للناس لحملهم على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وتطبيقهما باطناً وظاهراً (فإن كرامات أولياء الله ـ عز وجل ـ كمعجزات نبينا محمد ﷺ لم يخرجها إلا لحجة أو حاجة . فالحجة ليظهر بها دين الله ليؤمن الكافر ويخلص المنافق ويزداد الذين آمنوا إيماناً ، فكانت فائدتها اتباع دين الله علماً وعملا ، كالمقصود بالجهاد ، والحاجة كجلب منفعة يحتاجون إليه . . .) (٣).

وهذا الكشف الصادق هو الذى قال عنه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : (اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ، فإنه تتجلى لهم أمور

١ـ مجموع الفتاوى (٤٢٩/١١) .
٢ـ مدارج السالكين (٢٣٦/٣) .
٣ـ مجموع الفتاوى (٣٢٥/١١) .

صادقة .) (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ معلقاً على قول عمر ـ رضي الله عنه ـ : (هذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات فأفضل هؤلاء في هذه الأمة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ فإن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر .)(٢).

وهذا النوع من الكشف هو المسمى بالكشف الرحماني ، لأن سببه طاعة الله عز وجل فيؤيد أولياءه بمثل هذه الكشوفات كما وقع لأبي بكر حينما أخبر أن ببطن زوجته انثى (٣).

ووقع لعمر ـ رضي الله عنه ـ في قصته مع سارية (٤) وفي إخباره بمن يخرج من ولده فيكون عادلا . وأيضاً ما وقع لصاحب موسى [الخضر] حينما أخبر بأن الغلام سيرهق أبويه طغياناً وكفراً فقتله رحمة بأبويه . . . (٥).

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : (الكشف الرحماني من هذا النوع هو مثل كشف أبي بكر لما قال لعائشة ـ رضي الله عنهما ـ إن امرأته حامل بأنثى ، وكشف عمر ـ رضى عنه ـ لما قال ياسارية الجبل . وأصناف هذا من كشف أولياء الرحمن . . وأفضله وأجله أن يكشف للساك عن طريق سلوكه ليستقيم عليه ، وعن عيوب نفسه ليصلحها ، وعن ذنوبه ليتوب عنها .

فما أكْرَمَ اللهُ الصادِقِينَ بكرامةٍ أعظم من هذا الكشف ، وجعلهم منقادين له عاملين بمقتضاه ، فإذا انظم هذا الكشف إلى كشف تلك الحجب المتقدمة على قلوبهم سارت القلوب إلى ربها سير الغيث إذا استدبرته

١- مجموع الفتاوى (١١/٢٠٥) .

٢- مجموع الفتاوى (١١/٢٠٥) .

٣- تقدم انظر (ص ٢٤٩ ـ ٢٩٥) .

٤- تقدم انظر (ص ٣٦٠)

٥- انظر مجموع الفتاوى (١١/٢٣٨) .

الريح .)(١).

سبب هذا النوع من الكشف :

هذا الكشف من ثمرات التقوى الناتجه عن اتباع شرع الله عز وجل والإقتداء برسوله ﷺ والإخلاص في القول والعمل ، وبلوغ أعلى مراتب الإيمان حتى يصل في عبادته إلى مرتبة الإحسان فيعبد الله كأنه يراه . . .

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ (إذا بلغ العبد مقام المعرفة إلى حد كأنه يطالع ما اتصف به الرب ـ سبحانه وتعالى ـ من صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، وأحست روحه بالقرب الخاص الذي ليس هو كقرب المحسوس من المحسوس ، حتى يشاهد رفع الحجاب بين روحه وبين ربه ، فإن حجابه هو نفسه ، وقد رفع الله سبحانه وتعالى عنه ذلك الحجاب بحوله وقوته : أفضى القلب والروح حينئذ إلى الرب فصار يعبد الله كأنه يراه ، فإذا تحقق بذلك وارتفع عنه حجاب النفس وانقشع عنه ضبابها ودخانها وكشطت عنه سحبها وغيومها فهناك يقال له :

بدا لك سر طال عنك اكتتامه ولاح صباح كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فإن غبت عنه حل فيه وطنبت على منكب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لايمل سماعه شهي إلينا نثره ونظامه
إذا ذكرته النفس زال عناؤها وزال عن القلب الكئيب قتامه

ذكره ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ (٢).

ومع هذا فهذا النوع من الكشف ظن وتخمين .

١ـ مدارج السالكين (٢٣٨/٣) .
٢ـ مدارج السالكين (٢٣٢/٣).

النـوع الثـانـي : الكشـف البـاطـل :

وهو على قسمين :

أحدهما : مايحصل من طريق وسوسة النفس وإيحائها .

والآخر : ما يحصل من إيحاء الشياطين ووسوستهم أو من كليهما فقد جاء في الحديث وصف النفس « بإنها تتمنى وتشتهي » (١) فهي مصدر مؤثر على الأعمال الظاهرة والباطنة ، وكذلك الإخبار بأن للشيطان لمة كما أن للملك لمة .

فأمـا القسـم الأول : فإن له تأثير في ما ينكشف للعبد ؛ كما صرح بذلك أهل السلوك فإنه قد يكون الكشف تخيلا موافقاً لحديث النفس ، فكثيراً ما يكشف للرجل بما يوافق رأيه وهواه سواءً كان حقاً أو باطلا ، وكذلك تجد في المتصوفة من ينتسب إلى قول أهل الحديث ويزعم أنه يكشف له بصحة مذهبه ، وهكذا تجد فيهم الأشعري والمعتزلي والمتفلسف وغيرهم ، وكل يكشف له بصحة مذهبه وبطلان مذهب مخالفه وكل منهم لايكذبه ولكنه يكذب كشفه ، وقد يكشف لأحدهم بما يوافق مقالات الفرق التي ينتسب إليها ؛ وإن لم يكن قد عرف تلك المقالات من قبل ، وكأنه لحسن ظنه بهم وحرصه على موافقتهم إنما تتجه همته إليهم فيقرأ أفكارهم وترتسم في مخيلته أحوالهم .

فهذا النوع من الكشف يكون إذاً تبعاً للهوى ، فغايته أن يؤيد الهوى ويرسخه في النفس ويحول بين صاحبه وبين الإعتبار والإستبصار ، فكأن الساعي في أن يحصل له الكشف إنما يسعى في أن يضله الله ـ عز وجل ـ كما قال تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه

١ـ متفق عليه عن أبي هريرة ولفظه : (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة : فزنا العين النظر ، وزنا اللسان المنطق ، والنفس تتمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك كله أويكذبه البخاري (ح ٦٢٤٣) ، ومسلم (ح ٢٦٥٧) ، وأحمد ٢٧٦/٢ .

وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون . ﴾ ؟ (١).

وقال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . ﴾ (٢).

ولا ريب أن من التمس الهدى من غير الصراط المستقيم مستحق أن يضله الله ـ عز وجل ـ (٣).

فاتباع الهوى قد يخرج الإنسان من الإسلام ، فإن النفس أمارة بالسوء كماقال تعالى : ﴿ .. إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ﴾(٤).

فمن أطلق لنفسه العنان سبحت به في بحر الشهوات والشبهات وقادته إلى ماتهوى النفس وتريد ، وقد تظهر له كشوفات تحسن له مذهبه زيادة في إغواءه وتضليله . . .

فإن الإنسان إذا أحب شيئاً وبالغ في حبه وحرص على حصوله فإنه يتخيل ذلك الشيء في يقظته ومنامه .

وأما القسم الثاني فهو الكشف الباطل : وهوالذي يحصل من الشيطان وأعوانه وهو كثير جداً . وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن الشياطين يتخذون شتى الوسائل والسبل ليضلوا بني آدم عن سبيل الله ويصرفونهم عن طريق الحق .

وقد اتخذ الشيطان على نفسه عهداً بإغواء بنى آدم ؛ قال تعالى حكاية عن ابليس : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين . . . ﴾ (٥).

وقال تعالى عنه أيضاً : ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين ﴾ (٦).

١- الجاثية (٢٣) .

٢- القصص (٥٠) .

٣- انظر التنكيل (٢/٢٤٢ ـ ٢٤٣) .

٤- يوسف (٥٣) .

٥- سورة ص (٨٢) .

٦- الأعراف (١٧) .

علم الغيب

فالشياطين لها دور فيما يحصل من كشوفات لبعض العباد الذين ابتعدوا عن هدي النبي ﷺ في العبادة والتقرب إلى الله ؛ خاصة فيما يسميه المتصوفة بالسماع فإنه يحصل لهم كشوفات يظنونها من الرحمن وهي من الشياطين التي تلعب بهم وتحضر مجالسهم المليئة بالطرب والسماع المحرم .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : (وقد كوشف جماعات من أهل المكاشفات بحضور الشياطين في مجامع السماعات الجاهلية : ذات المكاء والتصدية وكيف يمكر الشيطان عليهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطاني ، حتى إن بعضهم صار يرقص فوق رؤوس الحاضرين ، ورأى بعض المشايخ المكاشفين أن شيطانه قد احتمله حتى رقص به فلما صرخ بشيطانه هرب وسقط ذلك الرجل .) (١).

فآثار الشياطين تظهر في أهل السماعات وغيرهم ممن اتبع هواه وسلك غير سبيل المؤمنين ، تظهر فيهم الكشوفات والإطلاع على بعض المغيبات النسبية التي تخبرهم بها شياطينهم ، وهذا إمعان من الشياطين في إغوائهم وتضليلهم وعقاب من الله لهم جزاء إعراضهم عن سبيل المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾(٢).

وقد زُيِّنَ لهم سوء عملهم فرأوه حسناً كما قال تعالى : ﴿ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهوائهم ﴾ (٣).

والكشف الذي يحصل بهذا النوع هو كشف مشترك بين كثير من الناس المؤمن والكافر والصالح والفاسق فلا يختص بطائفة دون أخرى .

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ (وهذا الكشف مشترك بين المؤمنين والكفار والأبرار والفجار ، كالكشف عما في دار إنسان ، أوعما في يده ، أو تحت ثيابه ، أو ما حملت به إمرأته بعد انعقاده ذكراً أو أنثى !

١ـ مجموع الفتاوى (٦٤٢/١١) .

٢ـ النساء (١١٥) .

٣ـ محمد ﷺ (١٤) .

علم الغيب

وماغاب عن العيان من أحوال البعد الشاسع ونحو ذلك ، فلإنه يكون من الشيطان تارة ومن النفس تارة ولذلك يقع من الكفار كالنصارى وعابدى النيران والصلبان ، فقد كاشف ابن صياد النبي ﷺ بما أضمره له وخبأه ، فقال له رسول الله ﷺ : (إنما أنت من إخوان الكهان .) (١).

فأخبر أن ذلك الكشف من جنس كشف الكهان وأن ذلك قدره .

وكذلك مسيلمة الكذاب - مع فرط كفره - يكاشف أصحابه بما فعله أحدهم في بيته وما قال لأهله ؛ يخبره به شيطانه ليغوي الناس .

وكذلك الأسود العنسى ، والحارث المتنبي الدمشقي الذى خرج في دولة عبد الملك بن مروان ، وأمثال هؤلاء مالا يحصيهم إلا الله ، وقد رأينا نحن وغيرنا منهم جماعة . وشاهد الناس من كشف الرهبان عباد الصليب ماهو معروف .) (٢).

منزلة الكشف

الكشف لايدل على ولاية لله ولا قرب منه ، وقد تقدم أنه قد يقع من الكافر والفاسق كما يقع من المؤمن . فمن اعتبر مجرد خرق العادة لأحدهم بكشف يكشف له أو بتأثير يوافق ارادته هو كرامة من الله له [فهو مخطئ] فإنه قد يكون في الحقيقة إهانة ، فإن الكرامة لزوم الاستقامة وإن الله لم يكرم عبده بأعظم من موافقته بما يحبه ويرضاه .) (٣).

إذا تقرر هذا فاعلم أن عدم الخوارق علماً وقدرة لاتضر المسلم في دينه، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ولم يسخر له شيء من الكونيات لاينقصه ذلك في مرتبته عند الله - سبحانه وتعالى - بل قد يكون عدم ذلك انفع في دينه . (٤).

وهناك جانب آخر وهو أنه ليس كل عمل أدى إلى الكشف يكون أفضل

١- تقدم تخريجه انظر (ص ٢٦٧) .

٢- مدارج السالكين (٣٨/٣) بتصرف في أوله .

٣- مجموع الفتاوى ٢٩/١١-٣٠ ، وانظر الفتاوى أيضاً ١٧٢/١٠ .

٤- انظر مجموع الفتاوى ٣٢٣/١١ .

من العمل الذي لايؤدي إلى ذلك .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : (ليس كل عمل أورث كشوفاً أو تصرُّفاً في الكون يكون أفضل من العمل الذي لايورث كشفاً وتصرفاً ، فإن الكشف والتصرف إن لم يكن مما يستعان به على دين الله ؛ وإلا كان من متاع الحياة الدنيا ، وقد يحصل ذلك للكفار والمشركين وأهل الكتاب ، وإن لم يحصل لأهل الإيمان الذين هم أهل الجنة ، وأولئك أصحاب النار .) (١).

فتبين بعد هذا أن من وقع منه كشف ليس بأفضل ممن لم يقع له كشف ، لذلك كان السلف ـ رضوان الله عليهم ـ إذا وقع لهم شيء من ذلك بادروا بالإستغفار والتوبة خوفاً من أن يكون استدراجاً لهم (٢).

الكشف وعلم الغيب : .

تبين مما سبق أن الكشف يمكن أن يؤدي إلى الإطلاع على بعض الغيوب النسبية فقط التي هي موجودة محسوسة ، وليست خارجة عن المحسوس وتصور العقل ، فإن هذا الغيب الذي اطلع عليه الشخص عن طريق الكشف غيب حسي قد غاب عن بعض الخلق وظهر للبعض الآخر ، فالإطلاع عليه من باب العلم بالواقع بطريق المكاشفة .

وأما زعم بعض الناس من أنه قد يعلم عواقب أقوام بما كشفه الله لهم فهذا الكشف ليس مما يجوز التصديق به ، فإن كثيراً ممن يظن أنه حصل له هذا الكشف يكون ظاناً في ذلك ظناً لايغني من الحق شيئاً ؛ لأن أهل المكاشفات يصيبون تارة ويخطئون أخرى ، كأهل النظر والإستدلال في موارد الإجتهاد ، ولهذا وجب عليهم جميعاً أن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن يزنوا مواجيدهم ومشاهداتهم ومعقولاتهم على الكتاب والسنة ، ولا يكتفوا بمجرد الكشف والمخاطبة . فإن سيد المحدثين كانت تقع له وقائع فيردها

١ـ مجموع الفتاوى ٣٩٨/١١ .

٢ـ انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٧٧ .

عليه رسول الله ﷺ وصديقه الذي هو أعلى منه وأكمل فإنه يأخذ عن رسول الله ﷺ والمحدث يحدث عن قلبه .) (١).

أما مايزعمه بعض غلاة المتصوفة من أن لهم علامات يميزون بها بين ما هو حق وما هو باطل فهي دعوىً باطلة تحتاج إلى دليل من الشرع ؛ لأن معرفة صدق الكشف من كذبه لاتعرف إلا بميزان الوحي والكتاب والسنة ، وهو ماذكره أبو سليمان الداراني (٢) - رحمه الله تعالى - حيث قال : (ربما تقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه شيء إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة .) (٣).

فهذا هو الحق والمقصود بالشهادة هو : الشهادة الصريحة التى يفهمها أهل العلم بالكتاب والسنة على النهج الذي كان يفهمها السلف .

أما مايفعله المتصوفة من تحريف النصوص لتوافق أهواءهم فهذا أشنع وأفضع من تحريف الباطنية (٤) وهذا الفعل لايشهد لكشفهم ، بل يشهد عليه أوضح شهادة بأنه من أبطل الباطل . وذلك لأمرين جليين :

الأول : أن النصوص بدلالتها المعروفة في اللغة حجة فإذا شهدت ببطلان قولهم علم أنه باطل .

الثاني : أنهم يعترفون بأن الكشف محتاج إلى شهادة الشرع (٥) فإن قبلوا من الكشف بتأويل الشرع ، فالكشف شهد لنفسه فمن يشهد له على تأويله ؟ (٦).

١- انظر مجموع الفتاوى (١١/٦٥) وانظر الأثر في البداية والنهاية ١٠/٢٥٥ . وطبقات الصوفية ٧٧ - ٧٨ و ونتائج الأفكار القدسية ١/١١٤.

٢- هو عبد الرحمن بن أحمد ، وقيل عطيّة ، وقيل ابن عسكر العَنْسِيّ الداراني ،من الزهاد في الدنيا ، ولد في حدود سنة ١٤٠ هـ وتوفي سنة ٢١٥ السير ١٠/١٨٢ . وتاريخ بغداد ١٠/٢٤٩ والحلية ٩/٢٧٢ .

٣- التنكيل (٢/٢٢٩) . وانظر الإعتصام ٢/٣٤٩ . ودرء تعارض العقل والنقل (٥/٣٤٩) .

٤- التنكيل (٢/٢٤٣) .

٥- انظر الأنوار القدسية بهامش الطبقات الكبرى (١/٧٧ - ٧٨) .

٦- انظر التنكيل (٢/٢٤٣) .

الخلوة والكشف :

يزعم المتصوفة بأن الخلوة طريق من طرق معرفة الغيب ومعرفة الشرع وحصول العلم بلا تعلم كما ألمحت إلى ذلك فيما سبق (١).

كمايزعمون أن المختلي حينما يتجرد من علائق الدنيا وينصرف في خلوته عن كل شيء إلا الذكر على طريقة المتصوفة ، وإنه إذا استمر على ذلك أياماً فإن الفيوضات والكشوفات والمخاطبات والسماعات تبدأ تظهر له ، ويبدأ العلم ينهال عليه من الله بلا واسطة ، وهذا مرادهم من قولتهم المشهورة : أخذتم علمكم من ميت عن ميت وأخذنا علمنا من الحي الذي لايموت (٢).

وفي الحقيقة أن هذه الأشياء التي تحصل بسبب الخلوة إنما هي خيالات ووساوس من الشيطان يضل بها هؤلاء الجهال كما بين ذلك ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في قوله : (إنه يقال لمن زعم ذلك : من أين لك أن هذا من الله لا من الشيطان وإلقائه ووسوسته ؟ . فإن الشياطين يوحون إلى أوليائهم وينزلون عليهم كما أخبر الله تعالى بذلك في القرآن ، وهذا موجود كثيراً في عبَّاد المشركين وأهل الكهان والسحرة ونحوهم ، وفي أهل البدع بحسب بدعهم ، فإن هذه الأحوال من الشيطان لأن طريقها مخالف لما بعث به نبينا محمد ﷺ وقد يكون سبب حصول تلك الكشوفات ومعرفة بعض الغيوب الشرك بالله ؛ كالسجود للأصنام أو الشياطين كما كانت تحصل للمشركين . فإن الشياطين كانت تتراءى لهم أحياناً وقد يخاطبونهم من الصنم ويخبرونهم ببعض الأمور الغائبة ، فكان الشياطين يبذلون لهم هذا النفع القليل بما اشتروه منهم من توحيدهم وإيمانهم الذي هلكوا بزواله كالسحر . قال الله تعالى : ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما

١- انظر ص ٢٨٩ وما بعدها .

٢- انظر تلبيس إبليس ٣٦١ .

يفرقون به بين المرء وزوجه . . . ﴾ (١) .

وقال : قد يكون سبب هذه الكشوفات سماع المعازف واتخاذها عبادة كما يفعل المتصوفة ، فالمعازف خمرة النفوس ، تفعل بالنفوس أعظم مما تفعل خمرة الكؤوس ، فإذا سكروا بالأصوات حل فيهم الشرك ومالوا إلى الفواحش وعبادة الشياطين فيظلمون ويشركون ويقتلون النفس التى حرم الله ويزنون وتعينهم الشياطين على ذلك ، وتخبرهم ببعض أمور الغيب ؛ فهي تحضر تلك المجالس التى يوقع فيها مزمار الشيطان ويبعد ذكر الله عنها ، ومن ثم يزعمون أنها عبادة وخلوة بالله يتقربون بها إليه ؛ يظهر لهم فيها وبسببها الكشوفات والخطابات والفيوضات التى تحصل لهم بواسطة الشيطان إمعاناً في إغوائهم وإضلالهم ، وهؤلاء مثلهم مثل من قال الله فيهم : ﴿ إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون.﴾(٢) .

وقوله : ﴿ .. ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ﴾ (٣) .(٤) .

وبهذا يتبن أن الخلوة ليست طريقاً للكشف وإن وقع فيها فهو كشف شيطاني لايمكن أن يكون طريقاً يتخد لادعاء معرفة الغيب .

١- البقرة (١٠٢) .

٢- الأعراف (٣٠) .

٣- المجادلة (١٨) .

٤- انظر مجموع الفتاوى (١٠/٤١٥ ـ ٤١٦) .

الكشف ورؤية الله :

هل يؤدي الكشف إلى رؤية الله ؛ أو هل يمكن للمكاشف أن يرى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عياناً ؟ . هذا ما ادعاه بعض المتصوفة وخاصة المتأخرين منهم فكثيراً ماتجد في كتبهم قولهم رأيت الله وخاطبته وقال لي كذا وقلت له كذا ونحو ذلك . ويعتبرون هذا كرامة ترفع من شأن الولي .

وقال صاحب المواهب السرمدية : (واختلف علماء بخارى في إمكان رؤية الله تعالى ، فمنهم من نفى ومنهم من أثبت ، وكانوا جميعاً من مخلصي الشيخ (١) ـ قدس الله سره ـ فأتوا إليه وقالوا إنا رضيناك حكماً علينا في هذه المسألة ؛ فقال للنافين أقيموا في صحبتي ثلاثة أيام متطهرين ولاتتكلموا بشيء . . فلما مضت ثلاثة أيام حصل لهم حال قوي فصعقوا ، فلما أفاقوا جعلوا يقبلون قدمه الشريف وقالوا : آمنا أن الرؤية حق ثم لم ينقطعوا عن خدمته والمثابرة على تقبيل مبارك عتبته .)(٢).

وسلم على الشيخ أحد مريديه فلم يرد عليه السلام فاغْبَرَّ خاطره فقال : اعتذروا له بأني كنت وقتئذ متوجهاً بِكُلِيَّتي لسماع كلام الحق تعالى فشغلني كلام الحق عن سلام الخلق . . .) (٣).

فهؤلاء يدعون أنهم يرون الحق تبارك وتعالى عياناً والله ـ جل وعلا ـ يقول ﴿ لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير . ﴾ (٤)وقد طلب موسى ـ عليه السلام ـ من ربه أن يريه نفسه فبين له أنه لن يراه في الدنيا ، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام ـ : ﴿ **قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين .** ﴾ (٥).

١- يقصد علاء الدين العطار ؛ وحديثه هذا عن ترجمته .

٢- المواهب السرمدية (١٤٥ ـ ١٤٦) .

٣- المصدر السابق (١٣٠) .

٤- الأنعام ١٠٣ .

٥- الأعراف ١٤٣ .

فهذا موسى كليم الله لم يستطع رؤية ربه في الدنيا فهل هؤلاء الذين يزعمون أنهم يرون ربهم أفضل منه ؟ . كلا والله .

وقد جاء في السنة قوله ﷺ : ((. . تَعَلَّمُوا أنه لن يرى أحد منكم ربه - عز وجل - حتى يموت .)) (١).

وحكى محمد بن سعيد الدارمي : الإجماع على أن الله - سبحانه وتعالى - لايرى في الدنيا بعينه (٢).

واختلفوا في حصول ذلك للنبي ﷺ ، والصحيح أنه لم يره عياناً وإنما رأى نوراً وذلك كما دلت عليه النصوص الآتية :

سئلت عائشة رضي الله عنها هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ .

فقالت : ((سبحان الله لقد قف شعر رأسي لما قلت .)) (٣).

وقالت أيضاً ((من زعم أن محمد ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية.))(٤).

قال شارح الطحاوية : (لم يرد نص أنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه ، بل ورد ما يدل على نفي الرؤية وهو مارواه مسلم عن أبي ذر : (سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك فقال : (نور أنى أراه) (٥).(٦).

وأيضاً حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وفيه ((. . حجابه النور)) .

وفي رواية ((النار لو لوكشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .)) (٧).

فمن يدعي أنه يرى الله عياناً فهو كاذب وإنما يرى شيطاناً يلعب به

١- رواه مسلم (ح ٢٩٣٠) والترمذي (ح ٢٢٣٥) .

٢- الرد على الجهمية (٦٧) .

٣- رواه مسلم (٢٨٩) ، والترمذي (ح٣٢٧٨) .

٤- رواه مسلم (ح ٢٨٧) ، والترمذي (ح ٣٢٧٨)

٥- رواه مسلم (ح١٧٨) ، والترمذي (ح٨٢ ، ٣٢ .

٦- الطحاوية (٢١٣) .

٧- رواه مسلم (ح١٧٩)

ويضله .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ (. . ومنهم من يرى عرشاً في الهواء وفوقه نور ويسمع من يخاطبه ويقول أنا ربك فإن كان من أهل المعرفة علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه فيزول . . .)(١).

وقال في موضع آخر : (وكثيراً مايرى الإنسان صورة اعتقاده فيكون مايحصل له بمكاشفة ومشاهدة هو ما اعتقده من الضلال ، حتى إن النصراني يرى في كشفه التثليث الذي اعتقده . وليس أحد من الخلق معصوماً أن يُقَرَّ على خطأ إلا الأنبياء، فمن أين يحصل لغير الأنبياء نور إلهي تدرك به حقائق الغيب وينكشف له أسرار هذه الأمور على ما هي عليه بحيث يصير بنفسه مدركاً لصفات الرب وملائكته وما أعده الله في الجنة والنار لأوليائه وأعدائه ؟!.

وهذا الكلام أصله من مادة المتفلسفة والقرامطة الباطنية (٢).

والحاصل أن الله جل وعلا غيب فلا يمكن أن يراه الخلق حقيقة عياناً لايقظة ولا مناماً .

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ (ومن ظن من القوم أن «كشف العين» ظهور الذات المقدسة لعيانه حقيقة : فقد غلط أقبح الغلط ، وأحسن أحواله أن يكون صادقاً ملبساً عليه ، فإن هذا لم يقع في الدنيا لبشر قط وقد منع منه كليم الرحمن ﷺ . . فمن ادعى كشف العيان البصري على الحقيقة الإلهية فقد وهم وأخطأ وإن قال : إنما هو كشف العيان القلبي بحيث يصير الرب سبحانه كأنه مرئي للعبد كما قال النبي ﷺ : ((أعبد الله كأنك تراه .))(٣).

١- مجموع الفتاوى (٢٨٩/١١) . وانظر درء تعارض العقل والنقل (٣٥٢/٥) ، بنحوه

٢- انظر درء تعارض العقل والنقل (٣٥٣/٥) .

٣- تقدم تخريجه من حديث جبريل انظر ص ٤٠ .

فهذا حق وهو قوة يقين ومزيد علم فقط (١).

وأما ماقد يظهر للإنسان من النور فإن ذلك قد يكون خداعاً من الشيطان يخدع به العباد كما أراد أن يفعل بالشيخ عبد القادر الجيلاني (٢) عندما ظهر له في المحراب فزعم أنه ربه فأنجاه الله منه بعلم .

وقد تقدم ذكر الدليل على عدم امكانية رؤية العبد لخالقه في الدنيا وهذا يقطع الأمل لدى من توسوس له نفسه بذلك وتسد الطريق على الشياطين.

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ (نعم قد يظهر له نور عظيم فيتوهم أن ذلك نور الحقيقة الإلهية ، وأنها قد تجلت له ، وذلك غلط أيضاً فإن نور الرب لايقوم له شيء ولما ظهر للجبل منه أدنى شيء ساخ الجبل وتدكدك .) (٣)

١ـ انظر مدارج السالكين ٣/٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

٢ـ عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جكني دوست الحسني الجيلي الحنبلي ، قال الذهبي عنه : (الإمام العالم الزاهد العارف القدوة . . علم الأولياء محيي الدين . . شيخ بغداد .) ولد بجيلان سنة ٤٧١ هـ وقدم بغداد وتفقه فيها ، توجه لطلب العلم فدرس الحديث والاصول وقرأ الأدب واشتغل بالوعظ إلى أن برز فيه ، وقد أوقع الله له القبول جلس للوعظ سنة ٣١ وأظهر الله الحكمة على لسانه . ثم لازم الخلوة والرياضة والمجاهدة والسياحة قال الذهبي : وفي الجملة فالشيخ كبير الشأن وعليه مآخذ في بعض دعاويه ، والله الموعد وبعض ذلك مكذوب عليه . السير ٢٠/٤٣٩ ـ ٤٥١ ، وانظرالاعلام ٤/٤٧ . وفي الحقيقة أن جل ماينقل عنه الصوفية وينسبونه إلية مكذوب عليه فقد كثر الكذب عليه بعد موته وتفنن المتصوفة في تلفيق الحكايات ونسبتها إليه وهو بريء منها وقد أثنى عليه شيخ الإسلام وغيره .

٣ـ انظر مدارج السالكين ٣/٣٣٩ ـ ٣٤٠.

علم الغيب

الفصل الرابع : الرافضة وعلم الغيب

علم الغيب

تمهيد

الرافضة هى احدى فرق الشيعة الضالة . ولها عقائد تخالف بها عقيدة الإسلام .

كما أنها تنفرد بمناهج وطرق خاصة بها لفهم الإسلام تخالف به الأمة الأسلامية .

فأما عقائدها فمنها ما يأتي :

إعتقاد نقص القرآن .

وإسباغ صفات الألوهية على أئمتهم .

وتكفير الصحابة رضى الله عنهم .

ولعن الخلفاء الراشدين ماعدا علياً - رضى الله عنهم جميعاً - .

واتهام عائشة - رضى الله عنها - بالفاحشة .

وغير ذلك كثير مما يكفى بعضه لإخراجهم من دائرة الإسلام

وأما منهجها فى فهم الدين فيكفى أن يعرف أنهم يزعمون أن الإمام الغائب هو الذى كان يستفتى فى دين الله عن طريق الباب !! . فكتبهم مليئة بهذا مما لايستطيع مسلم أن يقرأه لما فيه من الكفر الصريح .

فلا عقل يحكمهم ، ولا نقل صحيح يوجههم ، وإنما خرافات وأباطيل شوهوا بها دين الله - عز وجل - وأفسدوا بها صفاءه ونقائه ، فأصبحت الشيعة الرافضة طريقاً لكل من أراد حرب الدين وافساد عقيدته ؛ لما تشتمل عليه من تناقضات وانحرافات .

ونكتفي هنا بايراد عقيدتهم في علم الغيب والتي من أجلها سأتحدث عن الرافضة هذا الفصل .

علم الغيب

إدعاء الرافضة علم الغيب لأئمتهم :

وردت في كتب الرافضة آثار متعددة وروايات متنوعة كلها تتحدث عن إثبات علم الغيب لأئمتهم .

وقد تضاربت الروايات عن أئمتهم في هذه المسألة ، فمرة يدَّعون أن لأئمتهم علم الغيب وأخري ينفونها عنهم .

وكلا هذين النوعين يورده الشيعة الرافضة لإثبات عقائدهم .

فالآثار المثبتة لعلم الغيب يوردونها لأثبات علم الغيب لأئمتهم .

وأما الآثار التي تنفي فإنهم يوردونها لإثبات عقيدة [التقية] التي يوجبونها ويرونها جزءً من عقيدتهم .

فليس فيها إذن نقض للإثبات على مذهب الشيعة الرافضة . وهذا هو منهج الرافضة يجمع المتناقضات والمتضادات ، وهم وحدهم الذين يمكن أن يتقبلوا هذا التناقض وذلك التضاد .

ومـن هــذه الآثــار مـايـلــي .

جاء في بحار الأنوار عن الصادق (١) ـ عليه السلام ـ أنه قال : (والله لقد أعْطِيْنَا علم الأولين والآخرين . فقال له رجل من أصحابه : جعلت فداك أعندكم علم الغيب ؟ فقال له : ويحك إني لأعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، ويحكم وَسِّعُوا صدوركم ولتبصر أعينكم ولتع قلوبكم فنحن حجة الله تعالى في خلقة ، ولن يسع ذلك إلا صدر مؤمن قوي ؛ قوته كقوة جبال تهامة إلا بإذن الله . والله لو أردت أن أحصي كل حصاة عليها لأخبرتكم ، وما من يوم وليلة إلا والحصى تلد إيلاداً كما يلد الخلق ، والله لتباغضون بعدي حتى

١ـ هو الإمام أبو عبدالله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ الهاشمي ، أبو عبد الله المعروف بالصادق (صدوق) فقيه إمام ثقة ، وتوفي سنة ١٤٨ هـ روى له الترمذي وغيره . رأى بعض الصحابة . انظرتقريب التهذيب ص ١٤١ وتهذيب التهذيب ١٠٣/٢ .

يأكل بعضكم بعضاً .) (١).

وروى الكليني عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ أنه يقول : (إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض ، وأعلم ما في الجنة ، وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون ! . قال : ثم مكث هنية فرأى أن ذلك كبر على من سمعه فقال : علمت ذلك من كتاب الله عز وجل . إن الله عز وجل يقول : فيه تبيان لكل شيء .)(٢).(٣).

ونجد رواية عند ابن رستم الطبري يذكر فيها أن للإمام علم الغيب الذي إنفرد به وتفوق سلطانه في العلم به على سلطان ابليس والملائكة ، وفيها يقول : عن الفصل بن عمر قال قلت لابي عبد الله جعلت فداك ما لإبليس من السلطان ؟ قال مايوسوس في صدور الناس . قلت : ما لملك الموت ؟ قال يقبض أرواح الناس . قلت وهما سلطان على من في المشرق والمغرب ؟ قال نعم . قلت : فمالك أنت قال : أعلم مافي المشرق والمغرب ، وما في السموات والأرض ، وما في البر والبحر ، وعدد ما فيهن ، وذلك لا لإبليس ولا لملك الموت .)(٤).

ففي هذه الروايات يتضح اعتقادهم بأن أئمتهم يعلمون الغيب المطلق الذي اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعلمه ، ولكننا إذا تتبعنا كتبهم نجد فيها ما يناقض هذه الروايات من التصريح بعدم علمهم للغيب .

روي الكشي أنه قيل لأبي عبد الله : (إنهم يقولون إنكم تعلمون قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر فقال : سبحان الله ، سبحان الله ، سبحان الله ، والله ما يعلم هذا إلا الله .) (٥).

وروي أنه قيل لعلي بن أبي طالب يزعمون أنك تعلم الغيب . فقال :

١- بحارالأنوار (٢٦/٢٧ ـ ٢٨)

٢- لفظ الآية الصحيح هو : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء . ﴾ النحل (٨٩) .

٣- الكافي ٢٦١/١

٤- دلائل الإمامة ١٢٥.

٥- رجال الكشي ١٩٣ .

سبحان الله ضع يدك علي رأسي فو الله ما بقيت في جسدي شعرة ولا في رأسي إلا قامت ثم قال لا والله ماهي إلا رواية عن رسول الله ﷺ .) (١).

وروي الكليني عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال : (ياعجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ، مايعلم الغيب إلا الله - عز وجل - لقد هممت بضرب جاريتي فلانه فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي . . .)

قال [أي أبو عبد الله] فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله - عز وجل - أيضاً ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب . ﴾ ؟ قال : قلت قد قرأته جعلت فداك . قال : أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم ، أمَّن عنده علم الكتاب بعضه ؟ قلت لا ، بل من عنده علم الكتاب كله . قال : فأومأ بيده الي صدره وقال : علم الكتاب والله كله عندنا ، علم الكتاب والله كله عندنا .)(٢).

والتناقض في ظاهر بين هذه الروايات وبين التي قبلها ، ففي الأولى إثبات أن الأئمة يعلمون الغيب ، وفي الثانية نفي ذلك العلم عنهم ، ولا غرابة في ذلك لأن التناقض من عادات الرافضة لاعتقادهم بوجوب التقية ، فقد يقولون قولا في مكان ويقولون مايضاده في مكان آخر أوعند شخص آخر .

جاء في الكافي (عن ابن إبراهيم عن أبيه ، عن يحيي بن أبي عمران عن يونس عن بكار بن بكر عن موسي بن أشيم قال : كنت عند أبي عبد الله (ع) فسأله رجل عن آية من كتاب الله - عز وجل - فأخبره بها ، ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر [به] الأول فدخلني من ذلك ما شاء الله حتي كأن قلبي يُشَرَّح بالسكاكين ، فقلت في نفسي : تركت أبا قتادة بالشام لايخطيء في الواو وشبهه ، وجئت إلي هذا يخطيء هذا الخطأ كله ، فبينا أنا كذلك إذا دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما

١- الكافي ١/ ٢٥٢٧.
٢- رجال الكشي ١٩٢ .

أخبرني وأخبر صاحبي ، فسكنت نفسي ، فعلمت أن ذلك منه تقية . . . (١).

فنفيهم لعلم الغيب تَقِيَّة ، فهم كثيراً ما يصرحون بأن لأئمتهم علم الغيب ، بل إن كتاب بصائر الدرجات والكافي الذين هما أصح وأهم كتابين عندهم يَعْقِدُ فيهما مؤلفيهما أبوابا في بيان أن أئمتهم يعلمون الغيب . وسيأتي ذكر شيء من ذلك إن شاء الله تعالى قريباً .

نماذج من ادعائهم للغيب

الأئمة يعلمون ماكان وما يكون إلى أن تقوم الساعة

يعتقد الرافضة أن أئمتهم يعلمون ماكان وما سيكون الى قيام الساعة .

روي الصفار عن أبي جعفر (٢) - عليه السلام - قال : (سئل علي - عليه السلام - عن علم النبي ﷺ فقال : علم النبي علم جميع النبيين ، وعلم ماكان وعلم ماهو كائن إلى قيام الساعة ، ثم قال : والذي نفسي بيده إني لأعلم علم النبي ﷺ وعلم ماكان وما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة .) (٣).

ولاشك أن نسبة علم الغيب إلي علي - رضي الله عنه - باطل وكذب وافتراء عليه ، فإنه يستحيل أن يصدر مثل هذا الكفر من صحابي يُعَدُّ من أفاضل الصحابة - رضوان الله عليهم - لاسيما وأنه معروف أن الكذب من دين الرافضة .

وقد بوب الكليني لذلك باباً قال فيه : (باب : أن الأئمة - عليهم السلام

١- الكافي ١/ ٢٦٥ - ٢٦٦

٢- هو الإمام أبو جعفر الباقر بن محمد بن على بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - اشتهر أبو جعفر بالباقر . قال الذهبي : قال ابن فضيل : عن سالم بن أبي حفصة : (سألت أبا جعفر وابنه جعفراً عن أبي بكر وعمر فقالا لي : ياسالم تولهما وابرأ من عدوهما ؛ فإنهما كانا إمامي هدى .) . السير ٤/٤٠١ ، وانظر العبر ١/١٤٢ - ١٤٨ . عده النسائي وغيره من فقهاء التابعين بالمدينة . قال ابن حجر : ثقة كثير الحديث روى له الجماعة . ت ١١٤ هـ تهذيب التهذيب ٩/٣٥٠ .

٣- بصائر الدرجات ١٤٧

يعلمون علم ماكان وأنه لايخفي عليهم شيء ـ صلوات الله عليهم .)(١)
وذكر تحت ذلك الباب عدة روايات نسبها إلى أبي عبد الله محمد الباقر وإلى أبي جعفر الصادق ومن تلك الروايات ما يأتي :

قال : (. . عن سيف التمار قال : كنا مع أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ جماعة من الشيعة في الحجر فقال علينا عين ؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً فقلنا : ليس علينا عين ، فقال : ورب الكعبة ورب البنية ثلاث مرات ، لوكنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ؛ ولأنبئتهما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم مايكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وراثة .)(٢).

وبالنظر الي هذه الرواية نظرة عابرة نجد فيها التناقض ظاهرا فكيف يزعم أنه يعلم ماكان وما يكون وهو لايعلم هل عليهم عين أم لا ؟ .

وأيضا زعمهم أنهم ورثوه من النبي ﷺ كذب وبهتان واضح ، فقد مر معنا ذكر تبرأه ﷺ من معرفة الغيب في الآيات والأحاديث الكثيرة (٣) ويكفي أن نعرف أن زعمهم هذا فيه معارضة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ولم يكتفِ الأئمة بذلك ؛ بل زعمو أنهم يعلمون ما في السموات والأرض وما في الجنة والنار ، ويعلمون ما تحت العرش إلي ماتحت الثري . فيا ترى ماذا بقي لله ـ سبحانه وتعالى ـ من علم الغيب ؟ !! .

روي الكليني قال : عدة من أصحابنا منهم عبد الأعلي وأبو عبيدة ، وعبدالله ابن بشير الخثعمي سمعوا أبا عبد الله (ع) يقول إني لأعلم مافي السموات وما في الأرض ، وأعلم مافي الجنة وأعلم مافي النار ، وأعلم ماكان

١ـ الكافي ١/ ٣٦٠ .
٢ـ الكافي ٣٦١/١ ، وبصائر الدرجات الكبرى ١٤٩ ، وبحار الأنوار للمجلسي (٢/١١٠ ح ٩) .
٣ـ انظر الفصل الثاني من الباب الثالث .

ومايكون . . . (١).

وروى الكليني أيضاً عن محمد بن يحيي عن أحمد بن محمد عن موسي بن عمر عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن المنخل عن جابر عن أبي جعفر (ع) قال : سألته عن علم العالم ، فقال لي : ياجابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس وروح الإيمان وروح القوة وروح الشهوة ، فبروح القدس ياجابر عرفوا ماتحت العرش إلي ماتحت الثري (٢).

وينسبون الي فاطمة رضي الله عنها كذبا وزوراً علمها بالغيب ، وعلمها بماكان وما يكون إلى أن تقوم الساعة .

جاء في عيون المعجزات عن حارثة بنت قدامة قالت حدثني سلمان الفارسي قال حدثني عمار وقال : أخبرك عجباً ؟ قلت : حدثني ياعمَّار قال : نعم شهدت علي بن أبي طالب (ع) وقد ولج علي فاطمة (ع) فلما بصرت به قالت أدن لأحدثك بما كان وماهو كائن وبما لم يكن إلي يوم القيامة حتي تقوم الساعة . . . (٣).

فهل يصح أن يصدر هذا من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم

الأئمة يعلمون آجالهم وآجال شيعتهم

ومن إعتقادات الرافضة التي هي أشبه بالخرافات منها إلي الحقائق فضلا عن العقائد إعتقادهم بأن أئمتهم يعلمون أعمارهم ومتي يموتون ، وكذلك إعتقادهم بأن أئمتهم يعرفون آجال شيعتهم ويوم هلاكهم .

روي الصفار عن ابي عبد الله (ع) أنه قال : أعطيت خصالا ماسبقني إليها أحد من قبلي ، علمت المنايا والبلايا وفصل الخطاب ، فلم يفتني ماسبقني ولم يعزب عني ماغاب عني ، وأبَشِّرُ بإذن الله تعالي وأودِّي عنه كل

١- الكافي : ١/ ٣٦١.

٢- انظر الكافي ٢٧٢/١ .

٣- عيون المعجزات ص ٥٤ مجمع النورين ص٨١ .

ذلك منٌّ من الله مكنني فيه بعلمه .) (١).

وروي أيضا عن الحسين بن علي (ع) قوله : (عندنا علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب وأنساب العرب ومولد الإسلام .) (٢).

ومعلوم لكل مسلم أن هذا افتراء وكذب وبهتان علي حفيد رسول الله ﷺ فهؤلاء لايتورعون من أن يُرَوِّجوا لمعتقداتهم الباطلة بالكذب علي رسول الله ﷺ وعلي أهل بيته وصحابته رضوان الله عليهم جميعا ليتخذوهم ستاراً لدينهم الباطل .

وبوب الصفّار باباً في ذلك قال فيه : (باب في الأئمة (ع) أنهم يعرفون علم المنايا والبلايا والأنساب من العرب وفصل الخطاب .) (٣) وذكر تحته جمّاً من الرويات المكذوبة علي الأئمة كعلي بن أبي طالب وابنه الحسين - رضي الله عنهما - ومحمد الباقر وأبي جعفر الصادق مما لايصح عنهم من ذلك شيء.

وبوب في موضع آخر فقال : (باب في الأئمة أنهم يعرفون متي يموتون ويعلمون ذلك قبل أن يأتيهم الموت عليهم (ع) (٤) وذكر تحته روايات عديدة أقتصر على ذكر واحدة منها تدل على الباقي :

روي الصفار عن أبي عبد الله (ع) أنه أتى جعفر بليلة قبض وهو يناجي، فأومأ إليه بيده أن تأخر ، فتأخر حتي فرغ من المناجات ، ثم أتاه فقال : يابني إن هذه الليلة التي أقبض فيها وهي الليلة التي قبض فيها رسول الله ﷺ . قال : وحدثني أن أباه علي بن الحسين أتاه بشراب في الليلة التي قبض فيها وقال : إشرب هذا فقال : يابني إن هذه الليلة التي وعدت أن أقبض

١- بصائر الدرجات ٢٨٦ .
٢- بصائر الدرجات ٢٨٦ .
٣- بصائر الدرجات ٢٨٦ .
٤- بصائر الدرجات ٥٠٠ .

فيها فقبض فيها .)(١).

وروي الكليني عن أحمد بن محمد عن ابن سنان عن عبد الله بن مسكان قال سمعت أبا بصير يقول : قلت لأبي عبد الله (ع) من أين أصاب أصحاب علي ما أصابهم مع علمهم بمناياهم وبلاياهم ؟ قال : فأجابني - شبه المغضب - ممن ذلك إلا منهم . فقلت : مايمنعك جعلت فداك ؟ قال : ذلك أغلق الا أن الحسين بن علي - صلوات عليهما - فتح منه شيئا يسيراً ثم قال : يا أبا محمد . إن إولئك كانت على أفواههم أوكية . . (٢).

وروي في موضع آخر عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله (ع) : (أي إمام لايعلم ما يصيبه وإلي ما يصير فليس ذلك بحجه لله علي خلقه .) (٣).

وبوب لذلك باباً قال فيه : باب أن الأئمة - عليهم السلام - يعلمون متي يموتون وأنهم لايموتون إلا بإختيار منهم .) (٤).

وروي عن موسي بن جعفر قوله : (. . أناغداً أحْضَر وبعد غدٍ أموت .)(٥).

وكلامهم في هذا الباب كثير يطول ذكره (٦).

أما زعمهم بأنهم يعلمون آجال شيعتهم ويوم هلاكهم فحسبنا أن نذكر منه ما رواه الصفار في باب سماه (باب في الأئمة - عليهم السلام ، أنهم يعرفون آجال شيعتهم وسبب ما يصيبهم .) وذكر تحته ستة عشر رواية كلها في ذلك (٧) قال الصفّار حدثنا الحسن بن علي بن فضاله عن معاويه بن اسحاق قال كنت عند أبي الحسن (ع) فدخل عليه رجل فقال له أبو الحسن (ع) يافلان إنك

١- بصائر الدرجات ٥٠٢.
٢- الكافي ١/ ٢٦٤ - ٢٦٥ .
٣- الكافي ١/٢٥٨ - بصائر الدرجات ٥٠٢.
٤- الكافي ١/٢٥٩ .
٥- راجع بصائر الدرجات ٢١٩ - ٢٨٠ - ٢٨٢ - ٢٨٦ - ٥٠٠ - ٥٠٤ . والكافي ٢٥٨ وما بعدها .
٦- بصائر الدرجات ٢٨٢.
٧- بصائر الدرجات ٢٨٢.

تموت إلي شهر قال . فأضمرت في نفسي كأنه يعلم آجال شيعته . قال اسحق وما تنكرون من ذلك ؟ وقد كان رشيد الهجري مستضعفاً وكان يعلم علم المنايا والبلايا ، فالإمام أولي بذلك . ثم قال : ياإسحاق تموت إلى سنتين ويشتت أهلك وولدك وعيالك وأهل بيتك ويفلسون إفلاساً شديداً .) (١).

وروي أيضا عن سيف بن عميره قال : (سمعت العبد الصالح أبا الحسن - عليه السلام - ينعني إلي رجل نفسه فقلت في نفسي : وأنه ليعلم متي يموت الرجل من شيعته فقال شبه المغضب ياإسحق قد كان رشيد الهجري يعلم علم المنايا والبلايا فالإمام أولي بذلك .) (٢).

وروي الكليني عن أبي جعفر قوله : (لو كان لألسنتكم أوكيه لحدثت كل إمرئ بما له وما عليه .) (٣).

وهذا لاشك أن فيه مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ واجماع الأمة فأين هؤلاء من قوله تعالي ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وماتدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾(٤). وأين هم من قوله تعالي : ﴿ قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله . ﴾ (٥) فيأبي هؤلاءالرافضة إلا أن يُكَذِبُوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويزعموا أن لهم علم الغيب الذي اختص الله - سبحانه وتعالي - به .

الأئمـه يعلمـون الغيـب متـى أرادو

ممايظهر التناقض عند الرافضه في أوضح صورة وأجلاها عندما ينفي الإمام عن نفسه العلم بالغيب ثم يستدرك فيزعم أنه متى ما أراد أن يعلم الغيب فإنه يستطيع ذلك .

١- بصائر الدرجات ٢٨٥ .

٢- بصائر الدرجات ٢٨٤ .

٣- الكافي ١/ ٢٦٤ . بصائرالدرجات ٤٤٢ ، ٤٤٥ واللفظ للكافي .

٤- لقمان ٣٤.

٥- النمل (٦٥) .

يقول الصفار حدثنا أحمد بن الحسين بن علي بن فضَّال عن عمر بن سعيد المدايني عن مصدق بن صدقه عن عمار الساباطي ، أو عن أبي عبيده عن عامر الساباطي قال سألت أباعبيد الله - عليه السلام - عن الإمام أيعلم الغيب ؟ قال: لا ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء علّمه الله ذلك . .) (١).

وروى أيضاً عن أبي عبيدالله أن العالم إذا شاء أن يعلم علم .

فالإمام ينفي عن نفسه علم الغيب ولكنه يستدرك ويعلقه بإرادته ، فمتى ما أراد أن يعلمه أعلمه الله بذلك . وهذا الكلام فيه تناقص عجيب إذ لامسوغ لنفي علم الغيب عنه إذا كانت النتيجه أنه يعلم الغيب متى ما أراد .

ويظهر هذا التناقص بكل وضوح عندما يثبت الإمام لنفسه الإطلاع على مكنون الكون وأسراره فلا يعزب عنه مثقال حبه في الأرض إلا يعلمها دون أن يحتاج إلى أن يعلمه الله به . لأنه يعلم ذلك من نفسه .

روى المفيد بسنده قال : قال أبو عبد الله - عليه السلام - : (إن الدنيا لتمثل للإمام في مثل قلعة الجوز فلايعزب عنه منها شيء ، وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء .) (٢).

من أين يستمد الرافضة علم الغيب ؟ :

يعتقد الرافضة أن لأئمتهم مصادر إلهية يتلقون منها العلوم الغيبية والشرعية لأنهم نور الله في الأرض ، وحجته التي لايمكن أن تخلوا الأرض منها لأنها لو خلت حجة الله من على أرضه لساخت (٣).

فالإمام حجة الله في أرضه لايحجب عنه مافي السماء ولا مافي الأرض .

روى الكليني عن أبي جمرة قال : سمعت أبا جعفر (ع) يقول : (لا والله لايكون عالم جاهلا أبد أعالماً بشيء جاهلا بشيء . ثم قال : والله

١- بصائر الدرجات ٣٣٥- الكافي ٢٥٧/١.

٢- الإختصاص ٢١٧ باب قدرة الإئمة وما أعطو من ذلك .

٣- الكافي ١٧٩/١ .

أجل وأعز وأكرم من أن يفرض طاعة عبد ثم يحجب عنه علم سمائه وأرضه ، ثم قال : لايحجب ذلك عنه .) (١).

ومتى أوجب الله على الخلق طاعة عبدٍ غير رسول الله ﷺ طاعة مطلقة ؟ إن الذي أوجبه الله وأمر به الرسول ﷺ هو طاعة الله وحده فقط . ونهى عن طاعة غيره من العبيد فيما لم يشرعه الله ـ عز وجل ـ وقد دل القرآن الكريم على ذلك في غير ما آية .

قال تعالى : ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما . ﴾ (٢).

ودلت السنة على ذلك أيضاً كما في قوله ﷺ : ((لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق .)) (٣).

وأي كفر أعظم من ادعاء نزول الوحي على الأئمة بعد رسول الله ﷺ وقد قال النبي ﷺ : ((أنا خاتم النبيين .)) (٤).

فلا نبي بعده أبداً .

وأي كفر أعظم من ادعاء علم الغيب ؟ وقد قال تعالى : ﴿ قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله . ﴾ (٥).

ولكن هؤلاء قد مسخ الله قلوبهم بسبب حقدهم الدفين على الإسلام وأهله ، وقد تحقق فيهم قوله تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون .﴾(٦).

ولم يكتفوا بذلك بل زعموا أن الوحي ينزل على أئمتهم صباح مساء .

روى الكليني في كافيه : (أن المفضّل كان عند أبي عبد الله فقال له

١ـ الكافي ٣٦٢/١ .

٢ـ لقمان ١٥ .

٣ـ رواه (رواه الإمام أحمد ١٣١/١ ، ٤٠٩ ، ٦٦/٥ وقال أحمد شاكر اسناده صحيح تحقيقه للمسند (ح١٠٩٥) .

٤ـ رواه (رواه مسلم (ح٢٢٨٦)

٥ـ النمل (٦٥) .

٦ـ المطففين ١٤ .

المفضل: جعلت فداك يفرض الله طاعة عبد على العِبَاد ويحجب عنه خبر السماء ؟ قال : لا ، الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساءً .) (١).

ويزعم الرافضة أيضاً : أن مع أئمتهم مخلوق من خلق الله أعظم من جبريل - عليه السلام - يسددهم ويعلمهم .

روى الكليني عن أبي بصير قال : سألت أبا عبدالله (ع) عن قوله الله تبارك وتعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان . ﴾ (٢) قال خلق من خلق الله - عز وجل - أعظم من جبريل وميكائيل ، كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده .)(٣).

وفي رواية له أخرى قوله : (وهو مع الأئمة وهو الملكوت .) (٤).

ثم بين الكليني وقت تلقيهم وكيفية تلقيهم للوحي وذلك بصعود أرواحهم إلى السماء وطوافها بالعرش والتقائها مع أرواح الأنبياء والأوصياء .

روى الكليني عن أبي يحيى الصنعاني عن أبي عبد الله (ع) قال : قال لي : يا أبا يحيى إن لنا في ليالي الجمعة لشأناً من الشأن ، قال : قلت جعلت فداك وما ذاك الشأن ؟ قال : يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى - عليهم السلام - وأرواح الأوصياء الموتى وروح الذين بين ظهرانيكم ، يعرج بها إلى السماء حتى توافي عرش ربها فتطوف به أسبوعاً وتصلي عند كل قائمة من قوائم العرش ركعتين ، ثم ترد إلى الأبدان التي كانت فيها ، فتصبح الأنبياء والأوصياء قد ملؤا سروراً ، ويصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في

١- الكافي ٢٦١/١ .

٢- الشورى ٥٢ .

٣- الكافي ٢٧٣/١ ،(ح ١ - ٣).

٤- الكافي ٢٧٣/١ ، (ح ١ - ٣) .

علمه مثل جمّ الغفير .) (١).

وعلى ما في هذا من ركاكة في الإسلوب فإن التناقض فيه ظاهر لكل قارئ ولو كانت قراءته قراءة عابرة . فكيف يتصور أن تعرج أرواح الأوصياء كل ليلة جمعة مع أنها تبقى تطوف بالعرش أسبوعاً فمتى تنزل إذاً ؟ فيلزم من هذا أن تكون أرواح الأوصياء في السماء تطوف بالعرش دائماً ، ثم بأي شيء يكون الوصي حياً بعد صعود روحه ، أيموت ؟ أم أن له روحين فتصعد واحدة وتبقى الأخرى ؟ هذا لايمكن أن يقع ولا يتصوره عاقل . أم أنهم يموتون أو يبقون نائمين طيلة تلك الأسابيع حتى ترد إليهم أرواحهم ؟ .

وهذا يدل على سخافة عقول الرافضة حتى أنهم عجزوا عن تلفيق الكذب وحبكه ، وهذا هو حال الكذاب فإنه يتناقض من حيث لايشعر ، وحال من اتبع هواه وختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة ﴿ فمن يهديه من بعد الله﴾ ؟ (٢). وحال من ﴿ زين له سوء عمله فرآه حسناً . ﴾ (٣) والعياذ بالله .

وقد تمادوا في غيهم وضلالهم وجهلهم وحقدهم للإسلام والمسلمين حينما زعموا أن أئمتهم خزائن علم الله ـ عز وجل ـ فماذا يبقى لله عز وجل من العلم الذي يختص به إذا كانوا هم خزنة علمه .

روى الكليني عن أبي عبد الله (ع) أنه قال : (إن الله ـ عز وجل ـ خلقنا فأحسن خلقنا ، وصورنا فأحسن صورنا وجعلنا خزّانه في سمائه وأرضه، ولنا نطقت الشجرة ! وبعبادتنا عبد الله عز وجل ولولانا ما عبد الله .)!(٤).

سبحانك هذا بهتان عظيم ، ما أجرأ الرافضة على الله عز وجل ! ! . وما أحلم الله عنهم ، ما عبد الله إلا بفضلهم ؟ . إذن ما بقي إلا أن يزعموا أنهم أرباباً من دون الله يضاهئون الله في خلقه وعبادته ، وقد زعموا .

١- الكافي ٢٥٣/١ ـ٢٥٤ .
٢- الجاثية ٢٣ .
٣- فاطر ٨ .
٤- الكافي ١٩٣/١ .

علم الغيب

أيزعمون أن لهم فضل على الله . وقد قال الله ـ جل وعلا ـ في الحديث القدسي : ((من ذا الذي يتألى علي . ؟)) (١) سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

والكلام في هذا يطول فكتبهم فيها مستنقعات كبيرة من أوحال هذا العفن والقذر ، فالله المستعان على مايصفون .

١- رواه رواه مسلم (ح٢٦٢١) .

الفصل الخامس : بعض الآثار المترتبة على ادعاء الغيب

بعض الآثار المترتبة على ادعاء الغيب :

يترتب على ادعاء الغيب مفاسد عظيمة ومهالك جسيمة ، أذكر بعضاً منها على سبيل الإختصار والاقتضار ، لا على سبيل الحصر والتعداد .

١ ـ انتقاص الله ـ سبحانه وتعالى ـ في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته ، فالتصرف في الكون أو ادعاء الإحاطة بمعرفة ما فيه وما يحدث أو ماسيحدث فيه ، كل هذا انتقاص من ربوبية الله ـ عز وجل ـ الذي أحاط بكل شيء علماً ، كما قال تعالى : ﴿ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما . ﴾ (١).

فأي انتقاص أعظم من هذا الإنتقاص حينما يزعمون أنهم مشاركون لله ـ سبحانه وتعالى ـ في ملكه بالعلم والإحاطة بما فيه وما سيحدث فيه .

ويكون انتقاصاً في ألوهية الله ـ عز وجل ـ حينما يزعمون أنهم مشاركون له في أسمائه وصفاته بادعاء علم الغيب ، فيموهون الناس ويخدعونهم بهذا الادعاء كما أنهم يصرفونهم عن عبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى عبادتهم والتعلق بهم من دون الله ، والغلو فيهم ، مما يؤدي إلى صرف العبادة الواجبة المستحقة لله ـ سبحانه وتعالى ـ إليهم ، لاسيما وقد قال الرافضة كما سبق ذكره : (وبعبادتنا عبد الله ولولانا ما عبد الله .) (٢).

هذا فضلا عن زعمهم مشاركة الله في صفات الربوبية من كونه رب كل شيء ومليكه والمطلع عليه ، فالأطلاع على الغيوب من صفات البارى سبحانه وتعالى .

٢ ـ انتقاص مرتبة النبوة وذلك بادعائهم الأخذ مما يأخذ منه النبي ، فالصوفيه يدعون أن مرتبة العلوم بالغيوب وغيرها تحصل للأولياء والأنبياء من

١ـ الطلاق ١٢ .

٢ـ انظر (ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩) .

الباب والباطن أي من داخل القلب ، من الباب المنفتح على عالم الملكوت فما على الصوفي إلا أن يصفي قلبه من الكدورات والمعاصي ثم يخلو بنفسه في زاوية فينفتح عليه باب الملكوت الذي فيه يعلم العلوم الغيبية والشرعية (١).

أما الرافضة فصرحوا بنزول الوحي عليهم وصعود أرواح أئمتهم إلى الملكوت الأعلى فلم يبقوا فرقاً يكون بين الإمام والنبي ، وهذا أعظم انتقاص لمرتبة النبوة ، وأعظم معول يهدم الإسلام يصرف الناس عن أنبياءهم إلى أوليائهم وأئمتهم .

٣ ـ الإستغناء عن شريعة محمد ﷺ فاذا كان الأولياء يستمدون الأحكام ويعرفونها عن طريق الخلوة والزهد وتصفية النفس ، والأئمة يوحى إليهم صباح مساء فعلى هذا يكون لاحاجة للناس إلى تعلم كتاب الله وسنه رسوله ﷺ لمعرفة الأحكام الواردة فيها ، ومعرفة شرع الله من خلالها ، إذ أن الأولياء والأئمة يكفون الناس هذا الجهد .

قال الغزالي : من الأولياء من يشرق نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الأنبياء (٢).

٤ ـ فتح الباب لكل مغرض حاقد أومغرض أو مبتدع أو متساهل ، للتجرأ على تحريف كتاب الله ـ عز وجل ـ والإستخفاف به ، أوتركه والإعراض عنه واتخاذه ظهريا . فضلا عن مخالفته وتحريف نصوصه وآياته . فالصوفية والرافضة بإدعائهم للغيب وتحريفهم للكتاب والسنة فتحوا الباب على مصراعيه لكل متجرء على ردّ كتاب الله وسنة رسوال الله ﷺ ، كما أنهم أزالوا من نفوس أتباعهم ومن تأثر بهم الخشية من الله والوقوف عند كلامه وشرعه .

١- راجع مبحث الصوفيه وعلم الغيب (ص ٢٩٠ وما بعدها) وإحياء علوم الدين ٢٠/٣ ـ ٢١ .
٢- مشكاة الانوار (٤٠) . (مجموعة القصور العوالى) .

٥ ـ هدم الإسلام باجتثاث جذوره وهدم التوحيد ، وترك التعلق بالله عز وجل وصرف الناس إلى التعلق بالمخلوقين ، فإذا كان الولى أوالإمام يطلع على أفعال العبد فإنه لابد أن يخافه ويخشاه ، بل يؤدى ذلك إلى طاعة الأولياء والأئمة فى مخالفة شرع الله .

وكثيراً ما تصرف الصلاة أو الركوع أوالسجود للإولياء أوالأئمة ، وكتبهم تدل على ذلك . وما كعبة الخمينى إلا أكبر دليل حاضر معروف للناس يدل على صرف العباد عن التعلق بالله ـ عز وجل ـ إلى التعلق بالمخلوقين ، وهذا هو التحرر من صفاء عبودية رب العباد إلى الوقوع فى دنس عبودية العباد .

الخاتمة :

الخـاتـمـــــة :

وبعد هذا فأحمد الله ـ سبحانه وتعالى ـ على اتمام هذا البحث المتواضع واسجل أهم النتائج التي توصلت إليها اتماماً للفائدة فأقول وبالله التوفيق :

١ ـ أن الغيب في اللغة عام يطلق على كل أمر غائب عن الإنسان سواءً كان ذلك مدركاً بالعقل أو لم يكن كذلك .

٢ ـ أن الغيب على قسمين : غيب خاص بالله ـ سبحانه وتعالى ـ لايمكن أن يطلع عليه أحد كالساعة مثلا ، وهذا ما يسمى بالغيب المطلق .

وغيب لايختص بأحد دون أحد فقد يعلمه البعض ويغيب عن الآخرين ـ وهذا بالنسبة للخلق ـ لعدم توفر أسبابه ، وهو ما يسمى بالغيب النسبي أو الإضافي . ويعتبر هذا القسم من عالم الشهادة لامن عالم الغيب .

٣ ـ أن مفاتيح الغيب الخمسة التي ذكرها الله جل وعلا ـ في كتابه في قوله تعالى : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير .** ﴾ (١) هي من الغيب المطلق الذي اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ به دون من سواه ، فلا يمكن لأحد أن يطلع عليها ولا أن يعرفها إلا إذا أطلعه الله عليها ، ولا يكون ذلك إلا لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ـ كما قال تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول . . .** ﴾ (٢).

٤ ـ أن علم الساعة قد استأثر الله به فلم يُطْلِع عليه أحداً من خلقه ، فلا يعلم وقت مجيئها أحد غيره ـ سبحانه وتعالى ـ لانبي مرسل ولاملك مقرب ،

---

١ ـ لقمان ٣٤ .

٢ـ الجن ٢٧ ، ٢٨ .

ولو كان الله مطلعاً أحداً عليها لأطلع سيد الخلق محمداً ﷺ وقد تظافرت الأدلة على أنه لايعلمها .

٥ ـ أن مايسمى بالمطر الصناعي إن وجد فإنه لايدخل في علم الغيب ، مع أنه لم يثبت نجاحه علمياً .

٦ ـ أن ماتوصل إليه الطب من معرفة الجنين في رحم أمه بعد خلقه ليس من علم الغيب الذي اختص الله به ، لأنه يكون وقتئذ من عالم الشهادة لامن عالم الغيب الذي استأثر الله به ، فقد علمه الملك قبلهم ، هذا فضلا عن أنهم لايستطيعون ذلك إلا بواسطة الأجهزة الآلية ، وبعد نفخ الروح فيه .

٧ ـ أن من ادعى أنه يعلم ماذا يكسب في الغد وجزم به ، أو أنه يعلم موته ويحدد وقته فهو كاذب في ادعائه وإن حصل ذلك في الوقت الذي حدده .

٨ ـ أن الفراسة والإلهام والتحديث والرؤى المنامية ليست طريقاً لمعرفة الغيب . وإن حصل بها معرفة غيب فإنه يكون غيباً نسبياً لامن الغيب المطلق الذي استأثر الله بعلمه .

٩ ـ أن علم الغيب من خصائص الله ـ سبحانه وتعالى ـ وقد دل على ذلك الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿ قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾[1].

١٠ ـ أن الرسل عليهم السلام ـ بشر كسائر البشر يعتريهم ما يعتري البشر ، فلا يملكون لأنفسهم نفعاً ولاضراً ، ولايملكون موتاً ولاحياة ولانشوراً ، ولايعلمون من الغيب إلا مأأعلمهم الله به ، وإنما تميزوا عن البشر بالرسالة والنبوة فقط .

١- النمل ٦٥ .

١١ ـ أن جميع الرسل قد تبرؤا من الغيب فلا يجوز لأحد أن ينسب ذلك إليهم ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة .

١٢ ـ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أطلعهم على بعض المغيبات تأييداً لهم ولتكون معجزة من معجزاتهم التي خصهم الله بها دون غيرهم ، فلا يصح لأحد أن يزعم بأنه أو غيره مثل الأنبياء يمكن أن يطلع على مثل ماطلعوا عليه .

١٣ ـ أن أدعياء الغيب كثيرون منهم الكهان والمنجمون ومن يلحق بهم كقارئ الكف والفنجان وزاجر الطير والضارب بالحصى والرمل وغيرهم . كما أن زماننا لايخلوا منهم بل هم كثير .

١٤ ـ أن الكاهن هو كل من ادعى معرفة الغيب بغض النظر عن الطريق الذي استقاه منه وله ثلاثة أضرب :

الأول ـ مايتلقاه الكاهن عن مسترقي السمع .

الثاني ـ مايتلقاه الكاهن من الجن مما يقع في أقطارالأرض .

الثالث ـ المنجمون .

١٥ ـ أن علم التنجيم على ثلاثة أقسام :

القسم الأول ـ عملي وهو زعمهم أن للقوى الأرضية المعلقة كالطلاسم ونحوها تأثيراً على القوى السماوية ، وهذا كفر محض .

القسم الثاني ـ علمي وهو الإستدلال بحركات النجوم على الحوادث في الأرض وهذا كفر محض أيضاً .

القسم الثالث ـ علم التسيير [الحساب] وهو الإستدلال بالكواكب وسيرها على الجهات والقبلة والأوقات وحساب الأيام والشهور والسنوات وهذا القسم جائز .

١٦ ـ أن التنجيم قد انتشر في العصر الحديث انتشاراً واسعاً .

١٧ ـ أن مدعي الغيب كافر أياً كان ؛ كاهناً أو منجماً أو عرافاً أو غير ذلك، وأن من صدقهم بما يقولون فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .

١٨ ـ أن معرفة الكسوف والخسوف لاتدخل في حكم المدعين للغيب لأن معرفة ذلك أمر ممكن .

١٩ ـ أن ادعاء الغيب أصل من أصول المتصوفة المتأخرين .

٢٠ ـ أن إدعاؤهم نابع من جهلهم بالدين ونابع من شبهات باطله .

٢١ ـ أن الكشف ينقسم إلى قسمين صحيح وباطل ، وأنه لا يمكن أن يتخذ طريقاً لإدعاء الغيب .

٢٢ ـ أن الرافضه أعداء الدين قد زعموا أن أئمتهم يعلمون الغيب وكتبهم مليئه بذلك .

٢٣ ـ أن إدعاء الغيب يعتبر هدماً للدين .

هذاوآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

فهرس الآحاديث والآثار

طرف الحديث	الصفحة

(حرف الألـف)

□□□

فهرســة
المــراجـع والمـصـــادر

❑ أبوا حامد والتصوف تأليف عبد الرحمن دمشقية ط/ دار طيبة ١٤٠٦هـ

❑ أحكام القرآن ، لأبي بكر بن محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ٣٦٨-٥٤٣ ، تحقيق علي محمد النجار ط عيسى البابي الحلبي بمصر .

❑ إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي المتوفى ٥٠٥ ط الحلبي بمصر عام١٣٥٨هـ

❑ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان للأمير علاء الدين على الفارسي المتوفى عام ٧٣٩ هـ الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب العلمية بيروت لعام ١٤٠٧ هـ .

❑ أخبار الحلاج بتقديم وتعليق عبد الحفيظ محمد مدني هاشم ط مطبعة عطايا باب الخلق بمصر .

❑ الإصابة في تمييز الصحابه لابن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢ هـ ، تحقيق علي محمد البجاوي ط دار نهضة مصر .

❑ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ط عالم الكتب بيروت لبنان .

❑ الإعتصام للإمام أبي اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ، ط دار المعرفة ١٤٠٥ هـ .

❑ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستعربين والمستشرقين تأليف خير الدين الزركلي . الطبعة السادسة ١٣٨٤ هـ بمطبعة دار العلم للملايين بيروت .

❑ أنوار التنزيل

❑ الأنوار القدسية

❑ البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان إلهي ظهير ط إدراة ترجمان السنة لاهور باكستان الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ .

❑ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي . ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ١٣٨٣هـ .

❑ بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها ، شرح مختصر البخاري ، للحافظ أبي محمد عبدالله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المتوفى عام ٦٩٩هـ الطبعة الثانية بمطبعة دار الجيل ١٩٧٢م .

❑ البيان والتحصيل والشرح والتوجيه تأليف : أبوالوليد رشيد القرطبي المتوفى عام ٥٢٠ هـ ط دار الغرب الإسلامي بالمغرب .

❑ تاج العروس من جواهر القاموس ، للسيد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق عبد الكريم الفرياوي . ط حكومة الكويت ١٣٨٦هـ .

❑ التبيان في أقسام القرآن لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى عام ٧٥١ هـ ط دار الرياض الحديثة .

❑ تحفة الأحوذي للحافظ أبي العلي محمد بن عبد الرحيم المباركفوري ١٢٨٣ - ١٣٥٣هـ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ط مؤسسة قرطبة الطبعة الثانية .

❑ ترتيب العلوم

❑ تفسير أبو السعود المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي المتوفى عام ٩٥١هـ ط دار احياء التراث العربي بيروت لبنان .

❑ تفسير روح البيان تأليف الشيخ اسماعيل حقي البروسوي المتوفى عام ١١٣٧هـ ، ط دار احياء التراث العربي ببيروت .

❑ تفسير القرآن العضيم لابن أبي حاتم أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى عام ٣٢٧هـ ، الطبعة الأولى بمطبعة هجر بمصر .

❑ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ، تحقيق محمد ابراهيم

البنا ومحمد أحمد عاشور وعبد العزيز غنيم ط دار الشعب .

❑ تفسيرالفخر الرازي المسمى التفسير الكبير ومفاتح الغيب للفخر الرازي عمر المشتهر بخطيب الري ٥٤٤ ـ ٦٠٤ ط دار الفكر ١٤٠٥هـ .

❑ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا . ط الهيئة العربية العامة للكتاب ١٩٧٢هـ .

❑ تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢هـ ، تحقيق محمد عوَّامة . ط دار الرشد حلب . الطبعة الأولى .

❑ التكملة والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف : الحسن بن محمد بن الحسن الصنعاني المتوفى عام ٦٥٠ هـ . تحقيق عبد الله الطحاوي ، ط دار الكتب العلمية ١٩٧٠هـ .

❑ تلبيس ابليس للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي المتوفى عام ٥٩٧ هـ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٣هـ .

❑ تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبي للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢ هـ تصحيح وتنسيق السيد عبد الله هاشم اليماني ط دار المعرفة .

❑ التنكيل فيما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل للشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، تحقيق وتاليق محمد ناصر الدين الألباني ط الرئاسة العام لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإفتاء والإرشاد بالسعودية لعام ١٤٠٣ هـ .

❑ تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري المتوفى عام ٣٧٠هـ . تحقيق أ/ عبد العظيم محمود ـ أ/ محمد علي النجار . ط الدار المصرية للتأليف والترجمة .

❑ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن

عبدالله بن عبد الوهاب المتوفى في عام ١٢٣٣هـ ط المكتب الإسلامي الطبعة الخامسة .

❑ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط دار الكتب المصرية الطبعة الثانية عام ١٣٧٣ هـ

❑ جامع بيان العلم وفضله ، لإبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ❑ الأندلسي المتوفى عام ٤٦٣ هـ ، صححه وضبط غريبع عبد الرحمن محمد عثمان ط دار العاصمة ، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ .

❑ جامع البيان في تأول القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى عام ٢١٠ ط دار الفكر عام ١٤٠٨هـ ، بالإضافة إلى طبعة دار المعارف المحققة لمحمود وأحمد شاكر .

❑ الجامع لشعب الإيمان ، للإمام الحافظ أبي بكر البيهقي المتوفى عام ٤٥٨هـ ، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد . ط / دار الريان للتراث الطبعة الأولى .

❑ الجامع الصحيح للإمام محمد بن اسماعيل البخاري ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ط المكتبة السلفية بالقاهرة .

❑ الجامع الكبير للطبراني جامع كرامات الأولياء بأليف يوسف بن اسماعيل النبهاني ١٢٦٥ ـ ١٣٥٠ تحقيق ابراهيم عطوة عوض ط الحلبي ١٣٩٤هـ وهذا الكتاب من كتب المتصوفة .

❑ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي ط رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء والإرشاد بالسعودية .

❑ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ٦٦١ ـ ٧٢٨ ط المجد التجارية .

❑ الجواهر الغوالي ص ٢٦١ .

❑ الجواهر المُضيَّة في طبقات الحنفية ، لمحيي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي المتوفى عام ٧٧٥ هـ / تحقيق عبد الفتاح الحلو . ط / عيسى البابي الحلبي بمصر لعام ١٣٩٨هـ .

❑ حاشية بن قاسم على كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن محمد بم قاسم النجدي ط دار العربية بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣ .

❑ حاشية بن عابدين المسماة رد المحتار في فقه الإمام أبي حنيفة لمحمد أمين الشهير بابن عابدين ط مصطفى الحلبي الطبعة الثالثة ١٣٨٦ .

❑ حكم الأشتغال بالنجوم للخطيب البغدادي مخطوط .

❑ خلق الإنسان بين الطب والقرآن د/ محمد على البار ط الدار السعودية ١٤٠٩هـ .

❑ درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ط / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ .

❑ الدرة البيضاء ضمن المجموعة النادرة ضمن أشرف الوسائل .

❑ الدر المنثور في التفسير بامأثور للحافظ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي المتوفى عام ١١٩هـ . ط/ دار الفكر الطبعة الأولى .

دلائل الإمامة لأبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري [الرافضي] ط/ أمير قم ١٣٦٣ .

❑ دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني المتوفى عام ٤٣٠هـ . تحقيق محمد روّاس قلعة جي . الطبعة الأولى بمطبعة المكتبة العربية بحلب .

❑ دلائل النبوة ومعرفة أحوال الشريعة . لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي ، ط/ دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الأولى لعام ١٤٠٥هـ .

❑ الدين الخالص للسيد محمد صديق خان ط / المدني .

❑ الرد على الجهمية للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي تحقيق زهير الشاويش تخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ط / المكتب الإسلامي .

❑ الرسالة القشرية في علم التصوف لأبي القاسم عبد الكريم ين هوازن القشري ط/دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

❑ الرسالة اللدنية لأبي حامد الغزالي ط / مكتبة الجندي بمصر .
الرفاعية د / عبد الرحمن دمشقية الطبعة الأولى .

❑ الروح للإمام شمس الدين أبي عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ط / دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ .

❑ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل محمود الألوسي البغدادي المتوفى عام ١٢٧٠هـ ، ط/ دار الفكر .

❑ زاد المعاد في هدي خير العباد لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية / تحقيق شعيب الأرناووط وعبد القادر الأرناووط ط / مكتبة المنار الإسلامية الطبعة الثامنة ١٤٠٥ هـ .

❑ الزواجر عن اقتراف الكبائر ، تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيثمي المتوفى عام ٩٧٤هـ . ط/ البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ .

❑ سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني ط / المكتب الإسلامية عمَّان الأردن .

❑ سلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ ناصر الدين الألباني ط/ مكتبة المعارف الرياض الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ .

❑ سنن أبي داوود للحافظ أبي داوود سليمان السجستاني الأزدي ، تحقيق وترقيم محمد محيي الدين عبد الحميد ط / دار احياء التراث العربي .

❑ سنن ابن ماجة للحافظ محمد ابن عبد الله القزويني ابن ماجة ٢٠٧ ـ

٢٧٥ هـ تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .

❑ سنن النسائي بشرح جلال الرين السيوطي وحاشية السندي ط / دار الكتاب العربي بيروت .

❑ سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي . ط/ مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى .

❑ السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الأنباري ، عبد الحفيظ شلبي .

❑ سنن الدارمي للحافظ أبو محمد عبدالله به عبد الرحمن الدارمي المتوفى عام ٢٥٥ هـ ، تحقيق عبد الله هاشم المدني . ط/ شركة الطباعة الفنية المتحدة .

❑ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ أبي القاسم هبة الله بن منصور الطبر اللالكائي تحقيق د / أحمد بن سعد بن حمدان ط / دار طيبة .

❑ شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، تأليف : سيدي محمد الزرقاني ـط / عبد الحميد أحمد حنفي بمصر .

❑ شرح السنة لأبي محمد الحسين ين مسعود الفراء البغوي ٤٣٦ ـ ٥١٦ تحقيق شعيب الأرناووط الطبعة الأولى دار المكتب الإسلامي .

❑ شرح الطحاوية لأبي العز الأذرعي الحنفي ، تخريج محمد بن ناصر الدين الألباني .

❑ شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري الحنفي ط م دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .

❑ شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي الشرح المنتهى للعلامة فقيه الحنابلة في فقه منصور بن يونس بن أدريس البهوتي ط / دار الفكر بيروت لبنان .

❑ شرح النووي على صحيح مسلم تأليف الإمام النووي المطبعة

المصرية ومكتبتها .

❑ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي . تحقيق أحمد قرة على - اسامة الرفاعي - جمال السيروان - نور الدين قرة علي عبد الفتاح السيد . ط/ مؤسسة علوم القرآن بدمشق .

❑ شفاء العليل ترجمة القول الجميل ترجمة القول الجميل [نقلا عن النقشبندية]

❑ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا . ط/ ١٤٠٢هـ . الشربتلي .

❑ صحيح البخاري تحقيق وترقيم محمد فؤاد المطبعية السلفية .

❑ صحيح مسلم تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ط / دار احياء التراث العربي فيصل الحلبي .

❑ ضعيف الجامع للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني ط / المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ .

❑ طبقات علماء الحديث لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي ، المتوفى عام ٧٤٤هـ ، تحقيق أكرم البوشي ، ط/ مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

❑ الطبقات الكبرى لابن سعد ط / دار بيروت ١٤٠٥هـ .

الطبقات الكبرى ط / دار الجيل بيروت تأليف عبد الوهاب بن أحمد على الأنصاري المعروف بالشعراني الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

❑ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية للإمام ابن قيم الجوزية تحقيق د/ محمد جميل غازي ط / المدني جدة .

❑ طريق الهجرتين وباب السعادتين / لشمس الدين عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بن القيم / تحقيق عمر بن عمر بن محمود أبو عمر : دار

القيم ١٤٠٩ هـ .

❑ عالم السحرة والمشعوذين د/ عمر بن سليمان الأشقر ط / دار النفائس ، الكويت الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .

العدة شرح العمدة لابن دقيق العيد ، صححه وعلق عليه علي بن محمد الهندي . ط/ المطبعة السلفية .

❑ علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام / ط النهضة الحديثة بمكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ .

❑ غريب الحديث لابن اسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي ، تحقيق د/ سليمان بن إبراهيم العابد ط / المدني جدة .

❑ الفتاوى الحديثية للشسخ شهاب الدين ين حجر الهيثمي ٩٠٩ـ٩٧٤ هـ الطبعة الأولى مطابع الحلبي بمصر ١٣٥٦ هـ .

❑ فتاوى الشيخ محمد بن ابراهيم جمع وترتيب محمد بن عبدالرحمن ابن قاسم ط/ مطابع الحكومة بمكة الكرمة ١٣٩٩ هـ

❑ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، للحافظ بن حجر العسقلاني ط/ دار الفكر بيروت لبنان .

❑ فتح القدير الجامع بن فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن على الشوكاني المتوفى ١٢٠٥ هـ ط / الحلبي ١٣٨٣ هـ .

❑ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي . ط/ دار الكتاب العربي بيروت .

❑ الفجر المنير

❑ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .

❑ الفروع في فقه الإمام أحمد للشيخ العلامة شمس الدين المقدسي أبي عبد الله محد بن مفلح المتوفى ٧٦٣ ط/ عالم الكتب بيروت ١٤/٢ الطبعة

الثانية ، راجعة عبد الستار أحمد فراج .

❑ فضل علم السلف على علم الخلف ، للحافظ بن رجب الحنبلي ، تحقيق مروان العطية . ط/ دار الهجرة بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٩ .

فيض القدير شرح الجامع الصغير .

❑ القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، ط/دار الجيل بيروت لبنان .

❑ قراءة النجوم والخط والطالع بن الحقيقة والخيال مجدي محمد الشهاوي ط/ مكتبة القرآن .

❑ قلادة الجواهر في سيرة الرفاعي وأتباعه الأكابر للصيادي ط / دار الكتب العلمية .

❑ كتاب الزهد للإمام وكيع الجراح . تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفيرواني ، ط/ مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

❑ كتاب السنة للإمام أبي بكر بن أبي عاصم الضحاك بن محمد الشيباني توفي ٢٨٧ ، مع ضلال الجنة في تخريج السنة لمحمد بن ناصر الدين الألباني ط/ المكتب الأسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ .

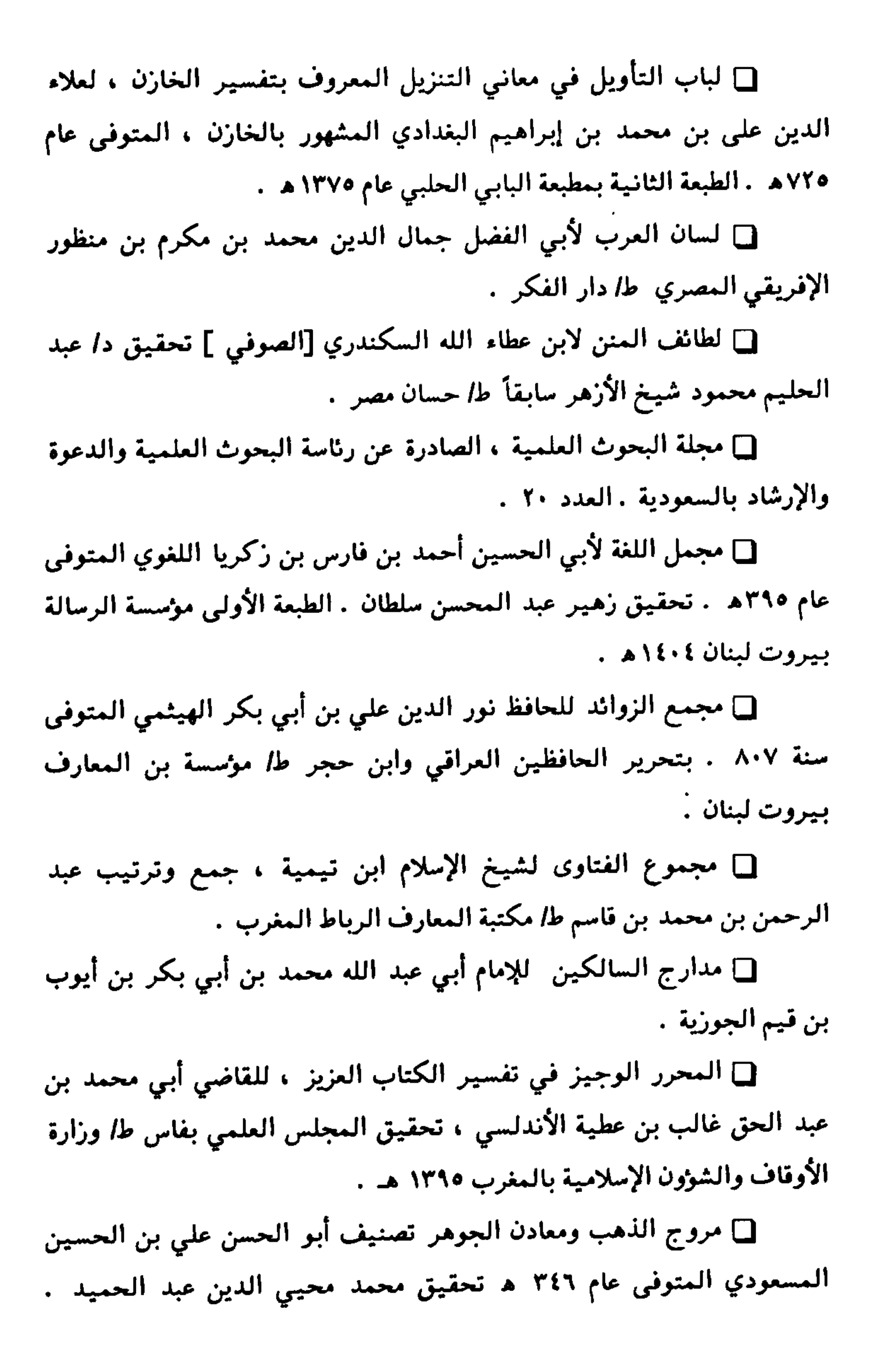
❑ كتاب الكافي لأبي جعفر الكليني الرازي [الرافضي] المتوفى ٣٢٨ هـ ط/ دار الكتب الأسلامية طهران .

❑ كشاف القناع عن متن الإقناع للشيخ منصور البهوتي الحنبلي ١٠٠٠ـ١٠٥١ ط/ الحكومة السعودية ١٣٩٤ هـ .

❑ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين على المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفى عام ٩٧٥ هـ

ط / مؤسسة الكتب الرسالة ١٣٩٩ هـ .

❑ كيمياء السعادة ملحق بالمنقذ من الضلال .ط/ مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .



❑ لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن ، لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادي المشهور بالخازن ، المتوفى عام ٧٢٥هـ . الطبعة الثانية بمطبعة البابي الحلبي عام ١٣٧٥هـ .

❑ لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ط/ دار الفكر .

❑ لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري [الصوفي] تحقيق د/ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقاً ط/ حسان مصر .

❑ مجلة البحوث العلمية ، الصادرة عن رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالسعودية . العدد ٢٠ .

❑ مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي المتوفى عام ٣٩٥هـ . تحقيق زهير عبد المحسن سلطان . الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ١٤٠٤هـ .

❑ مجمع الزوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ . بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر ط/ مؤسسة بن المعارف بيروت لبنان .

❑ مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ط/ مكتبة المعارف الرباط المغرب .

❑ مدارج السالكين للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية .

❑ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي أبي محمد بن عبد الحق غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ط/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ١٣٩٥ هـ .

❑ مروج الذهب ومعادن الجوهر تصنيف أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي المتوفى عام ٣٤٦ هـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

الطبعة الرابعة بمطبعة السعادة بمصر .

❑ المسائل المنثورة [فتاوى الإمام النووي] ترتيب تلميذه الشيخ علاء الدين العطار ، تحقيق محمد الحجار . ط/ المطبعة العربية بحلب ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ .

❑ المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ط /دار المعرفة مع التلخيص للحافظ الذهبي .

مسند أبي يعلى الموصلي ، تصنيف الإمام أحمد بن علي المثنى التميمي المتوفى عام ٣٠٧ هـ . تحقيق حسين يليم أسد . ط/ المأمون للتراث الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

❑ مسند الإمام أحمد بن حنبل مع منتخب كنز العمال ط/دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ بالإضافة إلى تحقيق أحمد شاكر . ط/ دار المعارف بمصر ١٣٧٥هـ .

❑ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى في عام ٣٨٢هـ ، تحقيق الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي ، المطبعة المصرية بالكويت .

❑ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لأحمد بن مصطفى الشيهير بطاش كبري زادة ط / الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى.

❑ المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى عام ٥٠٢ هـ بتحقيق محمد كيلاني ط/ الحلبي ١٣٨١هـ .

❑ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى عام ٩٠٢ هـ تصحيح وتعليق وتقديم عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق ط/ دار الكتب العلمية .

❑ مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا المتوفي ٣٩٥ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية لعام ١٣٩١ هـ . ط / الحلبي بمصر .

❑ المقدمات والممهدات لبيان ماقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات ، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، تحقيق د/ محمد حجي ، ط/دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

❑ مقدمة ابن خلدون ، المجلد الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر . ط/ دار الكتاب اللبناني .

❑ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد ، للشيخ حافظ بن أحمد حكمي ط / مكتبة المحمدية .

❑ معالم السنن مع مختصر المنذري لأبي سليمان الخطابي ، تحقيق محمد حامد الفقي ط/ دار مكتبة السنة المحمدية .

❑ المعجزة والكرامة لابن تيمية ط/ دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا .

❑ المُغْرِب في ترتيب المعرب لأبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطريزي الحنفي الخوارزمي المتوفي في عام ٦١٦ هـ ، ط/ دار الكتاب العربي بيروت .

❑ مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ط/دار احياء الكتب العلمية عيسى البابي الحلبي وشركاه .

❑ المنقذ من الضلال . لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى في عام ٥٠٥ هـ . ط/ مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

❑ المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية [صوفي] لمحمد أمين الكردي الأربلي الشافعي ابن فتح زادة ط / السعادة بمصر ١٣٢٩ هـ .

❑ موطأ الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله تعالى ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط/ دار الحديث .

❑ ميزان الإعتدال في نقد الرجال لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى عام ٧٤٨ هـ . تحقيق علي محمد البجاوي ، ط / دار إحياء الكتب العبي عيسى البابي الحلبي بمصر . عام ١٣٨٢هـ .

❑ النبوات لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ط / دار الكتب العلمية ١٤٠٢ هـ .

النهاية في غريب الحديث ، للإمام أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمد الطناحي ط/ دار الباز .

النهج السديد في تخرج أحاديث تيسير العزيز الحميد . تأليف أبي سليمان جاسم الفهيد الدوسري ، ط/ دار الخلفاء للكتاب العربي بالكويت ، الطبعة الأولي ١٤٠٤هـ .

فهـــرس الموضـــوعـــات

الموضــــوع	الصفحة

الباب الرابع :

الفصل الثالث : الكشف عند الصوفية

الفصل الثالث : علم الغيب عند الرافضة . ٣٥٣

❑❑❑